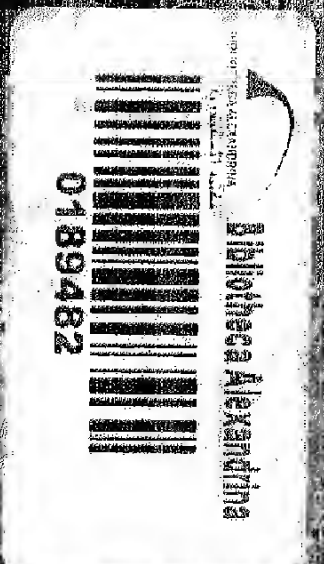
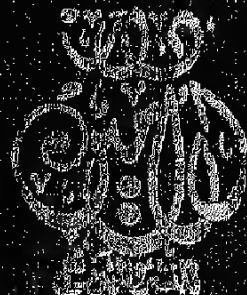


مكتبة

امير مصر

مكتبة

مكتبة



تَمْهِيْدٌ

من النادر - والممتع - أن نجد عملاً واحداً ، يجمع بين اثنين من كبار الصوفية فى تاريخ الإسلام : ابن عربى ، الجيلى .. وكما هو معروف ، فكلاهما بلغ فى التصوف شأواً عظيماً، وترك ما لاحصر له من مؤلفات تستلفت أنظار متذوقى التصوفى ودراسى الأدب. وهما يعبران فى نصوصهما عن رؤية صوفية عميقة للكون، ويستخدمان لغة خاصة ، أسرة ، ساهرة بيكارتها .. فماذا سنجد ، حين تلتقى الرؤيتان ، وتلتحم لغتان راقيتان ؟!

كنتُ قد بدأتُ فى تحقيق شرح الجيلى على فتوحات ابن عربى منذ سنوات طويلة، أظنُّها ثمانية ؛ وكلما قطعت فيه أشواطاً، وقفتُ متردداً فى نشره على الناس .. نظراً لما فى النصِّ من قضايا ، أقل ما توصف به ، أنها متفرّدة وخطيرة ! فأقول فى نفسى : وماذا يعود على الناس اليوم، حين نطرح قضايا كهذه ، من شأنها إثارة الجدل بين المتحمسين للصوفية والناقمين عليهم ؟

ومرت السنين فى انشغالى ببحوث وتحقيقات تراثية أخرى، أقل خطراً وأكثر تلبيةً لمقتضيات ثقافتنا المعاصرة .. وبين حينٍ وآخر، أقلب صفحات شرح الجيلى ، ثم انقلب عنه .

ولما جاء أوانُ بروز الكتاب، كانت الدوافع على إخراجه قد تكثفت عندى .. لأمرٍ ، منها : انتشار موجةٍ من الطباعات الرخيصة لكتب الصوفية، ومن بينهم ابن عربى والجيلى . وقد احتشدت فى تلك الطباعات الأخطاء،

وغابت الهوامش المفسرة والتعليقات ، مما يزيد تلك القصايا التي أشفقتُ منها
خطورةً تتمثل في تعميق سوء فهم النصّ.. كذلك ، فالمستشرقون قد اعتنوا
فعلاً بالتراث الصوفي ، واهتموا بابن عربي والجيلي ، فنظروا في أعمالهما ،
وقدموا عنها بحوثاً تعبر عن وجهة نظرهم هم ؛ فإذا ببعضنا يتبنى وجهة النظر
تلك ، وينظر لـه اثنا عشر استشرافية .. وأخيراً ، لأنني بعد طول تأمل ، وجدتُ
أن إخفاء جانب معين من التراث ، لن يعود بنفع على ورثته. فلا بد من
استعراض وافٍ لكافة تجليات الفكر العربي ، لنرى الماضي بنظرة شاملة ، واعية
بكل الجوانب ، ومن بين تلك الجوانب : الفلسفة الصوفية .

وهكذا أقدمت على إخراج هذا النص محققاً -والقلب فيه ما فيه - تلافيًا
لإمكان خروجه مشوهًا على يد مرتزقة التراث ، ومحاولة لفهم جانب مهم من
جوانب الذات بعيداً عن النظرة المستعارة من الآخر الغربي .. واستكمالاً لعملية
الكشف عن منظومة الفكر العربي .

وعبد الكريم الجيلي في هذا الكتاب ، يقدم تصوفاً يمتزج برؤية فلسفية
عميقة ، وإن شئت قلت : فلسفة مشوبة بنزعة صوفية جارفة. وقد أمعن الجيلي
في هذا الجانب ، حتى كاد يغلق بابه أمام من جاعوا بعده .. ففي تاريخ
التصوف ، لم يأت بعد الجيلي متصوفٌ فيلسوفٌ له نفس المذاق والعمق ، وكل
الذين اصطنعوا أسلوبه من بعده ، عيالٌ عليه. لكن التصوف ذاته استمر ، إما
بجهود شرح كالنابلسي أعادوا طرح قضاياها ، أو بأحوال مشايخ كالبكري
اهتموا بتربية المريدين وإشاعة حرارة الدين في النفوس المتجهة من الخلق إلى الحق.

وبعد .. فهذا هو شرح مشكلات الفتوحات يُنشر لأول مرة ، مزوداً
ببعض المقتطفات من باب الأسرار في الفتوحات المكية . بعدما بذلنا جهد
الطاقة وصدق السعي ، لإخراج النصوص محققةً ، مضبوطةً ، مفسرةً .. وعسانا

نكون قد أضفنا للمكتبة العربية المعاصرة ، كتاباً فيه الكثير من التصوف،
والفلسفة ، والأدب . أما ما سوف تُفسر عنه قراءة المطالعين له، فذلك ما
نتركه للأيام .

وها هي الطبعة الثانية من الكتاب ، تأتي بعد ست سنواتٍ من صدور
طبعته الأولى ، التي لاقت في وقتها تقديراً طيباً ، وكانت من أكثر الإصدارات
انتشاراً وتوزيعاً .. ونهباً وتزويراً وتصويراً ! وقد حاولنا أن تكون هذه الطبعة
أكثر من سابقتها دقةً وتصويباً وتحريراً .

والله الموفق .

يوسف زيدان

الإسكندرية في أكتوبر ١٩٩٨م.

الموافق جمادى الثاني ١٤١٩هـ.

محتويات الكتاب

٧	تمهيد
١١	الشيخان والكتابان
١٣	ابن عربي
١٦	الفتوحات المكية
٢٠	باب الأسرار
٢٤	الجيلي
٢٦	شرح الفتوحات
٢٩	المقتطفات
٣١	منهج التحقيق
٣٣	أولاً : حصر المخطوطات
٣٤	ثانياً : وصف نسخ التحقيق
٣٧	ثالثاً : المقابلة بين النسخ
٣٨	رابعاً : الهوامش والفهارس
٣٩	خامساً : ملاحظات التحقيق
٤٠	سادساً : النماذج والرموز
	كتاب شرح مشكلات الفتوحات المكية
٦٨	(النص المحقق)
٦٣	• المقدمة
٦٩	• الباب الأول :
٧١	أسرار إلهية

٧٣ تعريف الإنسان الكامل
٧٥ حقائق الإنسان الكامل
٧٧ العلوم المدنية
٨٧ • الباب الثاني :
٨٩ حقائق الحروف
٩٣ مقامات الكمال
٩٩ حقائق الإنسان الكامل
٩٩ الإنسان الكامل والحروف
١٠١ تجليات الإنسان الكامل
١٠٩ • الباب الثالث :
١١١ التنزيه والشييه
١١٥ الجمع والفرق
١٢١ • الباب الرابع :
١٢٣ خلق العالم
١٢٩ النفس الإنسانية
١٣٨ أسرار البسملة
١٣٩ تركيب الموجودات
١٤٣ • الباب الخامس :
١٤٥ سر كن
١٤٦ عبارات صوفية
١٥١ تصرف الأولياء
١٥٤ رجوع الأمر

١٥٧ • الباب السادس :
١٥٩ الروح وتنزلات الذات
١٦١ الإنسان نسخة الحق
١٦٥ الإنسان نسخة الخلق
١٦٩ • الباب السابع :
١٧١ عالم الأجسام
١٧٤ بدء الخلق وآخره
١٧٦ إشراقات الإنسان
١٨٢ الحواس الخمس
١٨٤ باطن الجسم وظاهره
١٨٥ أقسام الجسم
١٨٧ عمر الأرض
١٨٩ إشارة
١٨٩ خلود الجنة والنار
١٩١ • الباب الثامن :
١٩٣ الجسم والجسد
١٩٤ البرزخ
١٩٩ كرامات
٢٠١ الخيال
٢٠٥ • الباب التاسع :
٢٠٧ الواج والمارج
٢٠٩ إبليس وآدم

٢١٠ الأركان الأربعة
٢١٢ معصية إبليس
٢١٤ أحوال الجن
٢١٧ • الباب العاشر :
٢١٩ الأنوار العلوية
٢٢١ الملائكة المهمة والمحكمة
٢٢٩ مقتطفات من الباب ٥٥٩ من الفتوحات
٢٧٩ كَشَافَاتُ التحقيق :
٢٨١ كَشَافُ الآيات القرآنية
٢٨٣ كَشَافُ الأحاديث
٢٨٤ كَشَافُ المصطلحات
٢٨٨ كَشَافُ الأعلام
٢٨٩ كَشَافُ القوافي
٢٩١ مراجع التحقيق والدراسة
٢٩٩ محتويات الكتاب

الشَّيْخَان

ابن عربي ، الجيللي

والكتابان

الفتوحات ، الشرح

تشتمل الصفحات التالية على دراسة موجزة ، تتعرض فيها لبعض النقاط التي تُسهم في قراءة النص المحقق قراءةً أكثر وعياً وفهماً .. فتوقف عند ابن عربي، وكتابه الفتوحات ، وبابه التاسع والخمسين بعد الخمسمائة، وهو الباب الجامع الذي جعله ابن عربي بعنوان : باب الأسرار .. كما تتوقف عند الجليلي ، وشرحه للفتوحات وبابها المعنون بالأسرار .

ابن عربي

هو شيخ الصوفية الأكبر : محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائفي الحائمي المرسى، الشهير بابن عربي^(١) .. وُلد في مَرُسية بالأندلس يوم الإثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ ، وتوفي ليلة الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٣٨ هجرية، بدمشق .. ودفن بسفح جبل قاسيون .

ولا يمكن أن نضع ترجمة كاملة لابن عربي، فحياته الزاخرة، ومئات الصفحات التي كتبها عنه المؤرخون والدارسون ، يجعلان عملية الترجمة له هنا أمراً يضيق عنه المقام . لذا، فسنعتمد في بعض الإشارات الموجزة عنه، تاركين المجال لمن يرغب في مزيدٍ من التعرف إلى الرجل وأعماله، لأن يرجع إلى مصادر ترجمة ابن عربي والبحوث الخاصة بتصوفه^(٢) .

(١) جرت العادة في المشرق العربي بالإشارة إلى الشيخ الأكبر بلقب ابن عربي بدون ألف ولام، تمييزاً له عن الفقيه ابن العربي الذي يتفق معه في الاسم واللقب.

(٢) جمع الدكتور صلاح الدين المنجد كثيراً من مظان ترجمة ابن عربي في مقدمته لكتاب الدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين وأضاف إليها محقق سير أعلام النبلاء المزيد عند ترجمة الذهبي له (مجلد ٢٣ هامش صفحة ٤٨) وبخصوص البحوث المعاصرة حول ابن عربي وتصوفه، يمكن الرجوع إلى ما كتبه ليف من الأساتذة ، في الكتاب التذكاري الذي صدر في الذكرى المئوية لابن عربي (القاهرة ١٩٦٩).

نشأ ابن عربي في بيت علم، ودرس علوم الدين في لشبونة و أشبيلية
وزار قرطبة ومصر وبيت المقدس ومكة وبغداد وبلاد الروم، ثم استقر في
دمشق حتى ليلة وفاته .

وتلقى الشيخ الأكبر التصوف، وسلك طريق الولاية ، على يد شيخه أبي
مدين الغوث أحد كبار صوفية المغرب العربي ، وكان يعيش بمدينة بجاية
واشتهر بها كصوفي جليل القدر ، ورويت عنه كرامات كثيرة .. والراجح أن
ابن عربي التقى به وهو في طريقه لتونس سنة ٥٩٠ هجرية، فتعلق به تعلق
المريد بالشيخ ، وظل يذكره ويحكي وقائعه في معظم مؤلفاته، ومنها الفتوحات
المكية .. وسوف نقابلنا في النص المحقق بعض عبارات أبي مدين التي يرويها
ابن عربي. وتوفي الشيخ أبو مدين سنة ٥٩٧ هجرية، وبقي ابن عربي مخلصاً
كل الإخلاص لذكراه، ولم يتحدث عن شيخ من معاصريه بهذه الحرارة وهذا
التقدير، اللذين تحدث بهما عن أبي مدين الغوث^(١) .

وبعد ترقيه في سماء الولاية ، ظل ابن عربي موضوعاً للجدل حول صحة
عقيدته وسلامة مذهبه. وكان أول من أثار هذا الجدل ، الفقيه جمال الدين بن
الخياط اليمنى، الذي كتب مسائل في كتاب أرسله إلى العلماء في بلاد الإسلام،
فكتب العلماء ردودهم عليها، وشنعوا على من يعتقدونها، فلما شنعوا ، صرح
بأنها اعتقادات ابن عربي .. ويذهب الفيروزابادي صاحب القاموس - وهو
من أكبر المدافعين عن ابن عربي - إلى أن ابن الخياط ذكر في مسأله عقائد
زائفة ومسائل خارقة لإجماع المسلمين ، وليست من آراء ابن عربي في شيء. ثم
يقول : وما أنكر على الشيخ إلا بعض الفقهاء القح ، الذين لاحظ لهم في

(١) د. عبد الرحمن بدوي : أبو مدين وابن عربي (الكتاب التذكاري لمحيي الدين ابن عربي) ص

شرب المحققين، وأما جمهور العلماء والصوفية فقد أقرروا بأنه إمام أهل التحقيق والتوحيد..^(١) ولا يزال الخلاف يدور حول عقيدة ابن عربي، حتى وصل الأمر، اليوم، إلى مناقشة هذه القضية في مجلس الشعب المصري ! وهو مجلس نصفه من العمال والفلاحين .. ولا أدري حقاً، من أين تتأتى لهؤلاء القدرة على السباحة في بحار ابن عربي، أو التحليق في مجراته الشاسعة ؟

ترك ابن عربي مائتين وواحداً وخمسين مؤلفاً ما بين كتاب ورسالة، حسبما ورد في إجازة كتبها سنة ٦٣٢ هجرية^(٢). أو خمسمائة كتاب على حد قول عبد الرحمن جسامي في نفحات الأنس أو أربعمائة على ما ذكره الشعراني في اليواقيت والجواهر. وقد رصد له بروكلمان نحواً من مائة وخمسين مؤلفاً باقياً في الخزائن الخطية، نُشر منها إلى اليوم قرابة الستين^(٣).. وكان ابن عربي - كما يقول الدكتور أبو العلا عفيفي - قد أحاط بالتراث الفلسفي الإسلامي إحاطة تامة، لكنه لم يشغل نفسه بالتأليف في الفلسفة، إلا من حيث ما يجد صلة بينها وبين بعض ما يوافق أو يخالف روح مذهبه. ولكن شغله الشاغل كان التأليف في التصوف الذي وقف كل علمه على خدمته، وقد بدأ التأليف في التصوف منذ دخوله الطريق، وسار في التأليف على نهج تدريجي، فكتب أولاً الكتب والرسائل الصغيرة حول موضوعات خاصة، مثل

(١) انظر اليواقيت والجواهر في علوم الشيخ الأكبر للشعراني ١٠/١ .. وقد وضع الفيروز آبادي كتاباً يرد فيه محرم ابن الخطاط على ابن عربي، وجعله بعنوان: الاغتيال بمعالجة ابن الخطاط.

(٢) قام الدكتور. أبو العلا عفيفي بنشرها في مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد الثامن (سنة ١٩٥٤) .. ويقول الأستاذ عباس عزأوى إنه رأى في خزائن استنبول رسائل في أسماء مؤلفات ابن عربي (محيي الدين بن عربي وغلاة التصوف، الكتاب التذكاري، ص ١٣٥).

(٣) د. عفيفي: ابن عربي في دراساتي (الكتاب التذكاري) ص ٢١.

كتاب التدبيرات الإلهية الذي وضعه في المملكة الإنسانية ، و كتاب مواقع النجوم الذي وضعه في إرشاد السالك للطريق الصوفي ، ورسالة الخلوة التي وضعها فيما يجب على المريد في خلوته، و كتاب عنقاء مغرب الذي وضعه في الولاية؛ ورسائل أخرى قصيرة وضعها في تفسير بعض الآيات القرآنية، أو بعث بها إلى أصدقائه استجابةً لطلبٍ منهم ، أو رداً على أسئلتهم .. وفي الشطر الثاني من حياة ابن عربي، وهو الشطر الذي قضى معظمه بدمشق وبعضه بمكة، ظهر إنتاجه الناضج الخصب في التصوف، ومنها كتابه **فصوص الحكم** الذي يمثل خلاصة مذهب ظل يضطرب في نفسه - كما يقول الدكتور عفيفي - نحواً من أربعين عاماً. فلما ظهر **الفصوص** سنة ٦٢٧ هجرية، أذهل المسلمين وأثار في نفوسهم الحيرة والشك، كما أثار الإعجاب والتقدير . ولم يكن ظهور **الفصوص** مجرد طفرة لم يسبق لها تمهيد، فقد مهد ابن عربي للأفكار الرئيسية فيه بمؤلفاته الصغرى، ولكن أعظم تمهيد له، كان بكتابه : **الفتوحات المكية**^(١)

الْفُتُوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ

من الصعب قبول ما يذكره الدكتور عفيفي - وهو واحدٌ من أفضل دارسي ابن عربي - حول الصلة بين **فصوص الحكم** و **الفتوحات المكية** حين يجعل من **الفتوحات** تمهيداً **للفصوص** . فهو رأى خاطئ من عدة وجوه، أولها أن ابن عربي كتب **الفتوحات** بعد **الفصوص** ! فتاريخ خروج **فصوص الحكم** هو ٦٢٧ هجرية ، أما **الفتوحات** فقد كتبها ابن عربي بخطه مرتين ، الأولى

(١) د. عفيفي : **الفتوحات المكية** لمحيي الدين بن عربي (مقال بسلسلة تراث الإنسانية - المجلد

سنة ٦٢٩ هجرية، والأخرى سنة ٦٣٦ هجرية^(١)، وكلا التاريخين تال لكتابة **الفصوص** فكيف يكون التالى تمهيداً للسابق ؟ وبالوجه الثانى، فإن الكتابين يعكسان روح ابن عربى بشكل متقارب، ويعبران عن رؤيته الخاصة، فلا يمكن مثلاً أن نتبع تطور أفكار ابن عربى من **الفصوص** إلى **الفتوحات** أو العكس، بل الفارق الأساسى بين الكتابين هو تفصيل **الفتوحات** وإجمال **الفصوص** لأفكار ابن عربى . فهو فى **الفصوص** يوجز القول فيما أسهب فى تفصيله بالفتوحات، وتلك ظاهرة متكررة فى مؤلفات المسلمين، ويضيق المجال هنا عن استعراض أمثلتها الكثيرة .. ومن هنا يصعب قبول فكرة أن **الفتوحات** تمهيد **الفصوص** . وثمة وجه آخر يقدر فى رأى الدكتور عفيفى، وهو طبيعة عملية التأليف عند ابن عربى، فالشيخ الأكبر لم يكن على هذا النحو من العقلانية والمنطقية فى جهده التأليفى، بل كان يكتب بحسب ما تفيض به نفسه ويتوجّه إليه قلبه - ناهيك عما يذكره فى الكتابين من أنهما كُتبا بمدد إلهى^(٢) - وفى هذه الحالة يصعب القول أن ابن عربى كان يسير بنوع من **القصدية** التى تجعله يمهّد لكتاب **الفصوص** بموسوعة صوفية هائلة كالفتوحات.

وتعدّ **الفتوحات المكية** من أشهر النصوص الصوفية فى الإسلام، بل لعلها

(١) انظر نماذج مخطوطات **الفتوحات** التى قدمها د عثمان يحيى فى مقدمة تحقيقه للفتوحات (الهيئة العامة للكتاب - السفر الأول) وتوجد النماذج نفسها - وعليها تاريخ الانتهاء من الكتاب - فى مقالة د . عفيفى السابقة، ص ١٦٤.

(٢) يقول ابن عربى فى مقدمة **الفصوص** ما نصه : **أما بعد فإني رأيت رسول الله ﷺ، فى مبشرة أريتها فى العشر الآخر من المحرم سنة ٦٢٧ بدمشق، ويبيده كتاب فقال : هذا كتاب فصوص الحكم، خلده واخرج به إلى الناس ينتفعون به . فقلت : السَّمْع والطاعة .. وفى الفتوحات المكية الكثير من العبارات التى تشير إلى أن : الحق تعالى، يُملئ لنا على لسان ملك الإلهام، جميع ما نسطره ..**

الأشهر على الإطلاق . وسبب تسميتها بهذا الاسم ، يفصح عنه ابن عربى قائلاً : كنت نويت الحج والعمرة^(١) ، فلما وصلت إلى أم القرى - مكة - أقام الله سبحانه وتعالى فى خاطرى ، أن أعرف الولي بفنون من المعارف عند تطوافى فى بيته المكرم .

وهناك عبارات كثيرة فى الفتوحات تشير إلى أن الشيخ الأكبر كان يكتب فتوحاته بإلهام إلهى ، لا عن تقليد للغير أو تفكير شخصى . يقول ابن عربى فى الباب ٤٨ : إعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ، ولا عن نظر فكرى ، وإنما الحق تعالى يملئ لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره ، وقد نذكر كلاماً بين كلامين ، لا تعلق له بما قبله ، ولا بما بعده ، وذلك شبيه بقوله سبحانه وتعالى ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى﴾ بين آيات طلاق ونكاح وعدة ووفاء . ويقول فى الباب ٣٦٧ : وليس عندنا بحمد الله تعالى تقليد إلا للشارع ﷺ . ويقول فى الباب ٣٦٥ : وإعلم أن جميع ما أتكلّم به فى مجالسى وتصانيفى إنما هو حضرة القرآن وتخزائنه ، فإننى أعطيت مفاتيح الفهم والإمداد منه ، كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى ومناجاته بكلامه . ويقول فى الباب ٣٦٦ : إن جميع ما أكتب فى تأليفى ليس عن رؤية ، وإنما هو نفث فى روعى على يد ملك الإلهام . ويقول فى الباب ٣٧٣ : جميع ما كتبه وأكتبه فى هذا الكتاب ، إنما من إملاء إلهى والقاء ربانى ، أو نفث روحانى فى روح كيانى ، كل ذلك بحكم الإرث للأنبياء والتبعية لهم ، لا بحكم الاستقلال ..

(١) بدأ ابن عربى رحلته المكية سنة ٥٩٨ هجرية ، وظل يكتب الفتوحات خلال ثمان وثلاثين سنة.

تقع الفتوحات في ٣٧ سفرًا ، بحسب نسخة قونية التي خطها ابن عربي بيده سنة ٦٣٦ هجرية . وقد طبعت في مصر مرتين ، الأولى سنة ١٢٩٣ هجرية ، والأخرى سنة ١٣٢٩ هجرية .. ومنذ سنوات ، قرابة عشرين ، بدأ الدكتور عثمان يحيى تحقيق الفتوحات المكية في أسفار صدر منها حتى اليوم ١٧ سفرًا ، ولا يُتوقع اكتمالها خلال عشرين سنة قادمة !

يقول الدكتور عفيفي : يكاد من المستحيل وصف كتاب الفتوحات من حيث مادته بأكثر من أنه موسوعة ضخمة في العلوم الدينية والتصوف وعلوم الأوائل . وهو عرض شامل للثقافة الدينية ، والناظرون في هذا المنجم الفني الحافل يستخلصون الكثير مما أودع فيه من ثمين العناصر ، كل بحسب منزعه ومشربه^(١) .. ويقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني : أعلم يا أخي أنني طالعتُ من كتب القوم مالا أحصيه ، وما وجدتُ كتاباً أجمع لكلام أهل الطريق ، من كتاب الفتوحات المكية^(٢) .. وفي وصف الفتوحات ملاحظته له من عبارات التبجيل التي قالها الصوفية المتأخرون عن ابن عربي^(٣) .

وقد قامت عدة أعمال صوفية حول الفتوحات .. فقد اختصرها الشعراني في كتاب بعنوان لوائح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية^(٤) ثم اختصر المختصر مرة ثانية ، وجعله في كتاب بعنوان الكبيريت

(١) د. عفيفي : الفتوحات المكية لمحيى الدين بن عربي ، ص ١٦٥ .

(٢) الشعراني : الكبيريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر ، المقدمة .

(٣) انظر قائمة المؤلفات التي انتصرت لابن عربي ، في مقالة عباس عزاوي : ابن عربي .. ص

١٤٧ .

(٤) توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية (رقم ١٤٦ مجاميع / تصوف)

بعنوان : سواطع الأنوار القدسية فيما صدرت به الفتوحات المكية

الأحمر من علوم الشيخ الأكبر ونسج عبد القادر بن قضيب البان على منوالها
كتاباً بعنوان الفتوحات المدينية وهو كتابٌ مدحه شيخ الإسلام ابن زكريا بقوله
(من الطويل) :

فُتُوحَاتُ شَيْخِي غَاةٌ مَدِينَةٌ
كَسَتْهَا نَفِيسَاتُ الْعُلُومِ مَلَابِسًا
فَلَا عَجَبٍ لَوْ تَشْتَهِيهَا نُفُوسُنَا
وَأَبْحَاثُهَا أَبَدَتْ إِلَيْنَا نَفَائِسًا
فَلِلَّهِ دُرُّ الشَّيْخِ ، أَكْبَرُ عَصَرِهِ

بِأَنْفَاسِهِ لَا زَالَ يُحْيِي الْمَجَالِسَا^(١)

كما ظهر أثر ابن عربي جلياً في التراث الشعري الرائع الذي استلهمه
شعراء الفرس والترك من الفتوحات وغيرها من أعمال الشيخ الأكبر^(٢) .. وإن
كانت الفتوحات لم تحظ بهذا القدر من الشروح التي وضعها الصوفية
والتصوفة على الفصوص نظراً لضخامتها ، إلا أنها حظيت ببعض الجهود الصوفية
الشارحة، كما ظهر من دراسة للصوفي الفرنسي المسلم المعاصر : ميشيل
شودكيفيتش^(٣) .. الذي قام بترجمة أجزاء كبيرة من الفتوحات إلى الفرنسية .

بَابُ الْأَسْرَارِ

تتألف الفتوحات المكية من ٥٦٠ باباً، والباب الأخير منها يبدو كملحق

(١) المحبى : تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر (القاهرة ١٢٨٢ هجرية) ٣ / ٤٦٥ .

(٢) د. عفيفى : ابن عربي فى دراساته (الكتاب التذكارى) ص ٢٥ .

(٣) Michel Chodkiewicz : The Futuhat Makkiyy and ther Commentators .

هذه الموسوعة الصوفية ، فهو عبارة عن مجموعة وصايا للمريد ، قد لا تتصل ببقية الأبواب اتصالاً مباشراً ، وقد طُبِعَ هذا الباب طبعة مستقلة مؤخراً بعنوان الوصايا^(١) .

أما من حيث الوحدة العضوية لأبواب الفتوحات فالباب ٥٥٩ هو ختام تلك الأبواب . وقد جعله ابن عربي بعنوان في معرفة أسرار وحقائق من منازل مختلفة^(٢) ، وقال في مقدمته^(٣) : إن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب ، هو الباب الجامع لفنون الأنوار الساطعة ، والبروق اللامعة ، والأحوال الحاكمة ، والمقامات الراسخة ، والمعارف اللدنية ، والعلوم الإلهية ، والمنازل المشهودة ، والمعاملات الأقدسية ، والأذكار المنتجة ، والمخاطبات المبهجة ، والنفثات الروحية ، والقابلات الروعية ، وكل ما يعطيه الكشف ، ويشهد له الحق الصرف ضمنت هذا الباب ، جميع ما يتعلق بأبواب هذا الكتاب وهكذا يشير لنا ابن عربي بأن هذا الباب التاسع والخمسين وخمسمائة - الذي عُرف بباب الأسرار - هو خلاصة الفتوحات .

وهذا الجزء من الفتوحات ، أو خلاصتها ، يعدُّ من وجهة النظر الصوفية آية من آيات البيان الصوفي الرائع ، وهو يبلغ في النضج التعبيري درجة لا يكاد يلحق بها بصٌ صوفيٌّ آخر .. وقد تركّزت فيه خصائص كتابات ابن عربي على نحوٍ لامتيل له ، مما يجعلنا نتوقّف بعض الشيء عند تلك الخصائص

* أول ما يظهر من خصائص التعبير الصوفي في باب الأسرار هو طابع الرمزية والإيجاز اللفظي الشديد .. فعلى سبيل المثال ، حين يريد ابن عربي أن

(١) نشرته مؤسسة الأعلمي بيروت

(٢) ابن عربي . الفتوحات المكية (دار الكتب العربية) ٤ / ٣٢٦ .

(٣) المصدر السابق . ص ٣٢٧

يصورُ حال الصوفي الذي يقبل على ربه، وكيف يفارق هذا الصوفي الدنيا بهمته، فلا يصير له مطلب إلا الله. يرمز لهذا الإقبال على الله، بطرق الباب . ويرمز لتخلية النفس عن شواغل الدنيا ، بالفراق .. فيقول : الطارقُ مُفارقُ !

* والخاصية الثانية تقوم على الأولى ، إذ أن اتصاف نصّ ابن عربي بهذا القدر من الإيجاز والرمزية ، يجعله أهلاً لما حصر له من تأويلات ومضامين تنتجها المستويات المتعددة لقراءة النص . فهي كتابة تحمل ما لاحصر له من أوجه ومعانٍ ، وبإمكان القارئ للنصّ الذي سنقرأه بعد قليل ، أن يلاحظ - على سبيل المثال - تلك المستويات الدلالية والتأويلات التي علّقنا بها على قول الشيخ الأكبر : نزول الحمام بقيّد الأقدام !

* كما يكشف النص الصوفي في باب الأسرار عن طريقة ابن عربي الخاصة في التضمين، فهو يمزج كلامه بالألفاظ القرآنية بطريقة مثيرة، تجعل المطالع يتزدد بقوة بين المراد القرآني الذي تحتمه دلالة السياق في الآيات، وبين مراد ابن عربي حين وضع ألفاظ الآيات في سياقه المبتكر . وهذه الخاصية تظهر في نصوص ابن عربي بشكل عام، لكنها لا تبدو بمثل هذا القدر من مهارة التضمين وبلاغة التركيب اللذين نراهما في هذا الباب من الفتوحات .

* كما تظهر خاصية قريبة من السابقة، لكنها تعتمد على النقول الصوفية، حيث نرى في الباب استخداماً بارعاً لعبارات الصوفية السابقين على الشيخ الأكبر ، فهو يضمها إلى كلامه بنوع فريد من التناص الذي تتخذ فيه العبارات الصوفية المأثورة، دلالة تختلف ، وقد تكون أعمق ، مما كان يريده قائلها الأول .. ويمكن الرجوع ، كمثال لذلك ، إلى توجيه ابن عربي الباهر لعبارة شيخه أبي مدين: المرید مَنْ يجد في القرآن ما يريد .

* وفى إطار الخصائص السابقة ، تظهر فى بصوص الباب سمة أسلوبية وبلاغية مميزة ، هى الولوج بالجناس فنجد ابن عربى ينظم إشارات فى عبارات سجعية جرسية الإيقاع، فيقول صلصلة الجرس ، عين حمحة الفرس ولنا على هذا القول تعليق وتأويل ، اثبتناه فى هوامش التحقيق.

* وخاصية أسلوبية أخرى ، تتمثل فى سعى ابن عربى إلى اللغة ذات البكارة. فهو ينفذ عن اللفظ كل التراكمات الدلالية السابقة عليه، ويرجع إلى الجذور الاشتقاقية للألفاظ، ليعيد تركيبها فى إطار جديد يتفجر فيه اللفظ المستخدم بدلالات جديدة ، ومفتوحاً مرحلة جديدة من المراحل التى تطورت خلالها اللغة الصوفية^(١) .

* وفى الألفاظ أيضاً، تظهر خاصية فريدة لانجدها قبل ابن عربى . هى شغفة باستغلال المعانى ذات اللفظ الواحد، وهى ظاهرة تُعرف عند المستغلين باللغة بـ : **ما يتفق لفظه ويختلف معناه** . لكن ابن عربى، الذى يرجع للجذور اللفظية ، استطاع أن يستخدم هذه العملية بشكل فريد، وبأمثلة لانراها عند غيره .. فمن ذلك استغلاله لتشابه ألفاظ (الحرب / المحارب) و (الضرر / الضررة) وغير ذلك .

* كما يكشف النصُّ عن خاصية شهيرة فى أسلوب ابن عربى، وهى الاستخدام المتكرر لقضايا علم الكلام والفلسفة والفقه. وهو استخدام خاص يقوم فيه ابن عربى بتفريغ القضية من مفاهيمها السابقة ، ويتوجه بها نحو مفهوم جديد يخدم مراميه .

(١) نصوص اللغة الصوفية ونطورها ، انظر كتابنا

المتراليات : دراسات فى التصوف (الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ١٩٩٨) .

.. تلك هي أهم خصائص لغة ابن عربي كما ظهرت لنا في عبارات الباب ٥٥٩ من كتابه الفتوحات وهو الباب ، كان موضوع شرح عبد الكريم الجيلي .

الجيلي

لن نسرف هنا في الحديث عن الجيلي ، فقد سبق لنا إصدار كتابين عنه، الأول كان يترجم له ويستعرض لطائف من تصوفه، وجعلناه بعنوان عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية^(١) والآخر يتناول فكره الصوفي مقارناً بابن عربي والسهروردي وابن سبعين وابن الفارض، وكان بعنوان الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي^(٢) .. لذا ، سنوجز القول هنا ، ونكتفي بتعريف موجز للرجل وأعماله.

هو قطب الدين عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي ولد أول محرم سنة ٧٦٧ هجرية ببغداد ، ورحل إلى فارس والهند والجزيرة العربية ومصر وفلسطين، ثم استقر في بلاد اليمن حتى وفاته بمدينة زبيد سنة ٨٢٦ هجرية .

وفي بلاد اليمن التقى الجيلي بأفراد مدرسة صوفية كبيرة ، على رأسها شيخه شرف الدين الجبرتي المتوفى ٨٠٦ هجرية ، وقد تعلّق الجيلي بهذا الشيخ على نحو قريب من تعلّق ابن عربي بأبي مدين، فذكره كثيراً في كتبه، ولم يقل عن شخص آخر أنه شيخه .. وقد ألّف الجيلي قصائد عديدة في مدح شرف الدين الجبرتي .

(١) صدرت طبعته الأولى ضمن سلسلة أعلام العرب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ١٩٨٨) وأعيد طبع في بيروت .

(٢) صدرت طبعته الثانية ضمن سلسلة تراثنا (دار الأمين ١٩٩٨) .

ويهمنا هنا أن نلفت النظر إلى ذلك الخلط الذى يقع دائماً بين عبد الكريم الجيلى ، والإمام عبد القادر الجيلانى .. فمع أن كلاهما يُعرف بالجيلى والجيلانى ، إلا أن الإمام عبد القادر سابقٌ على الجيلى بقرنين من الزمان أو أكثر ، فقد توفى ببغداد سنة ٥٦١ هجرية . ولكى نخرج من هذا التشابه بين الرجلين فى المشرب واللقب ، اعتدنا أن نشير إلى الإمام عبد القادر بلقب **الجيلانى** وإلى عبد الكريم بلقب **الجيلى** حيث أن الأول يُنسب إلى **جيلان** نفسها، أما عبد الكريم فينسب لأهلها الذين أقاموا ببغداد، وقد جرت عادة المؤرخين بإطلاق لقب **جيلانى** على مَنْ هو منتسب لجيلان، وإطلاق لقب **جيلى** على مَنْ ينسب لأهلها .. وكان من لطائف المقادير أن كلا الرجلين صار موضوعاً لرسالتى الجامعيتين ؛ فكان الجيلى موضوع بحثى للماجستير، وكان الجيلانى موضوع بحثى للدكتوراه !

ترك عبد الكريم الجيلى قرابة الثلاثين كتاباً ورسالة ، إلى جانب قدر كبير من القصائد الصوفية التى نأمل قريباً فى جمعها بديوان واحد .. وأهم كتبه وأكثرها شهرةً وتداولاً هو **الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر** وهو كتاب فى جزئين ، حاول الجيلى أن يجعل منه دائرة معارف صوفية فلسفية، وأضفى عليه منهجيةً فى عرض الموضوعات - وهى سمة لا نجدها فى فتوحات ابن عربى - وزوّده بتعريف دقيق للمصطلحات .. لكن الكتاب امتاز أيضاً برمزية ثقيلة ، ومبهمات لفظية ، مما لا يجعل قراءته عملاً سهلاً .

وأضخم كتب الجيلى من حيث الحجم هو **القاموس الأعظم والناموس الأقدم فى معرفة قَدْر النبى ﷺ** وهو يقع فى أربعة وأربعين جزءاً، معظمها اليوم مفقود ، والباقى لا يزال مخطوطاً، ومن أجزاء هذا الكتاب :

*** لوامع البرق الموهن.**

* روضات الواعظين.

* قاب قوسين وملتقى الناموسين.

* لسان القدر بنسيم السحر.

* سرُّ النور المتمكّن في معنى قوله ﴿المؤمن مرآة أخيه﴾

* شمسٌ ظهرت لبدر.

ومن وراء ذلك، للجيلي مجموعة مؤلفات أخرى متنوعة الأحجام والقيمة، وكلها - كمؤلفات ابن عربي - مقصورة على التصوف دون غيره من العلوم والفنون.. ومن تلك التأليف: **الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم**، **الناظر الإلهية**، **غنية أرباب السماع وكشف القناع عن وجوه الاستماع**، **إنسان عين الجود**، **كشف الستور عن مخدرات النور**، **مسامرة الحبيب ومسيرة الصديق**، **أمهات المعارف وجنة المريد والعارف**، **المملكة الربانية المودعة في النشأة الإنسانية**، **بحر الحوادث والقادم وموجد الوجود والعدم**، **عيون الحقائق في كل ما يحمل من علم الطرائق**، **حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلائق**.. وقد وردت إشارات إلى بعض هذه الكتب في شرح الجيلي للفتوحات.

شَرْحُ الْفُتُوحَاتِ

في التراث العربي أشكالٌ متنوعة من الشروح، فهناك الشرح على طريقة (قال.. أقول) وهو يعتمد على إيراد العبارة الأولى من الفقرة المشروحة، مسبقة بلفظ قال ثم بيانها وشرحها، مسبوقاً بلفظ أقول وهي طريقة تجعل

النص الشارح لا ينقل النص المشروح بكامله. وهناك شرح الفقرة الذى يعتمد فيه الشارح إلى الإشارة إلى الفقرات الأصلية بعبارة مثل قوله .. إلى قوله .. دون أن يذكر نص الفقرات التى يشرحها ، وهى طريقة لا تستخدم إلى فى شروح النصوص فائقة الشهرة ، مما لا يحتاج معه لإيراد النص المشروح ؛ أو النصوص ذات الحجم الكبير ، مما يعسر معه إيراد المشروح. وهناك الشرح الممزوج الذى يورد فيه الشارح كلمات النص الأصلي داخل فقرات الشرح ، وهى طريقة لا تصلح فى الغالب إلا عند شرح النصوص الصغيرة الحجم .. وأياً ما كان من شكل الشرح ، فالغالب على الشروح ، هو شعور الشارح بأنه أقل منزلة من المؤلف ، أو هو منه بمرتبة التلميذ والتابع ؛ وهى مسألة ضمنية لا تذكرها الشروح ، بل تظهر بين ثناياها بشكل أو بآخر .. هذه المسألة ، لا تظهر عند الجيلى !

أراد الجيلى أن يشرح الفتوحات التى وصفها فى مقدمة شرحه بأنها : أعظم الكتب المصنفة فى هذا العلم - التصوف - نفعاً ، وأكثرها لعجائبه جمعاً ، وأجلها إحاطةً ووسعاً .. لكنه لاحظ أن ابن عربى : لم ينزل يتكلم فى هذا الكتاب عن حقائق الأشياء ، حتى آل به الأمر إلى الإسهاب والإطناب .. ثم لاحظ أن ابن عربى : صرح بأنه جمع معانى العلوم المبسطة فى الكتاب ، وجعلها مرموزة فى الباب التاسع والخمسين بعد الخمسمائة .. فعمد إلى هذا الباب ، قاصداً بشرحه : حلّ جميع مشكلات الكتاب ..

و لم يعتبر الجيلى نفسه مجرد شارح للكتاب ، ولم ير فى نفسه أقل من ابن عربى ، فهو أولاً وأخيراً يريد - بنص قوله - أن : يمنح عباد الله شرباً من عباب المعارف ، ويظهر لهم حلاوة العلم بترتيب الحكمة والآلاء والعوارف .. لهذا لم يجد الجيلى خراجاً فى مخالفة آراء ابن عربى ، وفى انتقاد ما ذهب إليه

الشيخ الأكبر ، وفي وصف صاحب الفتوحات بأنه سها عن بعض الحقائق التي يذكرها هو في شرحه .. بل إن الأمر وصل بالجيلي لدرجة توجيه مقاصد ابن عربي وألفاظه ، إلى حيث يرى هو ويريد !

وهكذا يضعنا شرح الجيلي أمام اثنين من كبار الأولياء ، كلاهما يشعر بتفرده واستقلاله، وكلاهما يرى في نفسه الإنسان الكامل في عصره ، هي المرتبة القصوى في الطريق الصوفي .. خاصة أن الجيلي كتب هذا الشرح - كما سنرى - بعد أن قطع شرطاً طويلاً في طريق الولاية، ونضج في التأليف الصوفي؛ فالشرح ، ليس من مؤلفاته المبكرة ، بل هو من أواخر أعماله.

ونظراً لشعور الجيلي بالاستقلال أمام ابن عربي - وهو استقلال في الحقيقة: غير تام- فهو لم يتلوّن في شرحه بألوان ابن عربي، كما نرى مثلاً عند النابلسي حين يشرح آثار السابقين عليه، بل يسير الجيلي في الشرح بحسب آرائه هو، ويخالف أحياناً آراء ابن عربي ، ويصحّحها ! ولذا نراه يقول في بعض المواضع أنه : **رَفَرَفِي هَذِهِ النَبْذَةُ جَمِيعَ مَا صَرَّحَ بِهِ الشَّيْخُ !** مع أن المفروض أنه يشرح ويصرّح بجميع ما رمز إليه الشيخ (الأكبر) وليس العكس .. وهو في شرحه يقلّب وجوه العبارات ، فنراه يطرح وجهاً معيناً، ثم يقول : **وإن شئت قلت ..** ويقدم وجهاً آخر . وهكذا، يحاول الجيلي تقصّي سائر المعاني الكامنة في كلام ابن عربي ، بأسلوب شديد التركيز .

و لم يلتزم الجيلي بالنص الشعري في شرحه ، فنراه يغض البصر عن بعض الأشعار التي يضعها ابن عربي بين السطور ، اللهم إلا إذا وجد فيها ما يستحق التوقّف .. وأخيراً : فقد أراد الجيلي بهذا الكتاب (الشرح) استعراض النظريات الكامنة خلف النصوص ؛ ولذلك ، فهو لم يقف عند لفظ ابن عربي الظاهر، بل غاص وراء الأفكار الصوفية التي عبّرت عنها ألفاظه .

ولا يوجد أدنى شك في نسبة هذا الشرح للجيلي ، فهو فياضٌ بأسلوبه المميز، وبين سطورهِ العديد من الإشارات إلى كتب الجيلي الأخرى. ومن تلك الإشارات يمكن البحث في تاريخ تأليف الجيلي لهذا الشرح، وهو تاريخ يصعب تحديده بدقة، لكنه بالقطع كان إبان السنوات الأخيرة من حياة الجيلي .. إذ أنه انتهى من تأليف كتابه (الكَمالات الإلهية) سنة ٨٠٥ هجرية، ثم أَلَف (القاموس الأعظم) بعده، وهو يشير إلى الكتاب الأخير في شرح الفتوحات - كما يشير لغيره - مما يؤكد أن شرح الفتوحات من مؤلفاته المتأخرة .

المقتطفات

لم يشرح الجيلي الباب ٥٥٩ من الفتوحات كاملاً ، واقتصر على شرح الأبواب العشرة الأولى من باب الأبواب .. أو باب الأسوار . ربما لأنه وجد ذلك كافياً للحديث عن روح أفكار ابن عربي ونظرياته المهمة كلها، بصرف النظر عن التقيد الدقيق بالألفاظ ، كما أسلفنا.

لكننا وجدنا في بقية الباب آيات من البيان الصوفي والأدبي، فعز علينا أن نهمل تلك البقية .. لهذا ، اخترنا مقتطفات من الباب ، وأردفنا بها تحقيقنا لشرح الجيلي، بعد تزويدها بالمناسب من التعليقات والهوامش المفسرة لها. وقد اعتمدنا في تقديم المقتطفات على طبعة (دار الكتب العربية) للفتوحات، لأنها الأقرب إلى النص الأصلي الذي خطه ابن عربي بيده .. وهذه (المقتطفات) تقف بنا أمام نصوص ابن عربي، بعيداً عن شرح الجيلي، وتُظهرنا في الوقت ذاته على أن هذا الشرح قد حُلّق بالفعل في سماء روح الفتوحات وكشف عن أفكار الشيخ الأكبر الأساسية .. وهي أخيراً تجعلنا نتأمل ذلك النص الصوفي الأدبي الرائع .

ولعل معترضاً يقول : وما الداعى لاقتطاف فقرات من كتاب منشور قبل ذلك، ويُعاد اليوم نشره - على يد الدكتور عثمان يحيى - مُحققاً ؟ ولهذا المعترض نقول : إن طبعة الفتوحات القديمة هي طبعة غير متاحة للكثيرين ، ومليئة بما تمتلئ به الطباعات القديمة من إسقاط لبعض النقاط والهمزات ، مما يجعل قراءتها على الوجه الصحيح عسيرة .. ناهيك عن أن تلك الطبعة غير محققة ولا مزودة بهوامش وتعليقات ، وهذا ما فعلناه هنا .

أما تحقيق الدكتور عثمان يحيى للفتوحات ، فقد بدأ منذ أكثر من عشرين سنة، ولم يصدر منه إلى اليوم إلا سبعة عشر سفرًا من جملة الأسفار السبعة والثلاثين للكتاب . والباب ٥٥٩ يقع في السفر الأخير ، فإذا انتظرنا خروجه مُحققاً كالأسفار السابقة ، وبنفس التمهّل في الإخراج ، فهذا يعنى أن نتظر قرابة نصف قرن .. ناهيك عن ذلك (الإنهاك التحقيقى) الذى يظهر فى الأسفار التى صدرت أخيراً مُحققة ، حيث اقتصر التحقيق على ذكر اختلافات المخطوطات، دونما جهود تحقيقية تخص تلك المصطلحات والمعانى والأفكار التى تحتشد بالكتاب .

* * *

ولما سبق ، عمدنا إلى القطف من باب الأسرار فأصلحنا النصوص ، وحققناها ، وعلّقنا عليها . لتكون (المقتطفات) التى تركها الجليلى دون شرح، خاتمة وملحقاً لشرحه .. ولتكون - وهذا هو الأهم - باباً للدخول إلى عالم ابن عربى، دخولاً متفرداً.

مَنْهَجُ التَّحْقِيقِ

فى الخطوات التى اتبعناها لإخراج هذا النص محققاً، لم نخرج عما هو متعارف عليه من قواعد الإخراج العلمى للتراث المخطوط ، وهى قواعد طالما التزمنا بها فى تحقيقاتنا السابقة^(١) ، ويمكن إجمال خطواتها فى النقاط التالية :

أولاً : حصر المخطوطات

كانت أولى خطوات التحقيق تتمثل فى محاولة حصر أكبر عدد من مخطوطات شرح الجيلى على الفتوحات . وقد أدهشنا آنذاك ، أن كارل بروكلمان لم يذكر هذا الشرح إطلاقاً ضمن كتب الجيلى، وبالتالى ، لم ترشدنا موسوعته إلى أية مخطوطات له^(٢) .. ولما واصلنا التنقيب فى فهارس المكتبات الخطية ، استطعنا أن نتعرف على هذه المجموعة من مخطوطات شرح الفتوحات:

- ١- مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٢٠٠ / تصوف ، عام .
- ٢- مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٢٧١ / تصوف ، عام.
- ٣- مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٦٥٥ / تصوف ، عام.
- ٤- مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٣١ / مجاميع.
- ٥- مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ١٤١٦ / تصوف ، طلعت.
- ٦- مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٧٣٣ / تصوف ، طلعت.
- ٧- مخطوطة المكتب الهندى India Office بلندن ، رقم ٧١ Arabic^(٣) .

(١) انظر تحقيقاتنا للنصوص التراثية ، ضمن قائمة الأعمال المنشورة بآخر الكتاب .

(٢) راجع :

K.Brockelmann : Geschichte der Arabischen Litteratur, Supplement band (Lieden 1938) Iip. 284.

(٣) بمطالعة هذه المخطوطة ، تبين أنها غير كاملة، ولا تحتوى إلا على النصف الأول من شرح الجيلى.

٨- مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (مكتبة الأسد) رقم ٩١١٨ / تصوف.

٩- مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (مكتبة الأسد) رقم ١٦ / تصوف.

١٠- مخطوطة مكتبة بلدية الإسكندرية ، رقم ٢١٨ / تصوف.

١١- مخطوطة المعهد الأحمدي بطنطا ، رقم ٣٢ / خصوصية - تصوف.

ولا نزعم هنا أننا حصرنا جميع مخطوطات الكتاب، فلا شك أن هناك قدراً آخر لا يزال متناثراً بمكتبات العالم المختلفة، إذ يبدو أن النُّسَاح قد اهتموا منذ عصر الجلي بنسخ هذا الكتاب وتداوله، نظراً لأنه يجمع بين اثنين من أكبر رجال التصوف في الإسلام ، هو ما يؤكد وجود ست مخطوطات من شرح مشكلات الفتوحات في دار الكتب المصرية وحدها .. المهم ، أننا في هذه القائمة من المخطوطات ، اعتمدنا في التحقيق على النسخ الثلاث الأخيرة. بالإضافة إلى طبعة الفتوحات المكية نفسها ، وهي الطبعة التي أصدرتها (دار الكتب العربية) سنة ١٣٢٩ هجرية.

ثانياً : وصف نسخ التحقيق

المخطوطات الثلاث التي اعتمدنا عليها في إخراج النص ، لم تنسخ إحداها عن الأخرى، فهي متفاوتة من حيث أخطاء النُّسَاح، ومتباعدة من حيث أماكن حفظها. وبذلك ، لم يكن من الممكن أن نرسم شجرة نسب للمخطوطات التي بين أيدينا ، بحيث نعتبر واحدة منها المخطوطة الأم والباقي مخطوطات ثانوية^(١) .. ومع ذلك فالمخطوطات متفاوتة القيمة ، كما سيبدو من

(١) المخطوطة الأم ، هي تلك التي يكون المؤلف قد كتبها بيده، أو أملاها على بعض تلاميذه .. ثم صارت أصلاً ينقل عنه النُّسَاح اللاحقون .

هذا الرصف .

مخطوطة (أ)

وهي نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية رقم ٢١٨/ تصوف. نسخة غير مؤرخة ، كُتبت بقلم معتاد ، مقروءة تماماً، جيدة . وتضم شرح الفتوحات ، إلى جانب نقول ومقتطفات نثرية وشعرية من كتب الجيلي الأخرى، ويتلو ذلك كتاب : الأجوبة اللائقة على الأسئلة الفائقة ، لابن عربي.

ويقع شرح الجيلي في هذه المجموعة الخطية في ٩٣ صفحة من القطع المتوسط، مقاس الصفحة ٢٢×١٥ سم، تحتوي الصفحة على ١٩ سطراً ، يحتوى كل سطر منها على ٨ كلمات في المتوسط. وقد كتب الناسخ عبارات الفتوحات المشروحة بحبر أحمر غامق، والشرح بحبر أسود .

وعلى الغلاف الخارجى كتب الناسخ : كتاب شرح مشكلات الفتوحات المكية وفتح الأبواب المغلقات من العلوم اللدنية للشيخ المحقق القطب الربانى سيدى عبد الكريم الجيلي قلس الله روحه، آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الآمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .. كما تحمل صفحة الغلاف قراءة محمد بن إبراهيم بن مصطفى باشا الجزايرلى المؤرخة بسنة ١٣٧٨ هجرية.

ويتهى الشرح فى هذه المخطوطة بقوله : وقد تم الكتاب والحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً .. الخ . وقد رمزنا للمخطوطة بحرف أ نظراً لوجودها بالإسكندرية ، وكذلك فعلنا بالنسبة للمخطوطات الأخرى

مخطوطة (هـ)

وهي نسخة الظاهرية رقم ١٦/تصوف . وهي ضمن مجموعة، غير مؤرّخة ، مكتوبة بخط معتاد ردئ ، مقروءة إلى حد ما ، أقل وضوحاً من سابقتها .. ويقع الشرح في ٤٨ صفحة من الحجم الكبير، مقاس ٢٧ × ١٧ ، تحتوي الصفحة الواحدة على ٢٧ سطراً، متوسط كلمات السطر ١٤ كلمة.

وغلاف النسخة يحمل العنوان التالي : كتاب شرح مشكلات الفتوحات للإمام الجليلي قدس الله سره .. وتنتهي المخطوطة بعبارة : شرحنا لك جميع ما حواه الباب العاشر من الفتوحات ، والله الموفق لا رب غيره .. إلخ وعلى الصفحة الأخيرة وقف باسم الحاج سليمان باشا وختم الوقفية.

وقد كتب الناسخ عبارات الفتوحات بحبر أحمر فاتح، ثم كتب الشرح بحبر أسود غامق .. وهناك ورقة ساقطة من المخطوطة أثناء التجليد^(١) .

مخطوطة (ط)

وهي نسخة معهد طنطا الأحمدي رقم ٣٢/ خصوصية ، تصوف . مجلدة، غير مؤرّخة، كُتبت بقلم معتاد ، مقروءة في معظم المواضع ، أوراقها صفراء غامقة. تقع في ١٠٠ صفحة ، مقاس ٢٠ × ١٥ ، الصفحة ٢٠ سطراً ، بكل سطر ٨ كلمات .

وتحمل صفحة الغلاف ، العنوان التالي : هذا شرح مشكلات الفتوحات المكية لسيد محيي الدين بن عربي نفعا الله به آمين وبجانبه تصوير بقلم خفيف: قد ورد في فهرس الكتبخانة الملوكية ، نسبة هذا الشرح إلى سيدي

(١) توجد نسخة ميكروفيلمية من هذه المخطوطة ، بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

عبد الكريم الجبلى وتحتة تقطيع عروضى لبيت شعرى من بحر الكامل.. وأسفل
الصفحة ختم : الكتبخانة الأحمدية .

وتنتهى المخطوطة فى صفحتها الأخيرة بعبارة : الباب العاشر من
الفتوحات المكية، والله الموفق للصواب لا رب غيره، وقد تم الكتاب بحمد
الله وعونه ومدد إمداد وليه ورسوله ونبيه .. إلخ وتحتها ختم الكتبخانة
الأحمدية.

ثالثاً : المقابلة بين النسخ

المقابلة بين النسخ الخطية عملية مهمة لاستخراج النص المحقق خالياً من
أغلاط النسخ ، تلك الأغلاط التى تأتى من سهو كل ناسخ، أو تدخله فى
النص بالتعديل وفقاً لما يراه هو ! وقد استفدنا عند المقابلة من سابق معرفتنا
بأسلوب الجبلى فى مؤلفاته الأخرى، حتى يمكن اختيار اللفظ الصحيح عند
اختلاف ألفاظ النسخ المخطوطة .

كما قارنا عبارات الفتوحات الواردة فى مخطوطات الشرح ، بنص
الفتوحات الذى أصدرته دار الكتب العربية اعتماداً على نسخة الفتوحات التى
كتبها ابن عربى بخط يده . وذلك حتى يمكن التأكد من سلامة النص المشروح،
ومتابعة الشارح (الجبلى) اعتماداً على المؤلف ابن عربى وقد كانت هذه المقابلة
الأخيرة مفيدة فى معرفة العبارات والأبيات الشعرية التى مر عليها الجبلى من
دون شرح، وقد أشرنا إليها فى مواضعها .

وأثناء المقابلة ، قمنا بالعمليات الآتية :

* استخراج النص سليماً من الأخطاء ، كأقرب ما يكون إلى ما كتبه
المؤلف نفسه .

* تعديل الإملائيّات وكتابتها بالأسلوب المعاصر، فالمخطوطات غالباً ما تكتب الهمزة ياءً ، ولا تراعى التنقيط .. وغير ذلك.

* وضع الفواصل والنقط وتقسيم الفقرات بشكل يسهّل مطالعتها اليوم .. وسوف يلاحظ القارئ أن بعض فقرات ابن عربي قد وُضعت كالشعر المعاصر ، لأننا وجدناها بالفعل : شاعرية ومعاصرة !

* وضع عناوين جانبية للموضوعات التي تعرّض لها الجليلي في شرحه .. ومع أننا لا نحبّ التدخل في النص التراثي المحقق ، لكننا لم نجد بُدّاً من ذلك ، نظراً لشدة تركيز الشرح ، وانتقاله الدائم بين عدة موضوعات، مما يجعل ملاحظته عملية مجهدّة للقارئ .. وقد جاءت العناوين المضافة من عندنا داخل أقواس معقوفة [] كي تتميّز عن النص الأصلي .. وفي نفس الأقواس، ذكرنا البحور الشعرية الخاصة بالأبيات الواردة في النص .

يضاف لما سبق ، أننا عند الطباعة وضعنا كلام ابن عربي بينط مختلف عن بنط كتابة شرح الجليلي ، وذلك لمجرد التمييز بين النص الفتوحاتي وشرحه. إذ أن التمييز بينهما باستخدام لونين من الحبر - كما كان يفعل النساخ قديماً- هو أمر غير متاح في الطباعة الحديثة .

رابعاً : الهوامش والكشّافات

يشتمل النص المحقّق على هوامش وكشّافات للتحقيق . أما الهوامش فهي تضم اختلافات النسخ والألفاظ التي استبعدناها من المتن حين اخترنا الأفضل، كما احتوى الهامش على تخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة الواردة في المتن، بالإضافة إلى التعريف بالأعلام المذكورين فيه .. وأخيراً ، يشتمل الهامش على ما لاحصر له من تعليقات ضرورية وتعريفات بالمصطلحات الصوفية .

أما كَشَّافَات التحقيق ، فهي تشمل : كَشَّاف الآيات القرآنية - كَشَّاف الأحاديث الشريفة - كَشَّاف الأعلام- كَشَّاف المصطلحات - كَشَّاف القوافي .. ولم نَرِ داعياً لعمل مزيد من الكشافات ، ككَشَّاف للمواضع، لعدم ورودها بوفرة في النص المحقَّق .

خامساً : ملاحظات التحقيق

أثناء عملية المقابلة ، ظهرت لنا تلك الملاحظات في نسخ التحقيق :

١- يبدو أن ناسخ المخطوطة ط كان مبتدئاً ، لاصبر له على النسخ. فهو كثير التحريف ، عجول في وضع ما يراه صواباً ، من دون إمعان النظر في سياق النص الذي ينسخه .

٢- ناسخ المخطوطة هـ هو أدقُّ النَّسَاح الثلاثة ، فهو في نسخته يدرك المراد بوعى ، ويستدرك على نفسه في هوامش الصفحات، مما يدل على خبرته وأمانته في النَّسخ .

٣- كان أمر ناسخ المخطوط أ وسطاً .. فهو غير متعجل من جهة ، وغير دقيق من الجهة الأخرى . مما يجعل نسخته أقل جودة من النسخة هـ وأفضل من النسخة ط .

٤- في أحيان قليلة ، تختلف عبارة الفتوحات بين الأصل المطبوع عن نسخة ابن عربي ، ومخطوطات شرح الجيلي . وهي اختلافات طفيفة، تؤكد أن الجيلي اعتمد في شرحه للفتوحات ، على نسخة جيدة من الكتاب .

كتاب

شرح شكلات الفنون
المكية وفتح الابواب
الفنات من العلوم الدينية
الشيخ الموفق العظم
الزباني شيخه عبد
الكريم الجليلي
نذكر الله

مكتبة

١٨٤٧٩
١٤٠٠

و صلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

هذا الكتاب من كتب
الشيخ الموفق العظم
الزباني شيخه عبد
الكريم الجليلي
نذكر الله

هذا الكتاب من كتب
الشيخ الموفق العظم
الزباني شيخه عبد
الكريم الجليلي
نذكر الله

هذا الكتاب من كتب
الشيخ الموفق العظم
الزباني شيخه عبد
الكريم الجليلي
نذكر الله

مخطوطة أ

بلدية الإسكندرية رقم ٢١٨ / تصوف

الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم
 أما بعد فإنه لما كان العلم بالله تعالى علم العلوم قدراً وإزناً
 لحاؤاد قها سعتي ولجلها ستر أذ هو العرش الأول والأخير
 الدائم بحكمه ماض في الأولي والأخري ومساواة من العلوم
 ينقطع حكمه بانصرام الدنيا وهو المقصود من معرفة
 سائر العلوم وله لا يغيره فقه العتق والفرق والامانة
 به هم اهل الولاية الكبرى ولما كانت العلوم من صفات
 الجود والكمال فتمت الخصال الأولى والامانة فيه
 قال الله انما يحب شي الله من عباده العلم اريد
 بأذن الله ان اسبح عباده الله شرباً من عباد الله شرباً
 المعارف واظهر من حلاوة العلم بترتيب الحكمة في الآلات
 والمعارف وكانت التوثيقات الكنية اليها الولى
 الاكبر والمطلب الاعظم مظهر الصفة العلمية ونجلي
 الكمالات العينية والحكمة لسان الحقيقة واستاد
 الطريقة المتنوع التابع لانا والشيعة بحبي الدين
 قد اتمد الاوليا المغربي ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد
 ابن المغربي الحائمي الطائي المغربي الاندلسي قدس الله
 سره واعلاء عتده شامدة وقدرة اعظم الكتب المنيرة
 في هذا العلم نفثاوا اكثرها انرايد ويحيى بيده جمعا

نسخ

مخطوطة أ

الصفحة الأولى

بهذا موضع خبير للمعتل حيث وجدني بن غير قديم
 يترسل التهم لا يست والقول من حيث اولها فاسم
 عن ادراك هذا العلم الطوس فيما التهم بين وكونه
 من الله عليه علم نبيا قبل وجود آدم وذريته بالانزال
 المعقول لطلوس الطريقة المأهول الوقوف عن الاذلة
 فانهم قد سرحت لك جميع ما حواه الباب المأشور
 من المتنوعات الكنية والله الوقت لا ريب غيره
 وقد تم الكتاب والحمد لله اولاً
 واخيراً ظاهراً وباطناً والله اعلم
 بالصواب والية المرجع
 والمآب وعلى الله
سنة ثمان وثمانين
الهجرة وعلى الله
 وصحبه وسلم
 تسليماً كثيراً
 دائماً ابداً
 الى يوم
 الدين
 وفيه الله تعالى عز اليك وعظمته في غمرة الحق المجدد

مخطوطة أ

الصفحة الأخيرة

مكتبة تراث مشقة
 اخذت من يداه
 الى بيتي في سنة
 سنة

المكتبة الظاهرية ١٦ تصوف
 سنة ١٠٤ / ٨١

اسم الكتاب
 شرح مشقوة في تصوف

اسم المؤلف
 الشيخ الجليل

تاريخ النسخ

عدد الأوراق

الملاحظات

٤٤ القياس ١١ X ٢١

مخطوطة هـ

الظاهرية (مكتبة الأسد) رقم ١٦ / تصوف

الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فانه لما كان العلم بالشيء اذا اراد
 العلوم قدرا وارفعها في اوارفها معنى واجلها سلا اذ هو الغرض
 اللازم والواجب بالديم فحكمه ماض في الاولى والاخر وما سواه من
 حكمه بانتم من الدنيا وهو المقصود من المعرفة تساير العلوم وانه لا يتغير
 تفكير القلوب والمزاج والعلماء هم افضل الولاية الكبرى والمكان الزاوي
 وهذه افضل العلماء على الاطلاق بالتفصيل والاحمال واجمعهم لكل صفة
 من صفات الحمد والمال فلهما الخلفاء الملائكة الا اذا الامنا وفيهم قال الله تعالى
 انما يحبني الله من عباده العلماء اريد باذن الله انما يحب عباده الذين
 المعارف والمنطق من حلاوة العلم تنقيب الحكمة والاعمال والعوارق وكانت
 الفتوحات الكلية التي انما الولي الكبير الاكثر والقطب الاعظم الذي يظهر
 الصفة العلمية ويحلي الكالات العينية والكلمة لسان الحقيقة واسناد الحقيقة
 المشوع التابع لاثار الشريعة في الدين قدامه الاولياء المقربين اليه عز وجل
 محمد بن علي بن محمد بن العربي الحامدي الطائفي المغربي الافطسي قدس سره
 اعلاه عنده مقامه و قد راى اعظم الكثر المتنفذة في هذا العلم نفعها والخرضا
 لمرايينه وغيابته حقا واجلها اجاطة ووضعا تكلم الشرح فانه بالنسبة كثر
 وافصح عن معاني غريبه خطيرة فصرح تارة عن حاله وتارة اخرى عن حال
 واقصر ظورا عن مقصوده وادرج اخرى عن مراده في الحال ولم يزل رضى
 الله عنه يتكلم في هذا الباب على حقايق الاشيا حتى الى به الامر الى الاسباب
 والاطنانية فحسب عليه الاكثرين بتحصيله وفات على القالب معرفته وتاويله
 وصار الناس فيه بين احدى رجلين رجل يحسن معنى معرفته ما اراد الشرح من
 كتاب الفتيحات من كتابات عجيبه واشارات غريبه وانقطع بالكلية من
 ذلك تعلم لانه يختار عقل كل قاضل وليب من حل مشكل من ذلك
 الغريب لكنه رضى الله عنه صرح بان جميع معاني العلوم المستوطنة في ذلك
 الكتاب وجعلها موزعة في الباب التاسع والخمسون بعد الانسان من الابواب
 والى ذلك المنشور وادرج ذلك العلم الكبير القدر الكثير الفروع على وضعه الغريب
 واسلوبه الغريب انغلق بالكلية فهم معاجله في ذلك الباب على كثر

هذا الكتاب
 من كتب
 الفقه
 والعلوم
 الشرعية
 والاسلام

مخطوطة هـ

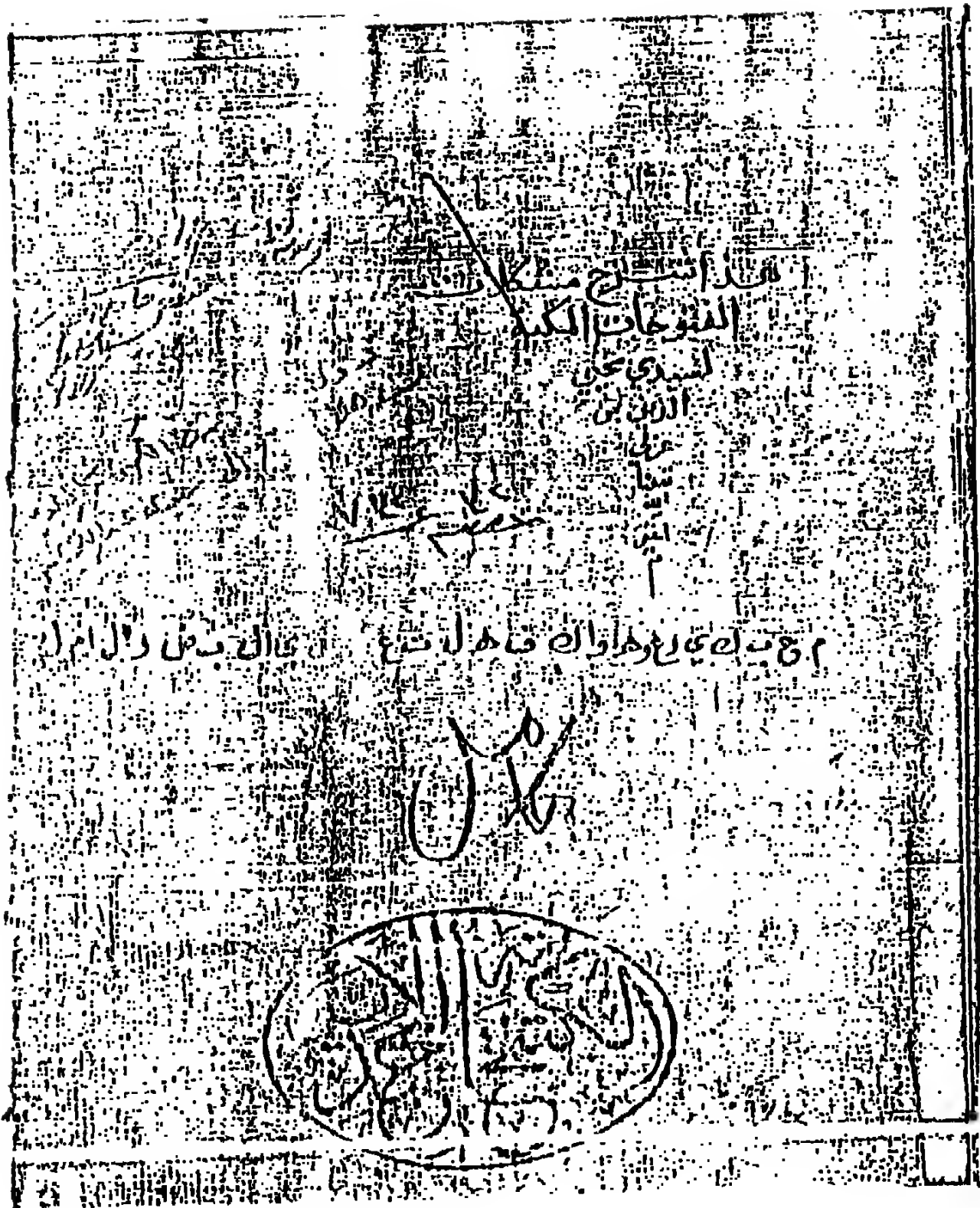
الصفحة الاولى

شرحنا لك جميع ما حواه الباب العاشر من الفتوحات والله الموفق
لأرب غيرة والصلوة والسلام على من لا نبي بعده وخيرنا الله ونعم
الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
المظن والمجالد
رب العالمين

وقفه ساداتكم الخلد ليمان بايت

مخطوطة هـ

الصفحة الأخيرة



مخطوطة ط

المعهد الأحمدي بطنطا رقم ٢٢ / خصوصية

الغلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ تَقْتَنِي
 وَمَنْ عَلَى اللَّهِ عَمَلِي شَيْئًا مُحَمَّدٌ وَعَلَى آلِهِ عَدَدُهُ
 أَتَقَامُ رَحْمَةً وَأَفْضَالَهُ أَمَّا بَعْدُ فَيَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا كَانَ الْعِلْمُ
 قَالَهُ أَغْلَى الْعِلْمُ فِي رَجُلٍ فَأَوْفَعُهَا فَخَرًا وَأَدْقَهَا مَعْنَى
 وَأَحْلَاهَا سَبِيلًا ذَهَبَ الْغَرَضُ الْإِلَازِمُ وَالْوَاجِبُ الدَّائِمُ
 كَيْفَ مَا دُنِيَ فِي الْأَوَّلِي وَالْآخِرِي وَمَا سِوَاهُ يَنْقَطِعُ
 بِمَا تَصْلَحُ الْأَشْيَاءُ وَهُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ مَعْرِفَةِ شَيْئٍ
 لَا يَمُوتُ وَبِهِ لَا يَغْيَرُ يَفْتَحُ الْعُقُولَ وَالْأَهْوَامَ وَالْأَعْيُنَ
 فِي شَمَاسِ الْوَلَايَةِ الْكَثِيرِي وَالْإِيمَانَةِ الْإِلَهِي وَهُوَ أَفْضَلُ
 الْأَشْيَاءِ الْأَطْلَاقِي وَالْتَفْصِيلِي وَالْإِبْهَالِي وَالْإِجْمَاعِي
 الَّذِي يَتَوَدَّدُ مِنْ صِفَاتِ الْحَمْدِ وَالْكَفَالِ فَهَذَا الْخَلْقُ
 الْأَدْنَى الْأَمْنَى وَفِيهِمْ قَالِي اللَّهِ تَعَالَى إِنَّمَا يَخْشَى
 اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ أَرَأَيْتُمْ أَتَذْكُرُ اللَّهُ أَنْ أَفْعَلَ عِبَادَ
 اللَّهِ عِبَادِي الْمَقَارِفُ وَأَطْبَارُ مِنْ خَلْقَةِ الْعِلْمِ
 وَبَيْنَ الْأَشْيَاءِ الْأَوَّلِي وَالْآخِرِي وَالْأَوَّلِي وَالْآخِرِي
 الْكَفَالَةِ الْأَوَّلِي الْأَكْبَرُ وَالْقُتْبُ الْأَعْظَمُ مظهر
 حَقِّهِ الْأَدْنَى وَالْأَوَّلِي الْأَوَّلِي الْأَعْبَدِي وَالْأَكْبَرُ
 الْأَوَّلِي وَالْآخِرِي الْأَوَّلِي وَالْآخِرِي الْمُنْتَوِعُ الْمُنْتَوِعُ
 الْأَوَّلِي وَالْآخِرِي الْأَوَّلِي وَالْآخِرِي الْأَوَّلِي وَالْآخِرِي
 الْأَوَّلِي وَالْآخِرِي الْأَوَّلِي وَالْآخِرِي الْأَوَّلِي وَالْآخِرِي
 الْأَوَّلِي وَالْآخِرِي الْأَوَّلِي وَالْآخِرِي الْأَوَّلِي وَالْآخِرِي

الباب العاشر من الفتوحات المكية والله

الموفق للصواب

لا اله الا الله

محمد

الله

وغيره

وغيره

وغيره

وغيره

وغيره

وغيره

وغيره

وغيره

وغيره

وغيره

وغيره

وغيره



مخطوطة ط

الصفحة الأخيرة

رموز التحقيق

أ مخطوطة الإسكندرية (رقم ٢١٨ / تصوف) .

ط مخطوطة طنطا (رقم ٣٢ / خصوصية) .

هـ مخطوطة الظاهرية (رقم ١٦ / تصوف) .

ف طبعة الفتوحات (سنة ١٣٢٩ هجرية) .

- كلمة ساقطة .

+ كلمة زائدة .

∴ اتفاق الأصول الخطية على خطأ.

() اختلاف النسخ .

(*) التخريج والتعليقات.

[] العناوين الجانبية المضافة من المحقق .

كتاب

شرحُ مُشْكِلَاتِ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ
(النصُّ المحقَّق)

المَقْدَمَةُ

أَرَدْتُ - يَا ذن الله - أَنْ أَمْنَحَ عِبَادَ الله
شَرْباً مِنْ عُجَابِ المَعَارِفِ ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

أما بعد؛ فإنه لما كان العلم بالله، أعظم العلوم قدراً وأرفعها فخراً وأدقها^(٢) معنى وأجلها سراً، إذ هو الغرض اللازم والواجب الدائم^(٣)، فحكمه ماضٍ في الأولى والأخرى^(٤)؛ وما سواه من العلوم^(٥)، ينقطع حكمه بانصرام الدنيا. وهو المقصود من معرفة^(٦) سائر العلوم، وبه لاغيره تفتخر العقول والفهوم. والعلماء به، هم أهل الولاية الكبرى والمكانة^(٧) الزُّلْفَى، وهم أفضل^(٨) العلماء - على الإطلاق^(٩) - بالتفصيل والإجمال، وأجمعهم لكل

(١) في بداية النسخ المخطوطة :

أ : وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

هـ : وبه نستعين والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذي اصطفى.

ط : وبه ثقتي وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله عدد أنعام الله وأفضاله .

(٢) هـ : وأرقها .

(٣) هـ : بالدائم .

(٤) هـ : والآخرة .

(٥) هـ - ، + ط .

(٦) هـ : المعرفة .

(٧) أ : ولمكانه .

(٨) العبارة التالية ساقطة من أ .

(*) نظر الصوفية إلى طريقهم إلى الله على أنه الطريق المثلى ، وأن علمهم به - تعالى - هو أهم العلوم ومنتهأها .. والملاحظ ، أن أصحاب كل علم ، كانوا أيضاً يرفعون من قدره على سائر العلوم بشكلٍ أو بآخر ! أما علوم الصوفية فهي رفيعة القدر نظراً لرفعة مصدرها، وهو الحق سبحانه وتعالى .. باعتبارها علوماً إلهامية .

وصف محمود من صفات المجد والكمال . فهم الخلفاء^(*) ، الكملاء ، الأدباء ،
الأمناء؛ وفيهم قال الله^(١) ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(**) . أردتُ -
بإذن الله - أن أُمْنَح عباد الله شرباً^(٢) من عباب^(٣) المعارف، وأُظْهِر لهم^(٤)
حلاوة العلم بترتيب الحكمة في الآلاء والعوارف .

وكانت الفتوحات المكية التي أَلْفَهَا الوليُّ الأكبر^(٥) والقُطْبُ الأعظم
الأفخر^(٦) ، مظهر الصفة العلمية ، ومجلى الكمالات العينية والحكمية^(٧) ، لسان
الحقيقة وأستاذ الطريقة، المتبوع التابع لآثار^(٨) الشريعة : محيي الدين، قدامة
الأولياء المقرئين، أبو عبد الله محمد بن عليّ بن محمد^(٩) بن العربي الحاتمي الطائفي
المغربى الأندلسي ، قدّس الله سرّه وأعلى^(١٠) عنده مقامه وقدره؛ أعظم الكتب
المصنفة في هذا العلم نفعاً ، وأكثرها لغرائبه وعجائبه^(١١) جمعاً، وأجلّها إحاطةً

(*) بقصد خلافة النبوة ، كما ورد في الحديث الشريف : العلماء ورثة الأنبياء .

(١) هـ : الله تعالى .

(**) سورة فاطر ، آية ٢٨ .

(٢) هـ : شرباً .

(٣) - هـ ، أ : عباد .

(٤) أ ، ط : وأظهر من / هـ : والمظهر

(٥) هـ : الكبير الأكبر .

(٦) - أ ، ط .

(٧) ط : والحكمة / أ ، هـ : الحكمة .

(٨) أ : لآثار .

(٩) ط : أحمد .

(١٠) .: أعلا .

(١١) ط : وعجائبه .

ورسعاً تكلم فيها باللسنة كثيرة^(١) ، وأفصح^(٢) عن معان غريبة خطيرة ؛
فصرح تارة عن حالة، ورمز أخرى عن حال . وأفصح طوراً عن مقصود ،
وأدمج أخرى عن مراد في المقال .

و لم يزل ، رضى الله عنه ، يتكلم في هذا الكتاب^(٣) على حقائق الأشياء،
حتى آل به الأمر^(٤) إلى الإسهاب والإطناب ، فعسر على الأكثرين تحصيله،
وفات عن^(٥) الغالب معرفته وتأويله. وصار الناس فيه بين أحد رجلين : رجلٌ
عجز عن تحصيل الكتاب^(٦) ، وعن اتتوال^(٧) الفائدة منه، وخاب .. ورجلٌ
حصل ، وعجز عن معرفة ما أراده الشيخ من كُنَايَاتٍ^(٨) عجيبة وإشاراتٍ
غريبة، فانقطع بالكلية عن درك علمه؛ لأنه يختار عقل كل فاضلٍ وليب ،
في^(٩) حلّ مُشكل ذلك الرمز الغريب^(١٠) .

لكنه ، رضى الله عنه ، صرح بأنه جمع معانى العلوم المبسوطة في ذلك
الكتاب، وجعلها مرموزة في الباب التاسع والخمسين^(١١) بعد الخمسمائة من

(١) هـ : فيه بالنسبة كثرة.

(٢) أ : وأوضح ، ط : وأوضع.

(٣) هـ : الباب .

(٤) (٤) - أ ، ط.

(٥) أ : وعن ، ط : وفات عن.

(٦) هذا الموضع مضطرب في كل النسخ..

(٧) هـ : تناول.

(٨) هـ : كتاب الفتوحات من

(٩) .. عن

(١٠) مطموسة في هـ ، أ : من الغريب.

(١١) هـ : الخمسون.

الأبواب ، و كَفَّ^(١) ذلك النَّشْرُ^(٢) ، وأدمج ذلك العلم الكبير القدر ، الكثير
الفخر ، على وضعه العجيب ، وأسلوبه العزيز الغريب ، فانغلق^(٣) بالكلية فهمُ ما
جعله في ذلك الباب ، على كثيرٍ من أولى الألباب .

فقصدتُ بشرح هذا الباب المخصوص ، حلَّ جميع مشكلات الكتاب^(٤) .
واختصرتُ في الكلام ، لتلا يفضى^(٥) إلى الإسهاب والإطناب ، وسميته:
شرح^(٦) مشكلات الفتوحات المكية ، وفتح الأبواب المغلقات من العلوم
اللدنية. غير أني سأتحفه تهذيباً ، وأجعله على أسلوب الكتاب ترتيباً ، ومن الله
المرجو^(٧) أن يعمَّ به الإنتفاع ، ويقدح بأسماعه زناد الأسماع ، فيفهم معانيه كل
مَنْ سمعه^(٨) أو نظر فيه.. إنه وليُّ الإجابة ، والموفق للإصابة .

وهو المستعان وعليه التكلان .

(١) هـ : وألف .

(٢) هـ : المنشر .. والنشر : الريح الطيبة.

(٣) هـ : انغلق.

(٤) هـ : مشكلاته .

(٥) هـ : يطول .. وبقيّة العبارة ساقطة .

(٦) هـ : بشرح.

(٧) أ ، ط : المرجوا .

(٨) أ : سمع.

البَابُ الْأَوَّلُ

نَحْنُ ؛ مَحَلُّ انْجِلَاءِ كُلِّ شَيْءٍ ،
وَضُهُورِهِ .

[أسرار إلهية]

قال الإمام رضى الله عنه^(١) : الباب التاسع والخمسون بعد الخمسمائة،
فى معرفة أسرار وحقائق من منازل مختلفة^(٢) . أراد بالأسرار : اللطائف الإلهية
التي أودعها فى ذوات الموجودات، فاختص كل موجود^(٣) بلطفة هى محتده من
كمال الحق تعالى^(٤) ، بها يرجع إلى ربّه؛ وهى الحاكمة على روحه وقلبه، ومن
ثم قيل: بين العبد وربّه سرٌّ لا يطلع عليه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ^(٥) .

وسبب ذلك، أن كلّ شئ من الموجودات مملوء بما أودعه الله فيه من
خصائصه، فليس فى شئ^(٦) فضلة يسع بها ما فى غيره^(٧) . فما لكل أحد من
الله، إلا ما هو عليه ذلك الشخص منه .. غير هذا لا يكون ؛ ولكن قد يكون
سرٌّ بعض الأشخاص ذاتياً ، فيرجع إليه فى الحكم ، جميع أسرار الموجودات^(٨) ؛
لضرورة رجوع الصفات إلى الذات، فيحوى كل ما^(٩) حواه الوجود، إجمالاً
وتفصيلاً ، وليس له على التفصيل، إلا ما هو عليه عيناً ووجوداً .. فافهم .

وأراد بالحقائق : ما تقتضيه تلك الأسرار من الأوصاف والنسب الإلهية^(٩)

(١) هـ : الشيخ ... ونفعنا بعلومه .

(٢) ف - الفترحات المكية (طبعة دار الكتب العربية) المجلد الرابع ص ٢٢٦ .

(٣) - هـ .

(٤) هـ : بين عبادته .. وبقية العبارة ساقطة .

(٥) ورد فى الحديث الشريف : لى وقتٌ مع الله لا يسعنى فيه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ .

(٥) أ : فيه .

(٦) هـ : فى غير الله .

(٧) + أ .

(٨) أ ، ط : كلما .

(٩) أ ، ط : الالية

الحقيقية. وأراد بالمنازل : أطوار المراتب المختلفة ، لأنه لا يمكن أن تجتمع^(١) مخلوقات^(٢) في مرتبة من المراتب الإبداعية؛ هذا لا يكون أبداً، لأن الله تعالى أوسع^(٣) من أن يتجلى على عبيد^(٤) بصفة واحدة ، أو بصفة على عبد مرتين. فليس في الوجود شيء مكرّر ؛ بل كل شيء له مرتبة مخصوصة به، وصفة من صفات الله تعالى يرجع بها إليه، واسم حاكم له وعليه. ولولا ذلك لاختلطت الجزئيات ورجعت إلى الأمر الكلى ، وانهم^(٥) الأمر التفصيلي، والتحق بعض الوجود ببعض، فزال الضد والنظر^(٦) ، فاتحد الماء بالنار، وبطل حكم التركيب^(٧).. وليس هذا إلا في البداية والنهاية^(*) ، وأما في البرزخ الفاصل بين الأزل والأبد^(**) ، فلا بد من رعاية ترتيب الحكمة الإلهية التي بها قامت الأحكام وتميز الكفر والإسلام وظهرت الربوبية والعبودية ، إلى غير ذلك من المراتب الخلقية والمظاهر الحقية التي قصد الإمام -رضي الله عنه- أن يتكلم عليها في هذا الباب .

(١) : يجتمع .

(٢) ط : مخلوقاً .

(٣) - أ ، ط .

(٤) أ : إلى عبيد ، ط : على عبده .

(٥) هـ : وانهم ، غير واضحة في أ .

(٦) أ : والنظر .

(٧) هـ : التركي .

(*) يقصد بالبداية، ما كان عليه الحال قبل الخلق . والنهاية : حالة رجوع الأمر إلى الله .

(**) غالباً ما يشار بالبرزخ إلى مرحلة ما قبل البعث ، أي فترة وجود الإنسان في القبر .. وسرف

يعود الجيلي لبيان حقيقة البرزخ، في شرحه للباب العاشر . وبخصوص البرزخ عند ابن عربي،

يمكن الرجوع إلى البحث الرائع الذي وضعه د. نصر حامد أبو زيد ، بعنوان : فلسفة التأويل ،

ص ٤٧ وما بعدها .

[تعريف الإنسان الكامل]

فأول ما أنشأ في ذلك، قال : **الله في خلقه نذيرٌ يُعلمهم أنه البشيرُ** .
أراد رضى الله عنه بالنذير والبشير : الحقيقة المحمدية الكلية، التى هى موجودةٌ
بجربانه^(١) فى كل نبيٍّ ووليٍّ بالعين والشهود^(٢) . وفيما عدا هذين الوصفين -
بالحكم والوجود- فهى على التحقيق روح الأرواح، ولهذا قال : **وهو السراجُ**
الذى سناه يُبهرُ ألبابنا المنيرُ ، أى، الحقيقة المحمدية هى^(٣) النور الذى يقع به
التميُّز، ومن ثمَّ عبَّر رسول الله ﷺ عن روحه الكريمة بالعقل ، فقال فى حديث:
أول ما خلق الله العقل^(*) . وقد ورد عنه أنه قال^(٤) : **أول ما خلق الله روح**
نبيك يا جابر^(**) . فعلمنا أن روحه هى العقل الذى به ظهر^(٥) الوجود ، وتميُّز
العابد من المعبود، لأن الله تعالى جعل^(٥) العقل الأول جامعاً لحقائق الموجودات،
وأبرزها منه على الترتيب الذى أراده فى علمه ، وقضى به فى حكمه.
والدليل على ذلك، ما ورد فى الحديث عنه ﷺ ، أنه قال حاكياً عن الله

(١) أ ، هـ : يجزئياتها .

(*) الحقيقة المحمدية ، نظريةٌ صوفيةٌ تفصل بين الوجود الجسدى للنبي (الوجود الزمنى) والوجود
المعنوى له (الوجود المطلق) فحقيقة محمد ﷺ مطلقةٌ غير مرتبطة بزمن ، ولذا يقال عن النبي: يا
أول خلق الله وآخر رسل الله.

(٢) ط : هو.

(**) أخرجه أبو داود (السنن ، ١٦) والترمذى (الصحيح ، تفسير ٦٨) وابن حنبل (المسند
٢١٧/٢) بلفظ : أول ما خلق الله القلم .. والحديث بلفظه السارد هنا ، ذكره الغزالي فى
الإحياء، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط عن عائشة بإسناد ضعيف .

(٣) هـ : فى حديث آخر.

(**) حديث مشهور ، رواه جابر.

(٤) أ : ظهر به

(٥) هـ : خلق

تعالى أنه قال للقلم : **اكتب**^(١) . فكتب فى اللوح المحفوظ، ما كان ، وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة. والقلم هو العقل الأول المعبر عنه بالروح المحمدية، لقوله عليه الصلاة والسلام^(٢) : **أول ما خلق الله القلم** . فوجه الجمع^(٣) بين هذه الأحاديث الثلاثة، أن يكون المراد بجميعها واحداً.

ثم نبه الشيخ -رضى الله عنه - على تحقيق ظهور صفات العقل الأول فى كل قطبٍ كاملٍ بقوله : **فى كل عصر**^(٤) له شخصٌ تجرى بأنفاسه الدهور. يعنى: لظهور صفات الحقيقة المحمدية فى كل عصرٍ، إمامٌ مستكملٌ الشروط القطبية ؛ تجرى بأنفاسه الدهور^(٥) ، أى : يتحكم فى حركات^(٦) الوجود وسكناته، حسبما يقتضيه الكمال الإلهى، خلافةً محمدية .

وكان أول ظاهر بهذا المقام ، أبونا آدم عليه الصلاة والسلام^(٧) ؛ وهو لنا، بحكم الوراثة من أئمتنا^(٨) .. وسيكون آخر من يظهر بهذا المقام، عيسى عليه الصلاة والسلام^(٩) .

(*) الحديث : **أول ما خلق الله القلم** ، فقال له : **اكتب** ، فكتب (راجع تخریجه فيما سبق) ولابن تيمية مفهوم خاص للأولية فى مثل هذا الحديث ، مفاده أن كلمة أول تعنى : عندما .

(١) هـ : صلى الله عليه وسلم.

(٢) هـ : الجميع.

(٣) هـ : له ، ط : لى .

(٤) أ : الدهر.

(٥) هـ : بحركات.

(**) المقام المشار إليه هنا ، هو مقام الإنسان الكامل. وكان ابن عربى قد تناول ظهور حقائق الإنسان الكامل فى الأنبياء، فى كتابه فصوص الحکم الذى يبدأ بالفصص الخاص بآدم .. وآدم هنا، ليس الشخص المحسوس الزمنى، وإنما الحقيقة الإنسانية ذاتها .

(٦) هـ : الأنبياء .

(٧) هـ : عليه السلام .

[حقائق الإنسان الكامل]

ولما فرغ الشيخ ، رضى الله عنه ، من تعريفه^(١) . أراد أن يصرّح أنه لا يكون فى الزمان ، إلا لواحد^(٢) ، فقال : **عَيْنُهُ فى الوجود فرداً ، الواحدُ العالمُ البصيرُ** . أى ذكره على التعيين ، أنه يكون فرداً فى الوجود ، لا منازع له فيه ؛ فعَيْنُهُ النُّورُ المحمديُّ الجزئى^(٣) ، الذى هو روح . والشيخ رضى الله عنه ، عبّر عنه بالواحد - بالجيم - لكونه وجده كذلك فى سِرِّه ، وعلمه بإعلام الله إياه ، ورآه ببصره .. فالوجود يتعلق بالإدراك ، والإعلام بالسمع ، والرؤية بالبصر .. فلهذا قال : **عَيْنُهُ الواحد العالم البصير** .

* * *

ولما فرغ الشيخ^(٤) من التنبيه على ذلك ، استأنف الكلام ، ونادى حقيقته ؛ فقال : **يا واجداً مَجْدَهُ تعالى ، ليس له فى الورى نظيرٌ** . أعلم أنه ليس كل مَنْ عرف الله تعالى ، وَجِدَ عنده تعظيمٌ ، فَمَجْدَهُ كما ينبغى له ؛ وإنما يحصل ذلك للكُمُل من أوليائه . ولهذا نبّه على ذلك من نفسه بقوله : **يا واجداً مَجْدَهُ أى عَظَّمَهُ الله تعالى** .

ولما كان فى المحل مظنة لقول مَنْ يقول له : **كأنك تقول إن القطبَ كالحقّ** ، يتصرّف فى العالم تصرّفه ؟! قال فى الجواب ، دفعاً لذلك السؤال : **ليس له فى الورى نظيرٌ** ليزول توهم السامع ، فلا يطعن فى اعتقاد الشيخ .

(*) يقصد تعريف مقام الإنسان الكامل ، بجلى الحقيقة المحمدية فى كل عصر .

(١) أ : الزمان الواحد .

(٢) أ ، هـ : الجزوى / ط : الجرى

(٣) أ :

ويُحتمل أن يكون قوله يا واحداً بالحاء المهملة ، ويكون حينئذ مَجْدُهُ مرفوعاً^(١) على أنه فاعل تعالى ؛ فيكون تقديره : يا واحداً تعالى مَجْدُهُ .. ويكون الخطاب حينئذٍ للذات الإلهية ، التي هي ذاته وذات كل ذات؛ فافهم^(٢) .

ثم أنه أراد أن^(٣) يُبين أن ذلك التصريف المنسوب إلى القطب، راجع إلى الله تعالى . فقال : ليس لأنواره ظهورٌ ، إلا بنا ؛ إذ لنا^(٤) الظهور . أراد بالأنوار: الصفات والأسماء الإلهية التي لا تظهر لها، إلا بوجود الخلق . لأنه يستحيل ظهور الرازق ولا مرزوق، والخالق ولا مخلوق، والقادر ولا مقدور عليه .. إلى غير هذه المعاني، مما^(٥) لمقتضى الأسماء والصفات ؛ ولهذا قال : ونحن مجلى لكل شيء، يظهر في عينه الأمور . الضمير في عينه ، يرجع إلى مجلى .. والمراد : نحن مظهر^(٦) لكل شيء، تظهر الأمور في عين^(٧) ذلك المظهر ؛ أى تبدو فينا كلُّ الأمور، لأننا مجلى كل شيء ومظهره ، لأن الحق الذي هو أصل جميع الأشياء، إنما ظهر بنا من حيث ذواتنا وأعياننا ؛ فبنا تصور ، وفينا ظهر . فنحن : محل^(٨) انجلاء كل شيء وظهوره .

(١) - أ ، العبارة بكاملها ساقطة من ط .

(٢) * يصرّح الجبلى هنا - بقوة - بنظريته في الوحدة الإلهية .. وهو ما سوف يعود للحديث عنه بالتفصيل فيما بعد .

(٣) - أ .

(٤) هـ : بنا .

(٥) أ : مما هو .

(٦) هـ : مجلى .

(٧) - ط .

(٨) هـ : مظهر .

[العلوم الدنية]

إِعلم ، أَيَدنا اللهُ وإِيَّاكَ ، أن الشيخ -رضى اللهُ عنه- لَفَّ في هذه الأبيات^(١) جميع ما أراد نشره^(٢) في هذا الباب . ولما أراد التنبيه على عظم^(٣) هذا الباب قال: إِعلم أَيَدنا اللهُ وإِيَّاكَ بروح القدس، أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب. هو الباب الجامع لفنون الأنوار الساطعة، والبروق اللامعة، والأحوال الحاكمة ، والمقامات الراسخة ، والمعارف الدنية، والعلوم الإلهية ، والمنازل المشهودة ، والمعاملات الأقدسية ، والأذكار المنتجة ، والمخاطبات^(٤) المبهجة، والنقثات الروحية، والقابلات^(٥) الرؤعية، وكل ما يعطيه الكشف ، ويشهد له الحق الصرف.

التأييد، هو المدد . وروح القدس، هي الحقيقة الإسرافيلية التي تظهر على

(*) الأبيات التي شرحها الجليلي فيما سبق، بدأ بها ابن عربي الباب ٥٥٩ من الفتوحات ؛ ونصّها:

لله في خلقه نَذِيرٌ	يُعَلِّمُهُم أَنَّهُ الْبَشِيرُ
وَهُوَ السَّراجُ الَّذِي سَناءُ	يُنْهَرُ أَلْبَابنا المنيرُ
في كُلِّ عَصْرِ لَهُ شَخِيرٌ	تَجْرِي بِأَنْفَاسِهِ الدُّهُورُ
عَبْنُهُ فِي الْوُجُودِ فَرْداً	الوَاحِدُ الْعَالِمُ الْبَصِيرُ
يَا وَاحِداً مَجْدُهُ تَعَالَى	لَيْسَ لَهُ فِي الْوَرَى نَظِيرُ
لَيْسَ لَأَنْوارِهِ ظُهُورُ	إِلَّا بِنَا إِذْ لَنَا الظُّهُورُ
فَنَحْنُ مَجْلَى لِكُلِّ شَيْ	يَظْهَرُ فِي عَيْنِهِ الْأُمُورُ
	[غُلج البسيط]

(١) أ : لنشره .

(٢) هـ : عظم مقدار .

(٣) + ط .

(٤) ف ، هـ : القابلات / أ : القائلات / ط : المقابلات .

هياكل^(*) المحققين، لتقدّس أرواحهم من نقائص أحكام البشرية وغيرها. و من زائدة ! فتقديره: إن هذا الباب أشرف أبواب الكتاب ، لكونه هو الباب الحاوى لفنون -أى لجنس- الأنوار الساطعة، وهى البوادرى والبوادة^(١) التى تفجأ العباد والزهاد من مطالعات أنوار عجائب الملكوت^(**) .

والبروق اللامعة^(٢) ، هى^(٣) عبارة عن مبادئ ظهور أنوار التجليات ؛ وهى لأهل البداية . والأحوال الحاكمة؛ يعنى على المريدين : كالشوق ، والولّة، والقلق، والحزن، والقبض، والبسط، وأمثال ذلك. والمقامات^(٤) الراسخة؛ للسالكين: كالرضا^(٥) ، والتفويض ، والزهد ، والمراقبة ، والمحاسبة، وأمثال ذلك. والمعارف اللدنية؛ للعارفين : وهى العلوم الواردة عليهم من قبل الحق بلا واسطة، لأنها من لدنه تعالى .

والعلوم الإلهية ؛ هى ما أدركه المحققون من المعلومات، على حقيقة^(٦) الإتصاف بالصفة العلمية الإلهية .. فهى من عين علم الله بذاته وبمخلوقاته . والمنازل المشهودة ؛ يعنى مقامات الأولياء فى الله تعالى، من الغوثية والفردية

(*) الهياكل : الأجساد.

(١) أ : البوادرى.

(**) تعريف البوادة هنا ، قريبٌ من تعريف ابن عربى لها ، بكتابه اصطلاح الصوفية (انظر :

رسائل ابن عربى- طبعة حيدر آباد ، الدكن ص ١٠)

(٢) هـ : الساطعة اللامعة.

(٣) ط : التى هى .

(٤) هـ ، ط : المعارف .. والعبارة ساقطة من ط .

(٥) .: الرضى .

(٦) أ : بحقيقة .

والبديلية، وغير ذلك. والمعاملات الأقدسية؛ هى التى من شأن الملامتية^(١) فى جميع أحوالهم وحركاتهم .. ولأجل ذلك جعلها أقدسية ولم يجعلها^(١) قدسية لأنهم ذاتيون ، فكل ما يُنسب إلى الذات من حيث هى ذات، يُسمى أقدسياً، وكل ما^(٢) يُنسب إلى ما ينزل عن التجلى الذاتى - كتجليات الأسماء والصفات- يُسمى قدسياً .

والأذكار المنتجة؛ التى هى من أوراد الصوفية ، أهل الإستقامة على الطريقة والشرعية . والمخاطبات المبهجة؛ التى هى لأرواح الملائكة من الحق تعالى، فيما يخص كلامهم على العموم، ولأرواح عباد الله على الخصوص.. وقد شرحنا طرفاً منها، فى كتابنا المسمى بالناموس الأعظم والقاموس الأقدم فى معرفة قدر النبى ﷺ^(٣) .. فافهم .

والتَّقَات الروحية؛ هى التى من شأن سادات^(٣) الملائكة على التخصيص^(٤)،

(*) الملامتية : طائفة من أهل الله ، بالغوا فى لوم النفس لتصفيتها ، كما بالغوا فى إخفاء صلاحهم عن عيون الناس. راجع بمختصصهم : الصوفية واللامتية وأهل الفتوة للدكتور أبو العلا عفيفى، مع تحقيق رسالة الملامتية للسُّلَمى (مطبوعات الجمعية الفلسفية المصرية) .

(١) هـ : يقل .

(٢) :- فكلما .

(**) هو مؤلف ضخمة يقع فى أجزاء كثيرة ، معظمها مفقود والباقي مخطوط، وكل جزء منه يمثل كتاباً مستقلاً ؛ ومن هذه الأجزاء : لوامع البرق الموهن - روضات الواعظين - قباب قوسين وملتقى الناموسين - لسان القلر بنسيم السَّحَر - سِرُّ النور المتمكن فى معنى المؤمن مرآة أخيه - شمس ظهرت لبدر .. وفى كتاب (مراتب الوجود ص ١٩ ، ٢٧ ، ٣٢) نجد الجليلي يدعو الله أنه بوقفه فى استكمال بقية أجزاء الكتاب ، مشيراً إلى (شمس ظهرت لبدر) وهو الجزء الرابع بعد الأربعين من هذا الكتاب .

(٣) أ : سارات ، هـ : سادة .

(٤) أ : التحقيق .

وَنُودَى لَهُمْ أَنْ يَلْقُوا عَلَى مَنْ أَرَادَ^(١) اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عِبَادِهِ؛ فَالْنَفْثُ هُوَ الْإِلْقَاءُ ،
وَهُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ ، وَلِلْأَوَّلِيَاءِ إلهَامٌ . وَالْقَابِلَاتُ^(٢) الرُّوحِيَّةُ؛ يَعْنَى بِالْقَابِلِ :
الْكُونُ ، وَبِالرُّوعِ : النَّفْسُ .. يُرِيدُ بِذَلِكَ : الْمَظَاهِرُ الْمَوْجُودَةُ مِنْ نَفْسِ الْحَقِّ فِيهِ .
وَكُلُّ مَا يَعْطِيهِ الْكَشْفُ ؛ يُرِيدُ : مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ مِنْ وَرَاءِ أَطْوَارِ الْعَقْلِ
وَالنَّقْلِ ، فَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْكَشْفِ . وَمَا شَهِدَ لَهُ الْحَقُّ الصَّرْفُ ؛ يَعْنَى عُلِمَ بِالْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ ، وَحُكِّمَ الْعَقْلُ السَّلِيمُ .

فَجَمَعَ^(٣) هَذَا الْبَابَ ، أَصْنَافَ الْعُلُومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْحَقِّ وَالْخَلْقِ ، وَمَا فِي
الْوُجُودِ سِوَى ذَلِكَ ، فَحَوَى جَمِيعَ عُلُومِ الْوُجُودِ . ثُمَّ نَبَّهَ الشَّيْخُ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - عَلَى إِحَاطَةِ هَذَا الْبَابِ بِجَمِيعِ مَا فِي كِتَابِ الْفَتْوحَاتِ ، فَقَالَ : ضَمَّنْتُ
هَذَا الْبَابَ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَبْوَابِ هَذَا الْكِتَابِ ، مِمَّا لَا بَدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ ، مَرْتَباً مِنْ
الْبَابِ الْأَوَّلِ^(٤) إِلَى آخِرِهِ - يَعْنَى آخِرَ الْكِتَابِ - فَمِنْ ذَلِكَ أَيْ فَمِنْ بَعْضِ مَا
تَضَمَّنَهُ هَذَا الْبَابُ مِنَ الْعُلُومِ الْمَذْكُورَةِ : سِرُّ الْإِمَامِ الْمُبِينِ ؛ وَهُوَ الرُّوحُ الَّذِي
تَكَلَّمَ عَلَيْهِ فِي ابْنِ الْأَوَّلِ مِنَ الْفَتْوحَاتِ ، وَهُوَ حَقِيقَةُ الْخْتَمِ ؛ وَهِيَ اللَّطِيفَةُ
الذَّاتِيَّةُ الْمُتَعَيَّنَةُ^(٥) فِي الصُّورَةِ الْجَزْئِيَّةِ^(٦) ، بِالْكَمَالَاتِ الْكُلِّيَّةِ^(٧) .

فَالسِّرُّ هُوَ اللَّطِيفَةُ الْمَذْكُورَةُ ؛ وَالْإِمَامُ الْمُبِينُ هُوَ الرُّوحُ الْإِضَافِيَّةُ ، وَقَدْ عَبَّرَ

(١) هـ : شَاءَ

(٢) ط : الْمَقَابِلَاتُ .

(٣) يوجد في هذا الموضع اضطراب في ترقيم الورقات بنسخة (هـ) ويبدو أنه بسبب التجليد .

(٤) - ف .

(٥) هـ : الْمُتَصَلَّةُ .

(٦) يقصد النفخة الإلهية التي نفخها الله في جسم آدم ، وتوارثها أبنائه .

(٧) + هـ .

عنها بقوله : الإمام^(١) المبين هو الصادق الذي لا يمين^(٢) . الفرق بين الروح الإضافية والسرّ، أن السر هو اللطيفة الذاتية بنظره إلى الكمالات الإلهية ، من غير^(٣) اعتبار المظهر. والروح الإضافية ، هي عين تلك اللطيفة الذاتية ، لكن باعتبار المظهر وإضافته إلى الظاهر فيه .

وإنما سُمّي السرُّ سرّاً ، لأنه تحذيةٌ بسرّ الربوبية المحضة^(*) ، تحقيقاً لما تقتضيه الذات الإلهية. وأدب الموطن يقتضى عدم الإفشاء بذلك^(**) . والحكمُ المُسمّاة إنساناً و آدمياً وعبداً ، لمقتضياته الذاتية له، اللازمة لصورته الناقصة المبينة للكمال، لئلا يلزم التناقض بين حاله ومقامه، إذ ليس ذلك من الشئون الكمالية. فكتمه^(***) لذلك المعنى، من عين أوصاف الرتبة^(٣) الكمالية. فجعل ذلك التحذى سرّاً لا جهراً، لما يقتضيه الكمال من صفة الحق، وأدب المقام اللازم للخلق.

ثم تكلم على تلك اللطيفة بعبارةٍ أخرى ؛ فقال : مجلّى ما أحاط به

(*) لم يتوقف الجلي هنا عند بيتين وردا بهذا الموضع فى الفتوحات .. يقول البيتان (من الكامل):

إِنَّ الْإِمَامَ هُوَ الْمَبِينُ شَرَعَ مَنْ شَرَعَ الْأُمُورَ مُبَيِّنًا لِعَبِيدِهِ
مِنْهَا الَّذِي فِي حَقِّهِمْ تَلْوِينُهُ وَكَذَلِكَ مَا يَخْتَصُّ فِي تَوْحِيدِهِ

(١) هـ : لا يمين

(٢) هـ : عين .

(*) سرّ الربوبية : هو توقف الربوبية على المربوب ، فلولا عبودية العبد لم تكن ربوبية الرب (انظر: اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ١٠٢).

(**) يقول الصوفية : إفشاء سرّ الربوبية كُفْرٌ

(***) يقصد ؛ فكتم ابن عربى سر الربوبية .

(٣) أ : الربوبية .. والعبارة ساقطة من هـ.

العلم، وتشكّل فيه كيف والكم . هو - أى^(١) الروح - محلّ انجلاء^(٢) العلم الإلهي^(٣) . يعنى أن^(٤) الروح المقدّسة، التى هى عينُ الروح الإضافي والسّرّ الذاتى؛ هى عين العقل الأول المعبر عنه بالقلم الأعلى. ولهذا كان مجلى المعلومات الإلهية، مما هو معنى: كالصفات والأعراض، أو صورة: كالذوات والجواهر^(٥) .. وعن ذلك عبّر بما تشكّل كيف فيه.

ثم تكلم على تلك اللطيفة بعبارة أخرى؛ فقال: وجلت به الأعراض^(٥)، وفعل بالإرادات والأغراض، فانفعلت^(٦) به الأوعية^(٧) المراض. أراد أن يُبين أن تلك اللطيفة هى الروح الإنسانية، التى هى المدبّرة للجسم، فهى جوهرٌ محلّ^(٨) العَرَضُ فيه، ويفعل فى عالمه وفى تدبير جسمه بالإرادة متى اختار، وتنفعل له الأجسام التى تحت تدبيرها.. وإنما سمّاها الأوعية المراض لأن الأجسام كالأرواح، من حيث أنها عين الحق؛ فلنقصان تحقّقها فى الظهور بالصفات الإلهية التى تظهر فى الأرواح، سُمّيت مراضاً.. لأنها ليست فى صحة اعتدال الأرواح.

(١) أ: أن .

(٢) هـ: الجلاء .

(٣) - هـ.

(٤) -: .

(*) الجوهر: إصطلاحٌ يطلق على عدة معانٍ، أشهرها: الموجود القائم بنفسه، حادثاً كان أو قديماً، ويقابله (العَرَض) الذى يتعلّق بالجوهر، دون أن يكون له وجود مستقل.. انظر: كشّاف اصطلاحات الفنون، للتهانوى، المجلد الأول ص ٢٠٣.

(٥) ط: الأرض .

(٦) ف: وانفعلت .

(٧) أ: الأدعية .

(٨) هـ: محلاً، ط: محل .

فلما فرغ الشيخ -رضي الله عنه- من العبارة عن أطوار هذه الروح، تكلم عنها عند نهايتها في الرتبة الكمالية. لأنه رضي الله عنه، كان هو الإنسان الكامل، وهذه العلوم^(١) التي يوردها في كتبه قاطبة، مستفادة له، أخذها من روحه، حسبما ذكر ذلك على الإطلاق في الباب الأول من الكتاب؛ فقال يصف حالتها في الكمال: **النور الباهر وجوهر الجواهر**. يعنى: الروح الكامل^(٢)، هو النور الباهر^(٣).. يريد بذلك، صفات الألوهية. لأن الذات ظلمة، والصفات نور^(*).

واعلم أنه من لا يكون في نفسه ذاتاً ساذجاً يقبل معناه الانطباع بكل صورة من صور الوجود، سواء كانت تجليات إلهية أم عينية كونية أم حكميات علمية؛ لا يمكنه^(٤) تحقيق الإتيان بالصفات الإلهية، ولا يستطيع أن يبرز بالفعل ما هو فيه بالقوة^(**)، ولا ينطلق بالشأن الكلّي، لكونه مقيداً بالحصص الجزئي. وعن ذلك الانطباع بصورة كل صورة، معنى عبر عنه بأنه **جوهر الجواهر** ثم شرحه، وأوضح ما أبتهمه وفتحته؛ فقال^(٥): **يقبل الإضافات الكونية، والإستتارات الغيبية^(٦)، والأوضاع الحكمية، والمكانات**

(١) - هـ.

(٢) أ: الكمال.

(٣) أ: الظاهر.

(*) جاء في الحديث الشريف: إن الله تعالى سبعين حجاً من نور وظلمة..

(٤) أ: لا يمكنك.

(**) القوة والفعل: من مصطلحات الفلسفة التي تعود إلى أرسطو، والمثال الذي يوضح الفرق

بينهما، هو أن الطفل رجل بالقوة، فإذا شبّ وبلغ مبلغ الرجال فهو رجل بالفعل.

(٥) أ: وقال، هـ: ففتحته وقال رضي الله عنه.

(٦) ف: والإستتادات العينية.

الحُكْمِيَّة، رفيعُ المكانة، كثيرُ الإستكانة، عَلِمَ في رأسه نارٌ، عبرةٌ لأولى الأبصار. يعنى : إن روح الإنسان الكامل ، يقبل جميع أحكام الظهور والبطون.. فكُنَى عن أحكام الظهور، بالإضافة الكونية. وعن أحكام البطون، بالإستتارات الغيبية - والإستتارات بالتاء المثناة من فوق، والغيبية بالغين المعجمة(*) - وهو العالم المقابل لعالم الشهادة؛ يعنى : إنه مع تمكنه بعالم الغيب، شهادىٌ ، ومع تحققه بعالم الشهادة، غيبىٌ . فهو فى الآن الواحدِ والساعة الواحدة: ظاهرةٌ بوصف الحقِّ والخلق، قابلٌ لحُكْمِيَّهما(**).

وكنى عن ترتيب وضع الحكمة فى الأكران، بقوله والأوضاع الحكمية بتحريك الكاف. وكنى عن المكانة الإلهية التى قبلتها هذه الروح الكاملة، بقوله والمكانات الحكمية بإسكان الكاف. فالإنسان رفيع المكانة لأنه موصوفٌ بالصفات الإلهية. كثير الإستكانة إلى ما هو له من ذلك الجناح . عَلِمَ فى رأسه نارٌ أى : هى(***) عَلِمَ على الذات الإلهية . فى رأسه النارُ الموقدة التى تطلع على الأفتدة****) ، المعبر عنها بالجلال والعظمة والقهر والكبرياء .. فهى الرياسةُ الإلهيةُ التى هى آخر شئٍ يخرج من رؤوس^(١) الصَّديقين ، أى تظهر عليهم فى نهايتهم؛ لأن الإِتصاف بالعظمة والكبرياء^(٢) والقهر ، لا يكون إلا فى

(*) يُلاحظ هنا ، أن الكلمات التى شرحها الجليلي ، تخالف ما ورد فى طبعة كتاب الفتوحات (الإستنادات العينية - الإستتارات الغيبية) ولعل ذلك هو السبب فى تأكيد الجليلي لقراءته هنا. (**) يكون الإنسان الكامل متصفاً بالصفات الإلهية ، كالكرم والحلم والتصرُّف ، لكنه لا يخرج عن أحكام البشرية.

(***) يقصد ، الصفات الإلهية.

(****) تضمينٌ لقوله تعالى ﴿نَارُ اللَّهِ الموقدة التى تطلع على الأفتدة..﴾ سورة الهمزة ، آية ٧ .

(١) .: روس .

(٢) - أ .

الكمال. ومن ثمّ ، هلك الرجل الذى نظر إلى أبى يزيد^(*) - وقد كان يرى ربّه كل يوم فلا يضرّه شيء ولم يصبه سوء - لأنه كان يرى ربّه على قدر قابلية نفسه، فاستطاع الثبوت^(١) عنده لذلك.. فظهر^(٢) عليه أبو يزيد بالعظمة والهيبة - ومن وراء قابليته - فهلك، لأن قابليته لا تبلغ قابلية أبى يزيد، فما استطاع الثبوت عنده^(**). ولذلك قال فيه إنه عبرة لأولى الأبصار وقد شرحنا فى هذه

(*) هو سلطان العارفين ، أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامى، المتوفى ٢٦١ هجرية. من كبار صوفية القرن الثالث الهجرى، اشتهر بما روى عنه من شطحات وأقوال غريبة بالنسبة للعوام . قال الذهبي : وله نكت مليحة ، وجاء عنه أشياء مشككة لا مساغ لها، الشأن فى ثبوتها عنه، أو أنه قالها فى حال الدهشة والسكر والغيبة والخو، ولا يحتج بها إذ ظاهرها إلحاد، مثل : سبحانى .. ما فى الجبة إلا الله .. ما النار ؟ لأستندئ إليها غداً وأقول : إجعلنى قداماً لأهلها وإلا بلعتها (سير أعلام النبلاء ١٣/٨٨) أنظر ترجماته فى :

طبقات الصوفية ٦٧- حلية الأولياء ١٠/٢٣- المنتظم ٥/٢٨ - معجم البلدان ، مادة بسطام- اللباب ١/١٥٢- وفيات الأعيان ٢/٥٣١ - ميزان الاعتدال ٢/٣٤٦- البداية والنهاية ١١/٣٥- النجوم الزاهرة ٣/٣٥ - شذرات الذهب ٢/١٤٣ .. وتوجد له ترجمات مفردة وبحوث خاصة ، منها كتاب الدكتور عبد الحليم محمود (أبو يزيد البسطامى) وكتاب الدكتور بدوى (شطحات الصوفية) .

(١) - أ.

(٢) الفقرة التالية ساقطة من هـ .

(**) ذكر ابن حميس فى المناقب والغزالي فى الإحياء وصاحب القوت وغيرهم ، عن بعض أصحاب أبى يزيد ، قال : كان عندى شاب صغير ملازم للخلوة . فقلت له : هل رأيت أباً يزيد؟ قال : لا .. رأيت الله فأغنانى عن أبى يزيد ! فكورت عليه القول .. فخرجنا نطلب أباً يزيد ، وإذا به قد خرج من النهر ، وفروته مقلوبة على كتفه. فلما رآه الشاب، صاح ومات. فقلت لأبى يزيد : ما هذا ، فإنه ذكر أنه يرى الله وما مات ، يراك فيموت ؟ فقال: نعم ، كان يرى الله على قدر حاله، فلما نظر إلى، رأى الله على قدر حاله، فلم يثبت، فمات (مرآة الزمان، لسبط ابن الجوزى، ضمن كتاب : شطحات الصوفية ص ٢١٣).

النبذة ، جميع ما حواه هذا الباب من كتاب الفتوحات^(*) ، فافهم.

*

*

*

(*) لم يشرح الجيلي من الفتوحات ، الفقرة التالية : يُملَى جميع ما سطر ، وما هو بمسيطر . ماله وجود إلا بما يحمله ، ولا يفصل إلا بما يقبله . هو المخصى لما علم وجهل وفصل وأجل . لكل صورة فيه عين ، وله في كل صورة كون يمد ويستمد ويعد له ويُعد منه ، ظهرنا وإياه ، نهينا وأمرنا .

البَابُ الثَّانِي

هَيْهَاتُ .. أَنِّي يَسْعُ الْكَوْنُ ذَلِكَ !

[حقائق الحروف]

قال الشيخ : ومن ذلك أى ومن بعض ما تضمّنه هذا الكتاب^(١) من العلوم المذكورة : **سِرُّ الظُّرْفِ المودع فى الحرف** . سِرُّ الظرف، هو المعانى الكمالية التى أودعها فى الحرف^(٢) . والحرف هو الاسم والصفة الإلهية ؛ وقد شرحنا ذلك فى كتابنا **الناموس الأعظم والقاموس الأقدم فى معرفة قلندر النبى** ﷺ وقلنا فيه إن الحروف على ثمانية أطوار :

* حروفٌ حقيقيةٌ ؛ وهى أعيان الأسماء والصفات .

* وحروفٌ عاليةٌ ؛ وهى ذوات معلومات العلم الإلهى، المعبر عنها بالأعيان الثابتة فى العلم الإلهى .

* وحروفٌ روحيةٌ ؛ وهى الأرواح النورية التى أظهر الله بها هذا الوجود، كما أظهر الكلمات بالحروف الملفوظة .

* وحروفٌ صوريةٌ ؛ وهى جوانح هذا العالم^(٣) الكلى، وجوارح الإنسان بالحكم الجزئى^(٤) . وقد فصلنا فى كتابنا الموسوم **بقطب المعائب وفلك الغرائب**^(٥) كل ما^(٥) يختص بجوارح^(٦) الإنسان من الحروف، وقس على

(١) أ : الأول .

(٢) هـ : الحروف .

(٣) أ : العلم .

(٤) أ : الجزئ ، هـ : الجزوى .

(*) ذكر الجليلى هذا الكتاب ، فى بداية كتابه الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل قائلاً

أنه لا يفهم الإنسان الكامل إلا من وقع على هذا الكتاب .. والكتاب مفقود .

(٥) أ : فلما .

(٦) أ : بخارج .

ذلك ما يضاويه من العالم الكبير . وقد ذكرنا مضاهاتها في كتابنا^(١) الموسوم بالناموس الأعظم والناموس الأقدم^(٢) ، في معرفة قدر النبي ﷺ فتفطن لذلك، والله الموفق .

* وحروفٌ معنويةٌ ؛ وهى حركات الأشياء وسكناتها، ينشأ منها حروفٌ ، يتركب من تلك الحروف كلماتٌ مناسبةٌ لحال ذلك المتحرك، كالإنسان فى حال قيامه ، يتركب منه صورة ألف؛ وهى فى حال منامه صورة الباء، إلى غير ذلك. حتى أنه يتصرف صاحب هذا العلم، بحركات جسمية كما يتصرف بالحروف ، إن كان عارفاً بكيفية التصرف بها.

* وحروفٌ حسيةٌ؛ وهى^(٣) ما تُشاهد رقماً^(٤) وكتابةً.

* وحروفٌ لفظيةٌ ؛ وهى^(٥) ما تشكّل فى الهواء^(٦) من قرع الرياح، الخارج من الحلق على مخرج الحروف.

* وحروفٌ خياليةٌ ؛ وهى صورة تلك الحروف فى نفس الإنسان، عند تعقله^(٧) لها .

وكلُّ نوعٍ من أنواع هذه الحروف ، ظروفٌ لسرٍّ إلهيٍّ . أى مظهرٌ لظهور

(١) - أ .

(٢) العنوان غير كامل فى ط.

(٣) .: وهو .

(٤) أ : شوهد.

(٥) أ : وهو.

(٦) .: الهوى.

(٧) أ : تعلقه.

كمالاً^(١) ، أودعه الله^(٢) بتجليه عليه ، حين^(٣) خلقه من المحتد المقتضى لذلك ،
بحكم ما لذلك المحتد من معنى الجمال أو الجلال^(٤) أو الجمع أو الكمال .

ولما كانت الأسماء والصفات ، حاملة لما فيها من شؤون الذات الظاهرة
عليها لذى التجليات ؛ قال : الظرف^(٥) وعاء ، والحرف^(٦) وطاء . يعنى
بالظرف : الألوهية المفهومة عند إطلاق اسم الله على ذات واجب الوجود
تعالى ، عند اعتباره لما يُوصف به من الكمال والجمال والجلال . فالإسم -
أعنى مفهوم هذه الحروف - محل لتلك الكمالات المعبر عنها بحقائق الأسماء
والصفات . وعاء ، أى : الألوهية حاملة للمعاني الكمالية الإلهية . والحروف -
يعنى الإنسان - وطاء ، أى مظهر لتلك المعاني .. تختلف صورته وتحكم صورته
يعنى : الألوهية تختلف صورتها ، بحسب تعينها فى كل فرد فرد من الكُمَل
الأفراد ، كما ظهرت فى إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم
أجمعين ، وفيمن سواهم من الأنبياء والأولياء على الخصوص ، بالتعيين والوجود ،
بل فى كُلِّ ذرّة من ذرات الكائنات على العموم بالحكم^(٧) والشهود ، فهى
على اختلاف صورها ومظاهرها ، واحدة العين ، لاتعدّ فيها من حيثها^(*) . وإلى

(١) هـ : كمال الحق .

(٢) هـ : الله تعالى .

(٣) هـ : حتى .

(٤) أ : والجلال .

(٥) أ : الظروف .

(٦) أ : الحروف .

(٧) هـ : العموم بالحكم .

(*) يقصد : من حيث كون الموجودات ، مظاهر للتجلي الإلهى .. ولكى نفهم كلام الجليلى هنا ،
لابد أن نتعرّف إلى مفهوم الألوهية عنده . بقول الجليلى : الألوهية اسم جامع لكل مراتب =

ذلك أشار بقوله وتحكم سورته ولهذا قال^(١) : هُوَ . يعنى الظرف الذى عبّرنا عنه باسم^(٢) الله - وإن شئت قلت الحرف الذى عبّرنا عنه أنه الإنسان الكامل - معنى المعانى. يصح أن يكون مغنى بالعين المعجمة، فيكون تعبيره : أنه محل المعانى الكمالية. ويصح أن يكون بالعين المهملة ، فيكون معناه : أن الاسم لله. معنى معانى الأسماء والصفات، أى مفهوم^(٣) جميع الكمالات الإلهية. لأن الألوهية هى المظهر لاختلاف الأشكال والمباني^(٤) .

المباني - بالباء الموحدة من تحت - تعنى^(٥) : إن الألوهية ، التى هى حقيقة الأسماء والصفات ، هى التى أظهرت صور الأشكال الخلقية والأوضاع الكونية. لكونها آثار تجليات السبع المثاني التى هى أمهات الظهور وأئمة المظاهر الحقة^(٦) ، فهى الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام. وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى لنبيه^(٧) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٨) والمراد بالقرآن العظيم ، ما ترجع إليه هذه الصفات^(٩) . فكانت

= الوجود ، بل هى الجامع بين الأضداد كالحق والخلق والوجود والعدم .. والألوهية تختلف عن الأحادية، التى هى أعلى الأسماء (انظر : الإنسان الكامل ١ / ٢٣)

(١) - أ ، هـ : رضى الله عنه.

(٢) أ : باسمه ، والعبارة ساقطة من ط.

(٣) هـ : معنى.

(٤) هـ : فالمعانى.

(٥) . يعنى

(٦) م : الخفية

(٧) هـ : ﷺ .

(٨) سورة الحجر ، آية ٨٧

(٩) ينظر الجليلى هنا إلى النبى ﷺ ، على أنه الإنسان الكامل الذى تجلّت فى حقيقته الأزلية، الصفات الإلهية السبع التى يصفها الجليلى بأمهات الظهور

الألوهية - وإن شئت قلت روح الإنسان الكامل - جامعةً للمظاهر الخلقية والمظاهر الحقيّة عموماً على الإطلاق .

ولهذا قال^(١) : يحوى الله وجوده . أى يحيط وجود الإنسان الكامل واسم^(٢) الله ، بجميع معانى^(٣) الألوهية تفصيلاً وإجمالاً . ويغنى عن شهود الحق شهوده . أى : شهودك للإنسان الكامل يُغنيك عن شهودك للحق المطلق . ويحتمل أن يكون المراد : إن شهودك لمعاني^(٤) الألوهية - باستحضارها فى ذهنك وتعقلك^(٥) لها - يُغنيك عن مطالعة ما نُقل إليك بالكتاب والسُّنة من العلوم والمعارف، التى هى حقٌّ لا ريب فيه . يعنى : إنك تنال بدوام حضورك مع معانى الإسم الإلهي، وتعقلك له بحكم ما يقتضيه من الكمالات ؛ وتصل إلى ما لا يُنال ، وتصل^(٦) إلى ما لاتصل إليه بواسطة النقل والعقل ؛ على أنهما حقٌّ^(٧) .

[مقامات الكمال]

ولما بيّن حقيقة^(٧) الإنسان الكامل، من حيث أمره الكلّي؛ أراد أن يكشف

(١) أ : فلهذا ، هـ : رضى الله عنه .

(٢) أ : والاسم ، ط : أو اسم .

(٣) أ ، هـ : المعانى .

(٤) أ ، هـ : المعانى .

(٥) هـ : بعقلك .

(٦) هـ ، ط .

(*) يشير الجليلي هنا إلى المقابلة بين علمي الظاهر والباطن، مع التأكيد أن علوم الظاهر (النقل والعقل) هى علوم حق .. أما علوم الباطن، فهى علوم حقيقة وشهود ومعاينة ذوقية .

(٧) .: عن حقيقة .

عن كيفية تقلبه في الأطوار الكلية التي تتحقق^(١) بها له، حقائق ما هو منظور فيه من الألوهية المحضة، فقال: منازل معدودة . وهي سبعة أطوار ، لا بد لكل كامل أن يقطع تلك المنازل، حتى يبلغ درجة التحقيق .

الطور الأول التوحيد الصرف لا بد للولي أن يقطع مسافة الفرق ، حتى يحصل في حقيقة الجمع^(٢) ، فلا يشهد ولا يسمع ولا يعلم شيئاً سوى الله تعالى .. وهو ما دام فانياً ، لا يسافر من هذا المنزل^(٣) .

فإذا بقي بالله^(٤) ، سافر إلى الطور الثاني ، فيحصل في حقيقة جمع الجمع^(٥) . وفي هذا المشهد، يفنى مَنْ كان باقياً بالطور الأول، ويبقى مَنْ

(١) يتحقق

(*) ذكر الجيلي هنا اصطلاحين من أدق الإصطلاحات الصوفية (الفرق الجمع) والمراد بهما على وجه الاختصار

الفرق ؛ أن يشهد الصوفي الموجودات الكونية دون التحقق بوجود الحق تعالى فيها.. ولذا قيل: الفرق شهود الخلق بلا حق

الجمع ؛ ألا يشهد الصوفي في مرحلة أعلى ، سوى الحق تعالى . فلا يتفرق نظره في الموجودات المتعددة يقال : الجمع شهود الحق بلا خلق .

(٢) + هـ : عن

(**) هناك عدة مستويات دلالية لمصطلحي الفناء والبقاء (راجع : التعريفات ص ١٤٣ ، الرسالة ص ٣٩ ، التعرف ص ١٥٠ ، اصطلاح الصوفية لابن عربي ص ٦) والمراد هنا : أن الصوفي في مقام الجمع ، يفنى عن وجوده ، ووجود كل ما في الكون ، فلا يشعر به ؛ نظراً لاستهلاكه في رؤية الله؛ فالفناء حال قريب من الذهول عن كل شيء سوى الله . وبعد الفناء ، يأتي مقام البقاء ، حيث ترسخ قدم الصوفي ، فيبقى في الله مشاهداً الحق في ذرات الخلق .. وعلى هذا المعنى ، يدور كلام الجيلي هنا .

(**) جمع الجمع : شهود الخلق قائماً بالحق، ويسمى الفرق بعد الجمع (اصطلاحات الصوفية للقاشاني ص ٤١)

كان فانياً ، فيتحقق^(١) حينئذٍ بالوحدة المحضة ، ويضرب له مثلاً على الرقيم الحامل للمعاني الكمالية^(٢) بكأسٍ ملآن خمرًا، فشرب الخمر ، ورُمى بالكأس ، فانكسر وانعدم^(*) .

ومن هذا المنزل ، يسافر إلى الطور الثالث - وهو^(٣) طور السداجة المحضة الذاتية الصرفة - فيقبل^(٤) بحقيقته وهيئته ، التصوّر بكلّ صورةٍ من صور التجليات، ومعنى من معاني الأسماء والصفات ، وبكلّ هيئةٍ وحالةٍ وشكلٍ وحُكمٍ من سائر الموجودات. فيكون عين كل شيءٍ، على ماهو عليه ذلك الشيء. ويكون متصوراً في نفسه بصورة ذلك الشيء، يرى نفسه فيه بنفسه، على التفصيل؛ جمعاً وفرادى، ظاهراً وباطناً ، حقّاً وخلقاً ، كوناً وبنواً^(**) .

ومن هذا المنزل ، يسافر إلى الطور الرابع. فيُعطي مفاتيح الغيب ، وهي

(١) هناك جزء ساقط من الأصل الذي نقل عنه ناسخ مخطوطة (ط) وقد تنبه الناسخ لهذا السقوط، فكتب في هذا الموضع: **هنا نقص في الأصل لتأمل** ! وسوف نشر فيما بعد، إلى نهاية الجزء الساقط.

(٢) أ : الكاملية.

(*) يتوغل الجيلي هنا في مفاوز الرمز الصوفي ، ليلمح إلى معنى يبدو لنا على النحو التالي :
إذا وصل الصوفي لإدراك معنى الوحدة المحضة حيث لا وجود إلا لله فقط، يكون هذا الصوفي وكأنه يتناول كأساً (الكون) به خمر (الوجود الإلهي) فيشرب الخمر (يتحقق بأنه لا موجود سوى الوجود الإلهي) فيرمى بالكأس (لايلقى بالاً إلى العالم الحسي) فينكسر الكأس وينعدم (يتلاشى بالكلية وجود الخلق) وعندئذٍ تقف العبارات والإشارات.. أو كما قيل : تتسع الرؤية، فتضيق العبارة ! ولذا رمز الجيلي هنا ، ولم يصرّح .

(٣) .: وهي .

(٤) .: يقبل .

(**) يتعرّض الجيلي هنا إلى مقابلة الإنسان الكامل للكون كله، بحيث يصير الإنسان الكامل كوناً جامعاً تقابل كل حقيقةٍ منه، رقيقةً من رقائق الوجود . وقد عرضنا لهذه الفكرة بالتفصيل في بحثنا : الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي ص ٨٥ وما بعدها .

الأسماء التى أظهرت صور الكائنات من الغيب إلى الشهادة^(١) . فهى مفاتيح لأقفال خزائن الغيوب ، وهى أسماء الأفعال التى كانت المؤثرة فى ظهور عالم الغيب إلى عالم الشهادة، ويسمىها الشيخ^(٢) : المفاتيح الثوانى . وفى هذا الطور، يسبح^(٣) فى فلك الأسماء والصفات - فى كل اسم وصفة على حدته - حتى يعلم مقتضياتها، على ما هى عليه فى محلها.

ومن هذا المنزل ، يسافر إلى الطور الخامس. فيُعطي مفاتيح غيب الغيب - وهى أمهات الأسماء، وأئمة الصفات - فيصرفها بالذات ، ويتحقق بها صورة ومعنى فى جميع الأوقات. ومن وصل إلى هذا الطور ، لا يتوارى عنه مشهوده^(٤) بحال^(٥) أصلاً ، ولا يجوز عليه الاستتار قطعاً .. وهذه الأسماء ، هى التى يسميها الإمام رضى الله عنه بالمفاتيح الأول ؛ فيتحقق العبد بالاتصاف بها.

ومن هذا المنزل ، يسافر إلى الطور السادس ؛ فيستكمل التحقق^(٥) بالأسماء الذاتية والنعوت الصفاتية والأوصاف الفعلية، ويتعين فى الظهور بها جملة وتفصيلاً . وفى هذا المنزل يتدرّع بالهية ، ويتوج بالعظمة؛ فتكون له . فلو نظر بنظر نفسه البشرية الإنسانية ، إلى جبل ، بالقهر ؛ لتدكك من هيئته، وتلاشى لعظمته. فكيف له لو رأى ذلك بحقيقة الإلهية .. هيئات .. أنى يسع الكون ذلك! بل لا تتجلى عظمته - كما هو له - إلا عنده، وفى علمه . ولهذا

(١) العبارة التالية ساقطة من هـ .

(٢) هـ : قلس الله سره.

(٣) هـ : الله تعالى ا

(*) يقول الإمام عبد القادر الجيلانى فى وصف القطب : لا يشقى به جليسه ، ولا يغيب عنه

مشهوده، ولا يتوارى عنه حاله (ديوان عبد القادر الجيلانى ، ص ١٩٩).

(٤) إلى هنا ينتهى الجزء الساقط من ط .

(٥) هـ : التحقيق .

قال الله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(*) يعنى : كُلُّ ما^(١) سواه لا يستطيع أن يقدره، فيعظمه بذاته لذاته؛ لأن الكون وجودٌ مقيّدٌ ، فلا يستطيع لشيء من ذلك. فلو لمحت بارقةً من عظمة جلال الله تعالى على الأكوان، لأعدمتها^(٢) بالعين والحكم .. جملةً وتفصيلاً .

ومن هذا المنزل ، يسافر إلى الطور السابع ، المعبر عنه بنزول الحق في الثلث الأخير من الليل إلى سماء الدنيا^(**) . وعندها يطلع الفجر، وتظهر شمس الكمال على سائر أعضائه الجسمانية - على حسب ما كان لروحه وقلبه - فيكون جسمه روحاً ، وقلبه^(٣) عقلاً ، بالعين والحكم والوجود جملةً وتفصيلاً . وهذا معنى قوله ﷺ : لا ينزل^(***) عبدى يتقرّب إلى^(٤) بالنوافل حتى أحبه، فإذا^(٥) أحبيته، كنت^(٦) سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ، ولسانه

(*) سورة الأنعام ، آية ٩١ .

(١) .: كلما .

(٢) أ ، ط : لأعدمتها ، هـ : لأعدمتها .

(**) الإشارة إلى الحديث الشريف : ينزل الله إلى سماء الدنيا .. فيقول هل من مستغفر فأغفر له.. أخرجه البخارى (الصحيح ، كتاب التهجّد ، باب ١٤) ومسلم (الصحيح، كتاب المسافرين، حديث رقم ١٦٨ - ١٧٠) وأبو داود (السنن، كتاب السنة، الباب ١٩) والترمذى (الصحيح، كتاب الصلاة ، الباب ٢١١ - كتاب الدعوات ، الباب ٧٨) وابن ماجه (السنن، كتاب الصلاة ، الباب ١٦٨) ومالك (الموطأ ، حديث رقم ٣٠ من قراءة القرآن) وابن حنبل (المسند ٢ / ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٨٢ ، ٤١٩ ، ٤٨٧ ، ٥٠٤)

(٣) .: قلباً .

(***) يلاحظ هنا أن الجليلي وضع الحديث القدسي، على لسان النبي ﷺ !

(٤) - أ .

(٥) أ .

(٦) هـ . أكون

الذى ينطق به، ويده^(١) التى يبطش بها، ورجله التى^(٢) يمشى^(٣) بها^(٤) فافهم!

وما بعد هذا المنزل، إلا العجزُ والحيرة فى التحليلات التى لانهاية لها وهذا العجز، عين الكمال والقدرة. وهذه الحيرة^(٥)، عين الثبوت. ونهاية ما يعبر به عن هذه الحيرة وهذا العجز، بأن يقال: إنه يجد كمالاته الإلهية، التى هى به، على ما هو عليه من عدم النهاية التى يعجز العلم^(٥) عن الإحاطة بها، من حيث أنها لانهاية لها. فبالنظر إلى هذا العجز، قال عليه الصلاة والسلام: لا أحصى ثناءً عليك.. وبالنظر إلى ما هو من كمال البصفة العلمية له تعالى، قال: أنت كما أثبتت على نفسك^(٦)

(١) هـ

(٢) - هـ.

(٣) + أ.

(*) هو أصحُّ الأحاديث القدسية فى ولاية الأولياء.. أخرجه البخارى فى الصحيح عن أبى هريرة، وابن حنبل فى المسند عن عائشة، وأبو نعيم فى الحلية، والبزار والطبرانى والسيوطى (جمع الجوامع ١٢٣ / ١٠٦٠)

(٤) هـ: الحياة ١

(٥) + هـ.

(**) الحديث الشريف. لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثبتت على نفسك.. أخرجه مسلم (الصحيح، كتاب الصلاة، الباب ٢٢٢) وأبو داود (السنن، كتاب الصلاة الباب ١٤٨ - الوثر، باب ٥) والترمذى (الصحيح، كتاب الدعوات، الباب ٧٥) والنسائى (السنن، كتاب الطهارة ١١٩ - التطبيق ٤٧، ٧١ - قيام الليل ٥١) وابن ماجه (السنن، كتاب الدعاء، باب ٣ - الإقامة ١١٧) ومالك (الموطأ، القرآن رقم ٣١) وابن حنبل (المسند ٩٦/١، ١١٨، ١٥ ٥٨/٦، ٢١)

[حقائق الإنسان الكامل]

ولتحقق روح الإنسان الكامل بالحقائق الإلهية ، قال : آثاره مشهوده .
يعنى : آثار الإنسان الكامل مرئية بالعين ، لأنه يُحيى الموتى ، ويميت مَنْ شاء من ^(١) الأحياء ، وينبىء الناس إذا شاء ^(٢) بأسمائهم وأفعالهم وبما يأكلون وما يدَّخرون إلى يوم القيامة . كلماته محدودة . يعنى : إنه يقف بالكلام على حدِّ الشريعة ، فلا يخرج منه ^(٣) بلسان القُدرة ، عن سياق الحكمة ، بل يؤدى حَقَّ العبودية بظاهره ، كما أدى ^(٤) حَقَّ الربوبية بباطنه . وآياته بالنظر مقصودة .
يعنى : إنه فى نفسه ^(٥) لنفسه ، يتجلى متى شاء بما شاء فيما شاء ^(٦) . فكُنّى بالآيات عن التجليات الإلهية ، بحكم الأسماء والصفات ؛ يقصد منها : الظهور بما شاء ، والبطون بما شاء . وإلى تحقيق ذلك أشار بقوله : أعطى مقاليد البيان ، فأفصح وأبان . يعنى : إنه أوتى التمكين بالبيان - أى بالظهور - فأفصح ، وأظهر كلماته . وأبان عن المعانى ^(٧) بإرادة ^(٨) ذاته .

[الإنسان الكامل والحروف]

وسوف أنبِّهك على علمٍ شريفٍ قد رمزه الشيخ ^(٩) فى ذلك من وجهه ،

(١) + هـ .

(٢) أ : يشاء .

(٣) + هـ .

(٤) أ : يؤدى .

(٥) - أ .

(٦) أ : يشاء .

(٧) أ : معانى .

(٨) هـ : ما أراد به ، ط : ما أرادته .

(٩) هـ : رضى الله عنه وقلس الله سره .

وصرَّح^(١) به من وجه. وهو أن جميع ما شرحناه^(٢) لك فى صفة هذه الروح الشريفة، من أطوار المعانى المذكورة هنا؛ إنما هو من حيث كون الإنسان حرفاً من حروف أحد الأنواع الثمانية المذكورة فى تقسيم الحروف^(٣). فاعتبر مثل جميع هذه المعانى المذكورة وكمالها، لكل حرفٍ من حروف كل نوعٍ من الأنواع الثمانية؛ لأن الحروف وطاء أى محل ظهور الأسرار الإلهية. والحروف كلها مرآئى يظهر فيها معنى السرِّ الإلهى، لكن له فى كل طورٍ حكمٌ مخصوص ومشهدٌ منصوص وأثرٌ منفرد، ونسبة^(٤) تحقُّقه، على أسلوب عجيب وخطٍ غريب. ولو أردنا أن نتكلم فى ذلك، لاحتجنا إلى مجلدات؛ ولكن تفتُّن^(٥) ذلك وتدبُّره، فكلما قلنا لك **إن الأعيان الثابتة حروفٌ، وكان النوع الإنسانى^(٦) من جملتها** فهو بالنسبة^(٧) إلى بقية الحروف ألفٌ. فاعتبر ذلك المعنى لكل ألف من أنواع الحروف الثمانية؛ كالعقل الذى هو ألف الحروف الروحية، فإنه^(٨) يجمع^(٩) العلوم^(١٠) والخصوصيات^(١١) كلها، كما يجمع الإنسان الكامل. وكالألف الرقمى، فإنه يجمع المعانى المودعة فى الحروف كلها، كما

(١) - أ، هـ : وخرج.

(٢) أ : ما ذكرناه.

(٣) أ : الحرف .

(٤) الفقرة التالية ساقطة من هـ.

(٥) أ : سقطن.

(٦) ط : وكان الإنسان.

(٧) هـ : بنسبة.

(٨) ط : فإنها.

(٩) ط : يجمع.

(١٠) أ : الحروف.

(١١) أ، ط : فالخصوصيات.

يُجمل جميع الملفوظات ويوصلها إلى مَنْ أمره^(١) الله به. فاعتبر هذا المعنى ، فى كل قسمٍ من هذه الأقسام الثمانية ، بما يناسب ذلك العالم، ترى عجائب وغرائب من أسرار الله تعالى ، فقد فتحت لك باباً إليها . واستعنْ فى تحقيق ذلك، بما^(٢) ذكره الشيخ فى الباب الثانى من الكتاب ، عند ذكره مراتب الحروف اللفظية وعوالمها وأطوارها وخواصها وما أودع الله تعالى فيها من العجائب والغرائب، مما يطول شرحه^(٣) . وسوف أُنَبِّهَكَ فى الآيات المذكورة هنا، على ما يعينك على معرفة ذلك ، إن شاء الله تعالى .

[تجليات الإنسان الكامل]

قال الشيخ : فمنه نثرٌ ، ومنه نظمٌ ، ومنه أمرٌ ، ومنه حُكْمٌ . إن للتجليات^(٤) الحقية ، التى هى للإنسان^(٥) الكامل ، نثرٌ تجلياتٍ ذاتية^(٦) منفردة، غير متعدّد، ليس لكل تجلٍّ إلا اسمٌ واحدٌ . ومنه نظم تجليات صفاتية^(٧) ، يجمع

(١) هـ : إلى أمر .

(٢) هـ : تحقيق ما .

(*) الفتوحات المكية (طبعة دار الكتب العربية ١ / ٥١ - تحقيق د. عثمان يحيى ١ / ٢٣١) وهذا الباب يتناول فيه ابن عربى واحداً من أدق الموضوعات ، فيجعله بعنوان : فى معرفة مراتب الحروف والحركات من العالم وما لها من الأسماء الحسنى، ومعرفة الكلمات ومعرفة العلم والعالم والمعلوم ويتقسم الباب إلى ثلاثة فصول ، الأول فى معرفة الحروف والثانى فى معرفة الحركات التى تتميز بها الكلمات والثالث فى معرفة العلم والعالم والمعلوم .. وكما يقول الجليلى هنا ، فهو بابٌ يطول شرحه !

(٣) .: التجليات.

(٤) هـ : الإنسان .

(٥) العبارة التالية ساقطة من أ.

(٦) هـ : صفات.

كُلُّ تَجَلٍّ^(١) أسماءٌ متعدّدة وصفاتٍ متغايرة؛ كتجلى القدرة - مثلاً - يجمع جميع تجليات الأفعال . وكذلك تجلى الإرادة ، وكذلك تجلى العلم ، وكذلك تجلى الجمال، وكذلك تجلى الجلال وتجلّى الكمال، إلى غير ذلك من تجليات الصفات والأسماء التى لها الهيمنة على ما تحتها . ولهذا قال **فمنه أمرٌ أى** ، مما يصدر من تجلياته، أمرٌ بوجودٍ أو تكوين ، أو غير ذلك من أوامر الحق تعالى على عباده. **ومنه حكمٌ نافذٌ لا يتغير فى العالم**، لأنه الحقّ المعين^(٢) ؛ هذا معناه .

ولما كان ذلك للإنسان^(٣) ، الذى هو^(٤) حرفٌ من الحروف^(٥) العاليات^(٦)؛ كذلك^(٦) هو للألف الذى هو حرفٌ من الحروف الحقيقية أو

(١) .: تجلى .

(٢) أ : للمتعين .

(٣) هـ : الإنسان ، ط : الإنسان الكامل.

(٤) + هـ .

(٥) هـ : حروف.

(٦) ينسب لابن عربى بيتان (من الكامل) هما :

كُنَّا حُرُوفاً عَالِيَاتٍ لَمْ نُقَلِّ متعلقاتٍ فى ذرى أعلى القَلِّ
أنا أنت فيه ونحن أنت والكل فى هو ، هو ، فسَلْ عَمَّنْ وصل

وقام القيصرى بشرح البيتين (علم الحقائق .. مخطوط) كما شرحهما النابلسى (ورد الورد فى شرح الحروف العاليات .. مخطوط) ويوجد شرح معاصر لهما وضعه أحمد خيرى بعنوان : إزالة الشبهات عن قول الأستاذ كنا حروفاً عاليات (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٧٠ هجرية) انظر أيضاً ؛ د. سعاد الحكيم : المعجم الصوفى ، ص ٣٢٢ .

والبيت الثانى مكسور - كما لاحظ محمد زاهر الكوثرى وحاول إصلاحه - وليس فيه ما نعرفه من أسلوب ابن عربى .. ونرى من جانبنا ، أن البيتين من وضع أحد أتباع الشيخ الأكبر .

(٦) يوجد جزء ساقط من هذا الموضع فى ط.

الروحية أو المعنوية أو الصورية أو اللفظية أو الرقمية^(١) أو الخيالية^(٢) . ألا تراه يقول : فمنه نثرٌ، ومنه نظمٌ إن اعتبرته في الحروف اللفظية ، وجدت الأمر كذلك.. ومنه أمرٌ ومنه حكمٌ كلفظة أفعَل ؛ وهذه حروفٌ مركبةٌ . ولفظة قول وفعل^(٣) ، وغير ذلك، كلها أمرٌ؛ وكلٌّ منها حرفٌ واحدٌ غير مركَّب ! فاعتبر جميع الباب في أطوار الحروف، تقع على كنزٍ من كنوز الله تعالى. وإنما ضربنا على تبين كل ذلك، لئلا يفوت الغرض من تأليف هذا الكتاب، والمراد بذلك سعادتك.. وإنما هي^(٤) في معرفتك لنفسك، فلأجل ذلك تكلمنا على الإنسان وحده .

وقال^(٥) في اللفظية والرقمية والخيالية إنها^(٦) : ابن^(٧) الإمام المبين^(٨) .
الذى هو اللوح المحفوظ^(٩) ، لأنها تبرز بتلك^(١٠) الحقائق، كما تبرز المعاني من

(*) الرقمية : المكتوبة .. والرقم : الكتابة والوشى.

(١) أ : الخالية .

(٢) هـ : قول وفعل

(٣) - أ .

(٤) أ، ط : ولما / هـ : وكما ا

(٥) هـ : وأنها ، أ : أنها أثر .

(٦) . : بن .

(*) ترك الجلي التالفة من الفترحات دون شرح : وفيه حقٌ وفيه خلقٌ، ففيه عدلٌ وفيه ظلمٌ. له التلطف والرقم ، وله التوهم لا الوهم . لا وجود له إلا به فانبه (في الأصل : فانبه) أبان للآذان ما سره الجنان. نطق عن الغيب ، بما لا شك فيه ولا ريب . يشهده الإيمان والعيان، صحفاً مكرمة، مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة ، كرام بررة، هو ابن الإمام.
(**) يقول الجلي : اللوح المحفوظ ، نورٌ إلهيٌ حقٌّ متجلٌّ في مشهدٍ خلقى، انطبعت فيه الموجودات طباعاً أصلياً . فهو أم الهيولي (يقصد المادة) لأن الهيولي لا تقتضى صورةً إلا وهي منطبعة في اللوح المحفوظ . فإذا اقتضت الهيولي صورةً ما ، وجدت في العالم على =

القلوب، لا، بل هي^(١) أبوه . يعنى : هل أصل لتلك الحقائق المكتوبة فى اللوح^(٢) ، لأنه لا بد من حروف كتبها القلم^(٣) فى اللوح حتى قرئت. وتلك الحروف، ولو كانت على غير هذه الهيئة ، فهى عين هذه الحروف الرقمية ؛ لأنها متلوّة مقروءة ، ولو بلا معنى^(٤) ؛ فلا يخرجها ذلك عن كونها حروفاً، فهى - أعنى الحروف - أصل للمعاني الموضوعة فى اللوح المحفوظ، إذ بها الكمال والتمام^(٥) . لكونها مشهودة صورةً ومعنىً ، والموضوع^(٦) فى اللوح المحفوظ إنما هو مشهود معنىً لا غير ؛ فجمعت هذه الحروف ، حقائق المعنى والصورة .. وليس^(٧) ذلك لتلك^(٨) ، فافهم .

ولكون^(٩) الإنسان الكامل ، كلّى^(٩) التحقيق ؛ قال : إذا أسهبَ ذهب .

= حسب ما اقتضته الهيولى، على الفور والمهلة ؛ لأن القلم الأعلى جرى فى اللوح المحفوظ بإيجادها، واقتضتها الهيولى؛ فلا بد من إيجادها على حسب المقتضى (الإنسان الكامل ٦/٢).

(٧) هـ : تلك.

(١) فى ف : هو ابن الإمام ، لا بل أبوه .

(٢) هـ : اللوح المحفوظ .

(*) يصف الجليلي القلم الأعلى بأنه : أول تعينات الحق فى المظاهر الخلقية . وهو أغمودج ينتقش ما يقتضيه فى اللوح المحفوظ ؛ كالعقل ، فإنه أغمودج ينتقش فى النفس .. فالعقل بمكانة القلم (الإنسان الكامل ٥/٢) وبهذا تكون عملية الخلق والإيجاد عند الجليلي ، ناجمة من اقتران فعل القلم واللوح ، فما يكتبه القلم فى اللوح ، يظهر فى الوجود.

(٣) أ : بالمعنى.

(٤) ف : الذى له الكمال والتمام.

(٥) العبارة ساقطة من هـ .

(٦) - أ.

(٧) ط : أملك .

(٨) ط : ويكون.

(٩) ط : الإنسان كل .

أسهب - بالسين المهملة - يعنى إذا طوّل^(١) وأطنب - يُقال : أسهب فى الكلام وأطنب . إذا طوّل فى الحديث . المراد : إذا تمادى وأطال نظره إلى^(٢) حقائق صفاته - التى لا نهاية لها، وكلها كمالية - ذهب عن حكم الكون، فلا يُسمّى خلقاً بوجه من الوجوه، لأنه قد ذهب عن العالم وما فيه بالكلية ؛ فليس هو من العالم، ولا هو فيه .

وإذا أَوْجَزَ أعجز . الإيجاز^(٣) ضدّ الإسهاب ، يعنى : إن الإنسان إذا اختصر فى نفسه ، فوقع نظره فى^(٤) صفاته ، إلى نظره لذاته؛ أعجز غيره عن دركه . وإن شئت قلت : أظهر كُلاًّ أمرٍ مُعْجِزٍ . وإن اعتبرت ذلك فى الحرف اللفظى والرقم^(٥) ، فمعناه ظاهر .. ومن ثم قال : فصيح المقال ، كثير القيل والقال . يعنى : إن الإنسان الإلهى^(٦) الكامل، ظاهر التكوين بالكلمة^(*) ؛ كثير الكلام، لأن الموجودات كلها كلمات . تختلف أشكاله ومعارجه لأنه متصور بكل صورة خلقية ، ومتحقق بكل حقيقة إلهية ؛ فهو مختلف الأشكال والمعارج .

(١) هـ أطول .

(٢) ط : فى .

(٣) هـ : الإعجاز .

(٤) أ : فوقع نفسه فى

(٥) هـ : الحروف اللفظية والرقمية .

(٦) غير واضحة فى أ .

(*) انظر مقالة الدكتور أبو العلا عفيفى : نظريات الإسلاميين فى الكلمة (مجلة كلية الآداب -

جامعة الإسكندرية ١٩٤٥) ومطلق لفظ الكلمة حين يرد فى لغة ابن عربى ، فالمراد به كلمة

التكوين : كُنْ .. وهى الكلمة المخلوق بها .

ويخفى^(١) على المتبع أثره^(٢) ومدارجه^(٣) . لأنه من وراء قوة أطوار^(٤) الكون، فيخفى أثره على كل متبع، لأنه لا يبلغه حدُّه، ولا يصل إليه دركُه . واعتبر تلك المعاني في الحروف ، فالحرف اللفظي^(٥) تختلف أشكاله^(٦) على حسب وضع كل واضع بكل لغة. ويخفى على المتبع أثره يعني : على المقتفى له، معرفة ما جعل الله في كل حرفٍ من أثرٍ^(٧) - بالخاصية والطبع والفعل - في كل معنى وصورة، مما لكل حرف^(٨) من التصرف . لأن الحرف^(٩) ، وإن شئت قلت الإنسان الكامل : كائنٌ بائنٌ . يصحُّ أن يقول عن^(١٠) الإنسان الكامل إنه كائنٌ مع الحق، بائنٌ عن الخلق ويصح^(١١) أن يقول هو كائنٌ مع الخلق ، بائنٌ عما هم فيه كما أن الحرف^(١٢) كائنٌ في رتبة الإحاطة ، بائنٌ عن حكم القيد بالإحاطة؛ لكونه يفعل بحقيقته^(١٣) في الغيب، فهو غير محصورٍ على ما يشهده من صورته.

(١) ف : تختلف .

(٢) ف : آثاره.

(٣) أ ، هـ : ومعارجه.

(٤) أ : أطوار قوه.

(٥) أ - .

(٦) ط : اشكالهم.

(٧) أ : الأثر .

(٨) كلمات هذا الموضع مضطربة في كل النسخ.

(٩) أ : من الحرف ، هـ : لأن الحروف ، ط : لأن من الحرف.

(١٠) أ : على.

(١١) العبارة ساقطة من ط.

(١٢) هـ : الحروف .

(١٣) أ : بحقيقة.

ومن ثمّ، قال عن الحروف ؛ وإن شئت قلت عن الإنسان الكامل، بل هو الإنسان : راحلٌ قاطنٌ . أى راحلٌ عن المراتب الخلقية ، قاطنٌ فى المراتب الإلهية . استوطن الخيال فأقام فى عالم^(١) ؛ معناه : وهو محل العلم بالله . وافترش الكتاب يعنى : لما^(٢) كان فى باطنه ساكناً مع ربه ؛ افترش الكتاب ، يعنى اتخذ الصفات والأسماء الإلهية ، فرشاً له فى موطن كماله ، يتلقب عليها .

واستوطأ اللسان بتحقيق القدرة والإرادة ، فى نفوذ الأمر بكلمة كُنْ حيث يريد . واعتبر هذه المعانى^(٣) للحروف الرقمية واللفظية والخيالية ؛ فالخيالية^(٤) مستوطنة الخيال ، لأنها لا تكون إلا فى عالم الخيال ، فلا تخرج عنه؛ والرقمية^(٥) افترشت الكتاب ، لأنها متلوّة ، فلا تكون إلا فى الصحف ؛ واللفظية استوطأت اللسان، فلا تظهر إلا بواسطته. وقسْ على ذلك، كُلاًّ الأقسام الثمانية.. وقد شرحنا فى هذه النبذة ، جميع ما حواه الباب الثانى من كتاب الفتوحات ، فى الحروف وغيرها ؛ ونبيّهاك على ماهو المقصود من ذلك.

*

*

*

(١) + هـ .

(٢) أ : الإنسان الكامل لما .

(٣) أ : الثلاثة المعانى ، هـ : الثلاث المعانى ، ط : الثلاث معانى ا

(٤) - أ .

(٥) هـ : إلى الرقمية .

البَابُ الثَّالِثُ

ما ثُمَّ أَمْرٌ فَاصِلٌ بَيْنَ اللَّهِ
وَبَيْنَ الْعَالَمِ .

[التنزيه والتشبيه]

قال الشيخ رضى الله عنه : **ومن ذلك ، أى^(١) ، ومن بعض ما تضمنه**
هذا الباب من العلوم المذكورة: سرُّ التنزيه النزيه . التنزيه النزيه^(٢) ، هو تنزيه
الحقِّ تعالى لنفسه ، كما يُعلمه^(٣) لذاته . وهذا التنزيه لا يقابله تشبيه^(٤) ، بل هو
منزّه عن مقابلة التشبيه . فتنزيهه لانعلمه ولانعقله ، لأن كل تنزيه تنزهه به^(٥) ،
إنما هو منوطٌ بضدّيّة التشبيه . فهو إذن^(٥) يتعالى عن تنزيهنا له ، فتنزيهه منزّه عن
التنزيه والتشبيه .

ولأجل ذلك ، قال : التنزيه تحديد المنزّه^(٦) . لأنك عند أن تنزّهه عن
معنى التشبيه ، ليحصل بذلك ما تريده^(٦) من التنزيه ؛ وبهذا^(٧) الفعل تحصره
على ما يضاد التشبيه ، فتحدّه وتقيّده بذلك المعنى ؛ فالتنزيه تحديدٌ وتقييدٌ .
والتشبيه تشبيه المشبه ، لأنك إذا قلت " هو كذا وكذا " على التقييد بصورة

(١) + هـ .

(٢) - أ .

(٣) هـ : يعلم .

(*) التشبيه ؛ يُراد به تشبيه الله بالخلق ، والقول بأن الله صورة كخلقه . والأصل في القول به ، ما
 ورد من أن الله : خلق آدم على صورته !

(٤) - هـ ، ط / أ : بها .

(٥) .: إذا .

(**) ورد في هذا الموضع بالفتوحات ، بيتان [من الوافر] هما :

رَأَيْنَاهُ يَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ	تَنَزَّهْنَا عَنِ التَّنْزِيهِ لَمَّا
يَعْلَمُ الْوَاحِدِ الْفَرْدِ النَّبِيَّ	وَقُلْنَا ذَلِكَ حَظُّ الْحَقِّ مِنَّا

(٦) أ : تريد .

(٧) أ : وهذا .

واحدة دون غيرها، فقد أشركته مع تلك الصورة فى معنى واحد؛ وهذا هو عين التثنية. فكلا الأمرين على انفرادهما ، خطأ ؛ والصواب جمعهما بحيث أن تنزّه فى عين التشبيه، وتشبّهه فى حكم التنزيه .

وإلى هذا أشار ونّبه بقوله : **فيا ولدى^(١)** . يخاطب تلميذه بدر الحبشى^(*) بقوله، لسمع غيره : **تنبّه وتفكّر فيمن نزه وشبّه** . يعنى : تأمل فيمن جمع بين الوصفين : **هل حاد عن سواء السبيل ؟**

كلمات الإستفهام إذا صدرت عن العارف بما يُستفهم عنه، تكون إما نفيًا وإما^(٢) إثباتًا ؛ لأن المتكلم يعرف المعنى، فلا فائدة للاستفهام . و **هل هنا** بمعنى النفس، يعنى : **إن كل من جمع بين التشبيه والتنزيه ، ما حاد عن سواء السبيل**. أى ، ما مال عن طريق الله، الذى هو صراط الله فى نفسه. وذلك هو المعبر عنه بتجليات ذاته فى حقائق أسمائه وصفاته ؛ فما حاد عن ذلك ، من كان عن هذا الوصف ؛ لأنه عرفه على ما هو الأمر عليه.

(١) ف: فيا ولى .

(*) هو عبد الله بن بدر الحبشى الخادم، من تلامذة ابن عربى المباشرين ، لم تفرد له المصادر التاريخية أية ترجمة، لكنه يُذكر كثيراً فى ثنايا كلام ابن عربى .. وكان هو وإسماعيل بن سودكين، هما اللذان سألا ابن عربى أن يضع شرحاً لديوان **ترجمان الأشواق** لما وجدنا الناس يظلمون ابن عربى ويتهمون بعشق ابنة الشيخ رستم ، عشقاً حسياً محضاً .. ففعل ابن عربى ما أشارا به (راجع مقدمة : ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق) .

وتوجد لبدر الحبشى مخطوطة بعنوان **الإباه على طريق الله** جمع فيها كلام ابن عربى ، وهذه المخطوطة نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وأصلها محفوظ بمكتبة (أمانة)

نخبة رقم ١٢٧٤ .

(٢) أ : وإلا

وهل هو من^(١) علمه في ظلّ ظليل . ولقطة هل هنا بمعنى الإثبات ،
وتقديره : نعم ، هو من علمه ، أن الحق هو المنزّه في التشبيه والمشبّه في
التنزيه^(٢) . في ظلّ يعني : في سترٍ مانعٍ ، مستورٍ بصفات الحق عن صفات
الخلق ؛ ولهذا كان ظلّه ظليلاً^(٣) .. وإلى هذا أشار القائل ، بقوله^(٤) :

تَسَرَّتْ فِي دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ^(٥)

فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي^(٦)

فَلَوْ تُسْأَلُ^(٧) الْآيَامُ مَا اسْمِي مَا دَرَتْ^(٨)

وَعَنْ^(٩) مَوْضِعِي^(١٠) لَمْ تَدْرِ^(١١) أَيْنَ^(١٢) مَكَانِي

[الطويل]

فمن هو بهذه الصفة على التحقيق : هو في خير مستقر^(١٣) وأحسن

(١) أ ، هـ ، ط : في . والتصويب من (ف)

(٢) هـ : التنزيل .

(٣) هـ : ظليل .

(٤) أ : في قوله ، ط : رضى الله عنه .

(٥) ط : جناحه .

(٦) أ . ط : تراني .

(٧) هـ : سأل .

(٨) ط : ما درت .

(٩) ط : وأين .

(١٠) أ : مدمعي ، ط : مكاني .

(١١) أ : لم تدري ، ط : مادري .

(١٢) - ط .

(١٣) أ : مستقراً .

مقيل. لأنه يتنعم بتجليات ربّه بين الصورة والعروج^(١) والمعنى، فلا يخرج عنها بوجه من الوجوه، بل يجدها فى كل حال من الغيبة والحضور، والنزول والصعود، والعروج والهبوط ؛ على اختلاف الظهور ، فأمره نورٌ على نور .

ولما فرغ الشيخ^(٢) من تعريف حال من له الجمع، رجع^(٣) إلى تعريف حال من له الفرق، ليميّز بينهما. فقال : **الْمَنْزَةُ يُخْلَى** ، بالخاء المعجمة ، يعنى : يَخْلَى الحق عن صفة التشبيه ، فيعطّله^(٤) . **وَالْمَشْيَةُ^(٥) يُخْلَى^(٥)** ، بالخاء المهملة، المعنى : أنه يُلبس الحق حلية غيره، فيقصره على صورة الخلق . **والذى بينهما لا يُخلى ولا يُحلى^(٦)** . يعنى : والعارف الذى بين التشبيه والتنزيه ، لا يَخْلَى الحق عما هو له^(٧) ، ولا يحليه^(٨) بصورة غيره . **بل يقول : هو عين ما بطن وظهر، وأبلى واستتر.** يعنى^(٩) : إن العارف بوصفه ، يصف^(١٠) البطون والظهور؛

(١) - أ .

(٢) هـ : رضى الله عنه روح الله روحه، على .

(٣) العبارة ساقطة من أ.

(*) ينتهى المفرقون فى التنزيه العقلى إلى نوع من تعطيل قدرة الله، حين يسلبون الصفات عن الذات الإلهية ، ويظهر هذا الموقف فى تاريخ الفلسفة القديمة، عند أفلوطين .. كما يظهر فى التاريخ الإسلامى، عند المعتزلة وبعض الفرق الكلامية.

(٤) أ : والمعطل .

(٥) ف : يحلى ويحلى .

(٦) - هـ ، أ : ويحلى.

(٧) هـ : عليه.

(٨) أ : يحليه / هـ ، ط : يحليه.

(٩) أ : يريد .

(١٠) .: يوصف .

فبصفة^(١) الكمال الحكيم له البطون، وبصفة^(٢) تعين الوجود^(٣) له الظهور .
فهو ، أى الحق: عين ما أبدر، أى صار بدرأً بالكمال والجمال والجلال وعين ما
استتر أى استتر باللباسات^(٤) الخلقية . فهو ، أى الحق تعالى . الشمس والقمر،
أى العبد والرب . والعالم له أى لله تعالى . كالجسد للنفس^(٥) ، وكالصورة
للمعنى ، فالخلق صورة الحق ، والحق معنى الخلق^(٦) ؛ فلا خلو للمعنى عن
الصورة ، ولا للصورة عن المعنى .

[الجمع والفرق]

ولهذا ، قال^(٧) : **فَمَا تَمَّ الْأَجْعُ** . يعنى : ما^(٨) ثم ظهور للحق إلا
بالخلق^(٩) ، ولا ظهور للخلق إلا بالحق ؛ فلا وجود إلا^(١٠) لصورة الجمعية
بينهما ، لأن الله^(١١) عين كل موجود .. ولما لم يوجد فى الوجود خلق خال^(١٢)
عن وجود الحق^(١٣) ، ولا حق خال^(١٤) عن وجود الخلق . قال : ما فى الكون

(١) : فصفة .

(٢) : . وصفة .

(٣) أ : التعيين والوجود .

(٤) هـ : بالأسباب

(٥) - هـ .

(٦) هـ : للحق .

(٧) هـ : رضى الله عنه .

(٨) هـ : أى فما .

(٩) ط : بالحق .

(١٠) - هـ .

(١١) ط : الله تعالى .

(١٢) : . خالياً .

(١٣) هـ : الخلق .

(١٤) : . خالياً .

صَدَّعَ . الصدع في اللغة، هو الشقُّ الفاصل بين جزئيّ الجدار .. استعاره^(١)
هنا، للثنوية^(٢) والمتوهمّة بين الخلق والحق. وتقديره : ما ثَمَّ أمرٌ فاصلٌ بين الله
وبين العالم، بل هو عين العالم والعالم عينه ! فَإِنْ تَوَهَّمْتَ فاصلاً ، فإنما هو من
حيث وَهْمُكَ لا غير . لأن^(٣) العالم له ، كهيكَل الإنسان^(٤) للنفس الناطقة.

إِنْ لَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ . يعنى : إِنْ لَمْ تَكُنْ^(٥) حقيقة الأمر ، على أنه
عين العالم، وأن العالم عينه . فما ثَمَّ^(٥) شَيْءٌ هُنَاكَ، فما ثَمَّ شَيْءٌ زَائِدٌ عَلَى الْعَالَمِ
وحقيقته؛ فأترك ما توهمته من أنه خارجٌ عن حقيقة العالم ، وأن وجوده أمرٌ^(٦)
زائدٌ على الكون؛ واعلم أنه^(٧) عَيْنُكَ وَأَنْتَ عَيْنُهُ .

وَالْأَمْرُ مُوجُودٌ . يعنى : ذات البارئ تعالى ، إحدى^(٨) العين موجودٌ فى
جميع ما يتصوره من صفتى الحقّ والخلق ، فهو واحدٌ العين فى كثرة تعدادات^(٩)
الأيْن^(١٠) . لا بل وجود . نفى الكثرة ، لأنه عين الوجود المطلق، فلا تعدُّد^(١١)

(١) هـ : وهو استعارة ، ط : واستعمالها.

(٢) أ : للبينونة .

(٣) أ : فأن.

(*) يقصد ؛ الجسم الإنسانى.

(٤) .: . يمكن.

(٥) - ط .

(٦) ط : ليس أمر.

(٧) هـ : انك .

(٨) ط : واحد .

(٩) هـ : تعداد .

(١٠) أ : العين .

(١١) هـ : تعداد .

فى الوجود . ومن هنا نكره ، فقال وجود ولم يقل الوجود لكون الكثرة عين
الواحدة ، من غير تعقل مباينة، لأنه عين التباين والتطابق .

والحكم . يعنى^(١) : آثار الصفات الإلهية فى الذوات^(٢) المخلوقة .
مشهود لا بل شهود؛ يعنى : أنها مرئية وهى عين الرؤيا التى نراها^(٣) بها، فهى
المشهود والشاهد والشهود. وبالنسب صح النسب . أى ؛ بالربوبية وجدت
العبودية، وبالعبودية وجدت الربوبية، فلا تعقل لأحدهما^(٤) إلا بالأخرى-
كالمعلومية؛ لا تحقق^(٥) بها إلا بالعالمية ، ولا تحقق للعالمية إلا بالمعلومية .. وكلا
المرتبتين لا وجود لهما إلا بتعقل الصفة العلمية، ولا وجود للصفة العلمية إلا
بتعقلهما. وكل واحد من العلم والعالم والمعلوم نسبة ؛ فما وجدت النسب إلا
بالنسب.

ولولا المسبب، ما ظهر حكم السبب . المسبب يجوز^(٦) أن يكون بالفتح
والكسر؛ فإن قلنا بالكسر ، كان اسم الفاعل^(٧) ، وتقديره : لولا الله الذى
أوجد الأسباب^(٨) ، لما ظهر حكمها . وإن قلنا إنه بالنصب ، كان اسم
المفعول، يعنى: المسبب ، الذى هو مفعول السبب، أعطى السبب حكم
السببية. فكما أن القلم ، الذى هو سبب الكتابة ، علة لوجود المكتوب ؛

(١) هـ : هى ، ط : هنا .

(٢) هـ : الصفات .

(٣) أ : يراها .

(٤) .: احدهما .

(٥) العبارة ساقطة من ط.

(٦) ط : يجوز فيه .

(٧) أ : فاعل .

(٨) ط : الأشياء ا

كذلك المكتوبُ علّةٌ لنسبة السببية إلى الكتابة ، كما أن كلا منهما علّةٌ لنسبة السببية إلى الكاتب. وكذلك الكاتب، علّةٌ لنسبة السببية إلى القلم، كنسبة^(١) السببية إلى المكتوب .. فبالسبب، الذى^(٢) هو فاعل ؛ وبالسبب، الذى هو مفعول؛ ظهر حكم السبب عنهما . فكان هذا به فاعلاً، وكان^(٣) هذا به مفعولاً فارتبط الأمر بعضه ببعض . ولهذا قال : فإن قلت : ليس كمثله شيء^(٤)، زال^(٥) الظلّ والفسى ، والظلّ ممدودٌ بالنص^(٦) ، فعليك بالفحص^(٧) .

إعلم أيّدنا الله وإياك، أن الشيخ - رضى الله عنه - ذكر فى^(٨) غير موضعٍ من مؤلفاته، أن الكاف فى ﴿ليس كمثله شيء﴾ يحتمل أن تكون زائدة ، فيكون المعنى : ليس مثل الحق شيء ، لأنه عين الوجود كله، فلا مثل للوجود.. لأنه لو كان للوجود مثل، لصحَّ أن يُطلق عليه اسم^(٩) الوجود . فالواجد أمرٌ واحدٌ، لا مثل له على الحقيقة.

ويحتمل أن تكون الكاف تشبيهيةً ، فيكون معناه^(١٠) : ليس كالإنسان ،

(١) أ : ولنسبة .

(٢) - هـ .

(٣) - أ، هـ .

(*) سورة الشورى ، آية ١١ .

(٤) ف : زل .

(**) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ..﴾ الفرقان ٤٥ .

(٥) ف : البحث والفحص .

(٦) ط : فى هذا .

(٧) - ط .

(٨) هـ : المعنى .

الذى هو مثْلُ الحقِّ ، شَيْءٌ . لأن^(١) الإنسان نسخة الحقِّ والخلق ، والله تعالى عينُ الحقِّ والخلق . فهو -أى الإنسان- موصوفٌ بكل ما يوصف^(٢) به الحقُّ ، ومنعوتٌ بكل ما يُنعت به الخلق . فهو المثل الذى لا مثل له ، وهذا معنى ﴿ليس كمثله شَيْءٌ﴾ .

فإن غلب^(٣) عليك شهودُ الأحدية المنزَّهة عن الكثرة، انعدم وجود الخلق عندك، وزال الظلُّ والفقء . لأن العالم ظلُّ الله، فيزول ؛ لأنك لم تشهد شيئاً سوى الوحدة المحضة، فلا ظهور للظلِّ، لأن الظلَّ يحتاج إلى نورٍ مفيض^(٤) وظلامٍ قابل للصورة المتوسطة بين النور وبين المحل ، وبظهور الوحدة، ينعدم ذلك؛ فلا كثرة بوجه من الوجوه ، لقولنا إن الوجود شَيْءٌ واحدٌ فى كل موجود، فلا تعدُّ للوجود ، وإذن^(٥) فلا تعدُّ للموجودات . لأن الوجود على الحقيقة، هو عين الموجودات؛ فظهرت الواحدية ، وبظهورها بطننت^(٦) الكثرة، فزال الظل والفقء المعبر عنه بما^(٧) سوى الله ..

والسوى موجودٌ، والظلُّ ممدودٌ. فعليك بالفحص والبحث^(٨) لتجمع^(٩)

(١) هـ : لا .

(٢) ط + .

(٣) - أ ، ط : غلبتك .

(٤) ط : للفيض .

(٥) هـ ، ط : وإذا .

(٦) أ : بطننه .

(٧) .: به عما ! ويبدو أنه من سهو المؤلف لا النسخ .

(*) يلاحظ هنا أن الجليلي عاد لكلمتى الفحص والبحث الواردتين فى متن الفتوحات المكية ، ولم تذكرهما معاً نسخ الشرح فى الفقرة السابقة .

(٨) ط : تجمع .

فى الحقيقة بين القول^(١) بأن الأمر ﴿ليس كمثله شئ﴾^(*) وبين ﴿أنه هو السميع البصير﴾^(**) وحيث أن تجمع بين التنزيه والتشبيه . فعليك بالكشف عن هذه النكتة^(***) ، لتجدها إن شاء الله تعالى .. وقد شرحنا لك فى هذه النبذة ، جميع ما فى الباب الثالث من كتاب الفتوحات . والله الموفق ، لا ربَّ غيره .

* * *

(١) أ ، ط : القولين .

(*) سورة الشورى ، آية ١١ .

(**) سورة يوسف ، آية ٣٤ .. سورة فصلت ، ٣٦ .. سورة الدخان ٦ .

(***) أ : النكرة ، هـ : النكتة ! والنكتة : الدقيق المعنى من القول ؛ ونكت : أشار (انظر : لسان

العرب، مادة نكت)

البَابُ الرَّابِعُ

مَا هَذِهِ الْمَظَاهِرُ الْمَشْهُودَةُ، إِلَّا
عَيْنُ الظَّاهِرِ فِيهَا؛ وَهِيَ اللَّهُ .

[خَلْقُ الْعَالَمِ]

قال الشيخ رضى الله عنه : ومن ذلك أى ، ومن بعض ما تضمنه هذا الباب^(١) . سرُّ البدء^(٢) اللطيفُ ، وما جاء فيه من التعريف . يريد^(٣) : سرُّ بدء العالم ... واللطيف صفة سرِّ البدء^(٤) ، والضمير راجعٌ إلى السر .

وسوفُ أنبئك على مقدمة ، تعرف بها معنى^(٥) كل ما يرد فى هذه النبذة ، التى جمعت^(٦) جميع ما فى الباب الرابع من كتاب الفتوحات^(٧) المكية . وذلك : إن الله تعالى لما أحبَّ فى شأن ذاته البطونى ، أن يظهر فى كنزيتة^(٨) ، لما يقتضيه شأن ذاته الظهورى^(٩) من الظهور على حكم شؤونه الذاتية . فتشكَّل وتصوَّر بأشكال العالم وصوره ونسبه وإضافاته وأحكامه جميعاً ، صورةً ومعنىً ، بطوناً وظهوراً ، فناءً وبقاءً ، عيناً وحكماً ، وجوداً وشهوداً . فمثله تعالى فى هذا المعنى ﴿هو الله المثل الأعلى﴾^(١٠) كمثل النفس الناطقة فى هيكل الإنسان ،

(١) هـ : من الفنون والعلوم .

(٢) أ ، هـ : البدو / ط : البدء .

(٣) - أ ، ط : يريد بهذا .

(٤) أ : البدء ، هـ : البدو .

(٥) - هـ .

(٦) هـ : جمعت فيها .

(٧) أ : من الفتوحات .

(٨) يعتمد الجليلى هنا على الحديث القدسى : كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِياً ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَ ، فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ ، فِيهِ عَرَفُونِ .. وهو حديثٌ مطعونٌ فى صحته .

(٩) أ : الظهورية ، هـ : الظهور .

(١٠) سورة النحل ١٦ .

إذا حدثت نفسها بنفسها^(١) ، فتكون هي المتكلمة والسامعة ، وهي عين كلامها^(٢) ؛ لأنها تتصور لنفسها بصورة مفهوم ما تكلمت به .. فهي الكلام والمتكلم والسامع . وكذلك الحق تعالى ، عين المسمى بالخلق ، وعين الخالق له^(٣) المسمى بالحق . يبدو ان لأسمائه وصفاته ، ترتيباً تقتضيه كل صفة، لما هي^(٤) عليه في شأنها . فلكل اسم مرتبة في ظهور العالم، فهو ناظر إلى العالم، من حيث تلك المرتبة والمقتضى ، لإيجاد الكون^(٥) من جهة تلك الصفة. فنقول^(٦) -مثلاً- إن الصفة العلمية أول متوجهة لإيجاد العالم^(٧) ، وإن الصفة الإرادية أو متوجهة لتخصيص كل شئ على ما هو عليه من الهيئة والترتيب، وإن الصفة القادرية أول متوجهة^(٨) لظهور العالم في الحس. لكن توجه كل صفة من هذه الثلاثة المذكورة ، على ترتيب ذكرها ؛ فالعلم^(٩) له التقدم، ثم الإرادة ، ثم القدرة .. وعلى ذلك فقس واحكم ، إلى أن تستوفى جميع الأسماء والصفات ؛ فإن أحكامها المتعلقة أعيان وجودية، يسمعها الكاشف ويراها. فاعتبر ذلك حتى تستوفى مقتضياتها، إلى أن يتم الأمر بظهور كل المراتب الكونية .. علواً وسُفلاً .. لطيفاً وكثيفاً .

(١) أ : في نفسها .

(٢) أ - .

(٣) ط : الإله .

(٤) أ - .

(٥) ط : الكونين.

(٦) أ : فتقول.

(٧) كلمات هذا الموضع ، مضطربة في كل النسخ.

(٨) هـ : متوجه .

(٩) أ : فالعالم.

فتنبّه لهذه المقدمة^(١) ، تفهم جميع ما أراده الشيخ -رضي الله عنه- بقوله:
إن العالم علامة . يعنى أنه علامة على موجدته تعالى، يُعرف هو -سبحانه -
 بالعالم وتحقيقه ؛ أن كلَّ وجهٍ من وجوه العالم راجعٌ إلى صفةٍ من الصفات
 الإلهية. وتقدير ذلك : إن العالم من حيث كونه موجوداً^(٢) ، أثرُ صفة اسمه
 الموجد؛ ومن حيث^(٣) كونه على هيئةٍ مخصوصةٍ ، أثر اسمه^(٤) المرید ؛ ومن حيث
 كونه^(٥) بارزاً - من غير مادةٍ، ولا تعيُن^(٦) - أثر اسمه القادر ؛ ومن حيث^(٧)
 كونه مخلوقاً ، أثر اسمه الخالق؛ ومن حيث كونه مرزوقاً ، أثر اسمه الرازق؛ ومن
 حيث كونه مرئياً ، أثر اسمه البصير ؛ ومن حيث كونه مسموعاً ، أثر اسمه
 السميع .. وقسْ على ذلك؛ فهذه الأسماء هي المظهرة لأعيان^(٨) هذه الآثار، وإن
 شئت قلت : هذه الآثار هي التي أظهرت هذه الأسماء .. وعلى الحقيقة، هو
 واحدٌ في^(٩) واحدٍ لواحد .

فلهذا قال^(١٠) : **بَلَوَّةٌ مِمَّنْ، فَهُوَ عَلَامَةٌ عَلَى مَنْ** . يعنى : إذا كان الحقُّ

(١) - ه .

(٢) - ط ، أ : موجود .

(٣) - أ ، ط .

(٤) أ : اسم .

(٥) الكلمة ساقطة من كافة النسخ

(٦) - ه ، أ : معين ، ط : معنى .

(٧) - ط .

(٨) أ : للأعيان .

(٩) ه : عز وجل .

(١٠) أ : بنو / ه ، ط : بدأ .

عينُ العالم، فمن أين بدء^(١) العالم؟ بل هو في نفسه ، كما كان عليه . فإذا :
ليس هو علامةٌ على شيءٍ ، لأنه ما ثمَّ غيره^(*) . فلا يُقال إن الشيء الواحد ،
يكون علامةً على نفسه لنفسه . إذ لا مغايرة في نفسه لنفسه، فلا بدأ ، ولا
ظهر، ولا بطن، ولا استتر ؛ إذ الحقُّ هو الكلُّ^(**) . وإلى هذا المعنى، أشار بقوله:
ما استتر عينٌ ، حتى يظهر كونٌ .. يعنى : ما استترت^(٢) ذاته ، ليظهر غيره .

ولما تحقَّق الشيخ -رضى الله عنه- بشهود واحدية^(٣) الحق تعالى في كثرة
الموجودات، وعان كثرة تنوعات تجلياته في الأسماء والصفات؛ قال : رأينا
رسوماً ظاهرة. أراد بالرسوم ، الأسماء والصفات التى هى الظاهرة فى العالم
بحقائقها وآثارها . ورأينا ربوعاً . يعنى بذلك ، المظاهر الكونية . دائرة، فانية
لظهور الحق تعالى . وقد كانت تلك المظاهر الكونية، التى يُعبر عنها بالسوى
والعالم. قبل ذلك. أى ، قبل شهودنا فيها أحدية الحق : عامرةً لكوننا كنا
نراها، ونظنُّ أن لها وجوداً؛ فكانت من حيثنا ، وجوديةً وناهيةً وآمرةً،
فسألناها: ما وراءك يا عصام^(٤) ؟

(١) أ : بلو / ه ، ط : بدأ .

(*) لايرمى الجليلى هنا إلى القول بأن العالم بدأ مع الله، فيكون بالتالى قائلاً بقديم العالم .. وهى
القضية التى كَفَّر الإمام الغزالى القائلين بها ! بل يقول الجليلى أن العالم لا وجود له أصلاً ، على
الحقيقة .. ولسوف يؤكد الجليلى هذا المقصد فى بقية الشرح. والصمير فى غيره هنا، يشير إلى
الله تعالى .

(**) يؤكد الجليلى هنا بوضوح ، تلك النظرية القائلة بالوحدة المطلقة ، وهى وحدة الذات الإلهية،
حيث يتلاشى الخلق ولا يبقى فى وعى الصوفى الكامل ، إلا الحق تعالى .

(٢) أ : استتر.

(٣) أ : واحدية أحدية.

(٤) ف : باعصام !

نكلم الشيخ على لسان^(١) حال الوجود . فكلُّ منْ نظر بعين اليقين، وجد^(٢) . لله ورء الموجودات ، من حيث استنادها إليه الاستناد الإيجادى؛ وإن شئت قلت: من حيث كونها مظاهر، وهو الظاهر . ولأجل ذلك، قال إن الحال أجابة؛ فقالت^(٣) : ما يكون به الاعتصام . الاعتصام هو الاحتفاظ ، فلولا نظرُ الله فى العالم و جُوده^(٤) ، لُعِدِمَ العالم؛ فبالله عِصْمة^(٥) العالم وجُفْطه.

ولهذا قال : فقلتُ : ما ثَمَّ إلا الله وحَبْله ، وما لايسع أحداً^(٦) جهله . يعنى: ما هذه المظاهر المشهودة^(٧) ، إلا عين الظاهر فيها، وهو الله . وحبله الذى به الاعتصام ، هو صفاته الحاكمة بتنوع الموجودات . فشبه الاعتصام بالحبل، للارتباط المعقول بين الأثر والمؤثر ؛ وعن ذلك كُنَى بقوله ما لايسع أحداً جهله لظهور آياته فى^(٨) مصنوعاته .

فقال يعنى : لسان حال^(٩) العالم : لولا الكثائف يعنى : المخلوقات التى هى حُجُبٌ^(١٠) على صانعها ، لأن الحجاب من طبعه أن يكون كثيفاً ، وإلا لما

(١) هـ : بلسان.

(٢) هـ : رأى .

(٣) أ ، هـ ، ط : فقال !

(٤) ط : فى وجوده.

(٥) أ : أعصام عصمه .

(٦) أ ، هـ : أحداً .

(٧) هـ : الموجودة المشهودة.

(٨) هـ . فى حال .

(٩) هـ ، ط

(١٠) العبارة التالية ساقطة من أ .

حجب . فلولا هذه الحجب الكثيفة : ما عُلِمَت اللطائف أراد باللطائف ؛
حقائق الأسماء والصفات . ولولا آثارها . الضمير راجع إلى اللطائف ، يعنى
ولولا آثار الأسماء والصفات . ما ظهر منارها . أى منار الكنائف التى هى
المخلوقات على الإطلاق ؛ يعنى : لولا العالم ، ما عُرفت أسماء الحق^(١) وصفاته؛
ولولا أسماء الله وصفاته ، لما ظهر العالم .

فمن خَبَت^(٢) نَارُهُ ، انهد^(٣) منَارُهُ^(٤) . يعنى : فكلُّ مظهرٍ سكنت ناره
- لبطون تجلى الاسم الحاكم عليه - انهدم وفنى^(٥) من حيث الحس ، فصار^(٦)
له حضرة القُدس، على ما كان عليه ؛ لأنه كان ثمَّ قبل ظهوره ، وصار إليه
بعد بطونه. فما ازدادت حضرة القدس بدخوله فيها، وما انتقصت بمخروجه
عنها.

وما ينمُّ به إلا الحسُّ . يعنى : وما ينمُّ بوجود الموجودات، إلا مراتب
الحسِّ. لولا الحسُّ . أى، العالم المحسوس الدالُّ على الله. بشهود الأثر^(٧) .
برؤية أثر الأسماء الإلهية، والصفات^(٨) الكمالية ، فلولا ذلك. ما عُرف اللطيف
خبرٌ. اللطيف هو الله، وتقديره : لولا الموجودات ، لما عُرف الموجد^(٩)

(١) هـ : تعالى .

(٢) ط : حيث .

(٣) أ : انهدت / أ ، ط : انهدم .

(٤) ط : جداره .

(٥) أ : فنا .

(٦) - هـ .

(٧) أ : شهود .

(٨) أ : الوجد

(٩) - هـ .

سبحانه^(١) وتعالى.

[النفس الإنسانية]

ولما فرغ الشيخ -رضي الله عنه- من الكلام على العالم عموماً ، خصَّصَ بذكر الإنسان . فقال : **النَّفْسُ عَمِيَاءٌ** . يعنى^(٢) عن شهود كمال الله تعالى . **لِلْقُرْبِ^(٣) الْمَقْرُطِ** . حيث يقول الله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ^(٤)﴾ لأنه سبحانه^(٥) عَيْنُ النفس ، فجعلت النفس حقيقتها من أجل ذلك القرب ، ومن أجل ما تشهده الحواس^(٦) من كثرائف الحُجُبِ وظاهر الأمر . فصارت النفس بواسطة هذين الأمرين ، جاهلة بالله طَبْعاً .

وهي ، يعنى النفس : **الصَّمَاءُ عَنْ إدراك الوسواس^(٧)** . أراد بالوسواس ، الخواطر الإلهية التي ترد على النفوس بالفطرة^(٨) . وإنما صُمِّت آذان النفوس عن إدراك هذه الخواطر ، لأن المادة^(٩) حاكمة على النفس بالعقل^(١٠) والمقتضيات البشرية ، فامتنعت عن سماع ما يرد من الحق لأجل ذلك . وهي **الخرساء^(١١) فلا**

(١) - ه .

(٢) العبارة التالية ساقطة من ه .

(٣) ه : عن القرب ، ط : المقرب .

(٤) سورة ق ، آية ١٦ .

(٥) ط : وتعالى .

(٦) أ : يشهده ، ه : يشهد ، ط : يشهد الحواس .

(٧) ه : الوسواس ، ط : المحسوسات .

(٨) العبارة ساقطة من ه .

(٩) أ : السعادة .

(١٠) العقل هنا إشارة إلى القياس الظاهري والاستدلال الحسي .

(١١) أ : الخرساء ، ط : الخرساء .

تفصح . يعنى : إن النفس صارت خرساء بالطبع الحيوانى ، فلا تُفصح عن سر*
من الأسرار الإلهية المودعة فيها ، لكونها بشريةً بحكم الطبع فى قيد^(١) الجسم
وحصره.

وهى^(٢) . يعنى النفس : العجماء . إنما اعتجمت^(٣) النفس بفراقها^(٤) ما
فى^(٥) قابليتها من الكمالات؛ وإنما فارقتها لعدم اشتغالها به، بسبب ما أخذها^(٦)
عنه من الأمور الحسية . فلا تعقل النفس ما هى حاوية له من الكمالات
الإلهية^(٧) فتوضح وتُخبر عنه.

ولولا اشتغالها عن المعنى بالحس ، لظهر بالفعل ماهو باطن^(٨) فيها
بالقوة^(٩) من أوصاف الكمال ونعوت الجلال والجمال . وإلى ذلك أشار بهذه
الآيات :

سَرَى اللَّطِيفُ مِنَ اللَّطِيفِ فَنَاسَبَهُ وَبَدَأَ لَهُ مِنْهُ الْخِلَافُ فَعَاتَبَهُ

[الكامل]

اللطيفُ الأولُ هو النفس ، واللطيف الثانى هو ذات واجب الوجود^(**) .

(١) أ : وفى هذا .

(٢) الكلمة غير موجودة فى الفتوحات ا

(٣) ط : اعجمت.

(٤) هـ : لفراقها ، ط : لفراقتها.

(٥) أ : ما هو .

(٦) هـ ، ط : ما حلما.

(٧) أ : الكمال الإلهى.

(٨) أ : بالظن .

(*) راجع معنى القوة والفعل فيما سبق .

(**) واجب الوجود، هو الله تعالى .. وهذه التسمية متداولة بين الفلاسفة ا

يعنى : إن النفس على الحقيقة، مخلوقة من نور ذات الواجب بذاته^(١) ؛
ولهذا رُجِدَتْ فيها من الكمالات^(٢) ، جميع ما وصفت الحق به - وقد بينا كيفية
مضاهاتها للحق والخلق على التفصيل ، فى كتابنا الموسوم بإنسان عين^(٣)
الوجود، ووجود عين الإنسان الموجود^(٤) فمن شاء أن يعلم ذلك، فلْيُطالع
فيه - وحوت من النقائص جميع ما فى^(٥) الوجود؛ فجمعت من كلا وصفى^(٥)
الحق والخلق، ما استوعب الأمر على ما هو عليه. ولهذا قال فتاسبه لأن الحق
تعالى جامعٌ لذلك^(٦) ، فحصلت المناسبة بين النفس - التى هى روح العالم
الإنسانى - وبين الحق ، الذى هو روح العالم.

وأما قوله بدا له منه الخلاف^(٧) فهو إشارة إلى ما يقع للنفس من النزول
والركون إلى المقتضيات الأرضية التى لأجلها يكون العتاب^(٨) ، وإليه الإشارة^(٩)
بقوله فعاتبه .. ثم قال :

وَتَوَجَّهَتْ مِنْهُ إِلَيْهِ حَقُّوقُهُ فَدَعَاهُ لِلْقَاضِي الْعَلِيمِ وَطَالِبَةِ

(١) هـ : واجب الوجود .

(٢) أ : الكمال.

(٣) - هـ .

(*) إنسان عين الجود ووجود عين الإنسان الموجود : هو كتاب مفقود من كتب الجيلى ، وقد

عرضنا للفكرة التى يشير إليها هنا ، فى بحثنا : الفكر الصوفى عند عبد الكريم الجيلى (راجع

صفحات ٥٣ : ٨٥) .

(٤) أ : ما أمكن .

(٥) هـ : كل وصف .

(٦) ط : كذلك.

(٧) أ : الخلافة ، ط : الخلافة فعاتبه.

(٨) .: العذاب .

(٩) هـ : أشار .

يعنى : واقتضى الحال أن يتوجه على النفس حقوق كثيرة لموجودها، إذ للصانع حق على مصنوعه لا ينكره العقل طبعاً^(*) ، والقاضى هو العقل ، فعبر عن إرجاع الحق للنفس إلى العقل - لتعرفه النفس - بقوله فدعااه للقاضى العليم فطالبه ، بأداء حق الصانع عليه. ونعت القاضى - المعبر به عن العقل - أنه عليم .. لأن العقل من طبعه درك الأمور كلها، لما أودع الله فيه من مكنون علمه، كما سبق بيانه^(١) . فعندما^(٢) رجعت النفس إلى مقتضى العقل، عرفت بحكم العقل، أن نزولها^(٣) إلى مقتضى حكم الجسم وبآل عليها، فعبر عن هذا المعنى بقوله: نَادَى عَلَيْهِ^(**) . يعنى : نادى العقل على النفس فخرساً التجريس، التعزيز على سبيل الإهانة تهكماً^(٤) إذ العقل يقضى^(٥) أن يكون : هَذَا جَزَاء مَنْ عَامَلَ الْجِنْسَ^(٦) البعيد وصاحبه . الإشارة بقوله هذا إلى النزول والانعصار والتقييد^(٧) والعجز والاحتباس^(٨) بحكم سجن الطبع ، فذلك جزاء كل نفس اشتغلت بالظاهر عن حكم الباطن ؛ لأنها تألفه وتنسى ذلك المعنى

(*) يقصد ، العقل طبع على عدم إنكار حق الصانع.

(١) أ : علمه .

(٢) .: فعندآن .

(٣) هـ : ردها .

(**) فى الفتوحات ، ورد البيت على النحو التالى :

نادى عليه مجرسا هذا جزاء من عامل الجنس البعيد وصاحبه

والهمزة فى كلة (جزاء) زائدة ، وتستقيم الوزن العروضى بحذفها .

(٤) ط : تحكما .

(٥) هـ : يقتضى .

(٦) ط : الحبس .

(٧) ط : القيد .

(٨) هـ : الاحساس .

طبعاً . فما أنزلها عن التحقق^(١) بحقائق الكمال، إلا فعلها .. فإذن، نزلها جزاء ما صنعت .

وعن الجسم ومقتضياته ، عبّر بالجنس البعيد . فنزول النفس إلى العجز^(٢) ، لأمرين .. أحدهما ، العمل بمقتضى الجسم^(٣) ؛ والثاني ، مصاحبة الجسم^(٤) . فالأول عارض ، والثاني لازم . فينبغي أن يسعى المرء أولاً في زوال حكم العارض، حتى إذا انفك عن الجسم^(٥) ، حصل له اللازم أيضاً.. فيخلص إلى الكمال المطلق من كل وجه .

وعن الرجوع عن المقتضيات البشرية ، عبّر بقوله :

لِيَتُوبَ مَنْ سَمِعَ^(٦) النَّدَاءَ فَيَرْعَوِي

عَنْهُ وَيَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ جَانَبَهُ

تَظْفَرُ يَدَاهُ بِكُلِّ خَيْرٍ شَامِلٍ

فَاسْتَعْمَلَ الْإِرْسَالَ^(٧) فِيهِ وَكَاتَبَهُ

اللام^(٨) في ليتوب للتعليل ، يعني : إنما نادى العقل مجرساً للنفس ،

(١) .: التحقيق .

(٢) هـ : للعجز

(٣) أ : الجنس .

(٤) هـ ، ط : مصاحبه الجسم .

(٥) - هـ .

(٦) أ : سماع / هـ ، ط : يسمع .

(٧) ط : الاسترسال .

(٨) أ : اللازم .

لتحصل منها التوبة ، وهى ^(١) الرجوع عن حكم الجسم ومقتضاه ^(٢) ، إلى الحق ؛ فتلزم مشاهدته منها فيها - ولتعلم النفس ، بما أوضحه العقل ، أنها إن جَانَبَتْ ^(٣) الجسم - المعبر عنه بالجس البعيد ^(٤) - فتركت العمل بمقتضاه ، وخالفت أحكامه ؛ ظفرت يداها بالصفات الإلهية ، التى هى قوة ^(٥) النفس وقابليتها ، فتستعمل ^(٥) الإسترسال فى ذلك بشهودها ^(٦) لحقائقها ^(٧) الحقيقية ؛ لأنها عين المعبر عنه بالذات الإلهية ، وإلى ^(٨) النفس أشار بقوله : هو اللطيف فى أسمائه الحسنى ، وبها ظهر الملاء الأعلى والأدنى ^(٩) . يعنى : إن النفس المعبر عنها بالذات ، ظاهرة فى الأسماء الحسنى والصفات العليا التى ظهرت ^(١٠) بواسطتها الموجودات ؛ فالضمير ^(١١) فى قوله بها راجع إلى الأسماء الحسنى . وقد شرحنا لك فى أول هذه النبذة ، عن كيفية كونها توسّطت فى إيجاد هذا العالم .

وعبر عن ذلك بقوله : لما تجاوزت تجاوزت الأول بالجيم ، والثانى بالحاء المهملة . يعنى : لما حصلت المجاورة بين الأسماء الإلهية والصفات الربانية ، لأنها

(١) أ : وهو .

(٢) هـ : ومقتضياته .

(٣) ط : خائنت .

(٤) أ : بالذات الإلهية ، ط : بالجس البعيد .

(٥) * القوة هنا تعنى : استعداد النفس .

(٥) أ : فسهل .

(٦) أ : لشهودها ، هـ : شهودها .

(٧) هـ : الحقائق .

(٨) ط : وإلى ذلك أى .

(٩) هـ : الأصنى .

(١٠) أ : ظهر .

(١١) هـ : والضمير .

كانت في محلٍ واحدٍ فخاطبت^(١) بعضها بعضاً^(٢) بحكم المقتضى ؛ وعن ذلك عبّر بقوله تجاوزت^(٣) . وقد قلنا لك إنها طلبت^(٤) ظهور آثارها ، وإن الكلام على الحال . وذلك واقع ضرورة في الآزال ، علّم تحقّقه^(٥) .

وعن لسان^(٦) حالها المطالب بمقتضى آثارها ، عبّر بقوله : ولما تكاثرت، تسامرت. فرأت^(٧) أنفسها على حقائق ، مألها من^(٨) طرائق . يعنى : رأت الأسماء^(٩) والصفات أنفسها على حقائق مختلفة ، فلتلك^(١٠) الحقائق ظهوراً في الوجود. فكان الأمر : سماؤها مألها من فروج . كنى عنها بالسماء ، لأن السماء لها^(١١) العلو على الأرض ، كما أن المؤثر له العلو على ما أثر فيه؛ وإنّى بقوله ما لها فروج عن عدم ظهور مؤثراتها في ذلك الموطن، فاقتضاه حالها؛ وعن ذلك عبّر بقوله : فطلبت^(١٢) أرضاً تُنبِت^(١٣) فيها من كل زوج بهيج .

(١) هـ : فخاطبتا .

(٢) هـ : ببعض .

(٣) هـ ، ط : تجاوزت .

(٤) أ : طلبت منها .

(٥) كلمات هذا الموضع مضطربة وغير مفهومة في كافة النسخ .

(٦) أ : لسانها .

(٧) هـ : ظهرت .

(٨) - ف .

(٩) هـ : الحسنى .

(١٠) هـ ، ط ، ف : فلتلك .

(١١) أ : له .

(*) لم يشرح الجليلى هنا عبارة وردت في الفتوحات ، تقول ومع هذا فلها نزول وعروج ورعا كانت كلمة عروج هي التي جعلت الجليلى ينصرف عن شرح هذه العبارة ، لأنه هنا يتعرض لتنزلات الأسماء والصفات وليس لعروجها .

(١٢) أ : نبئت .

يعنى : طلبت الأسماء والصفات الإلهية، المعبر عنها بالسماء ، أرضاً؛ أى محلاً
تظهر فيه آثارها . وعن ذلك عبّر بقوله تنبت فيها من كل زوج بهيج يعنى:
فاشتاقت أن تظهر هذه الأسماء والصفات ، كُلاً معنى لطيف من معانى^(١)
آثارها ، فى الموجودات .

فقلت . أى لسان حال^(٢) الأسماء والصفات، عند اقتضاء الظهور:
المفتاح فى النكاح. يعنى : فتح باب الإيجاد، بظهور الكون فى تناكح الأسماء،
أى توأج بعضها فى بعض ، لظهور^(٣) هذا العالم. فعبر عن دخول حكم الأسماء
بعضها على بعض ، بالنكاح^(٤) .

ولابد من ثلاثة ليصح النكاح المعنوى. ولأجل ذلك بُنى عليه النكاح
الصورى^(٥) ، فلا يصحُّ النكاح فى ظاهر الأمر ، إلا بثلاثة . وهم : ولى^(٦) ،
وشاهدى^(٧) عدل ، لهذا القضاء الفصل. فالثلاثة المتصدرة^(٨) المشروطة فى
نكاح الأسماء الإلهية ، هم : الاسم الذاتى ، وهو الله. والاسم الرحمن، لأنه

(١) + ط ، هـ : المعانى .

(٢) - ط .

(٣) العبارة ساقطة من هـ .

(*) يقع بعض الباحثين فى خطأ فاحش ، حين يفهمون مصطلح النكاح بحسب المعنى الحسى
للکلمة. فنرى منهم من يقول إن القطب الصوفى يحب النساء ! لأنهم قرأوا فى الفتوحات أن
القطب كثير النكاح والحقيقة ، فالمراد هنا هو : كثرة تصرف القطب فى الوجود، بمقتضى
الأمر الإيجادى ؛ كن.

(**) يقصد عقد الزواج المعروف ، الذى لا يصح إلا بولى أمر العروس وشاهدين.

(٤) أ ، هـ شاهد ، ط : شاهدان.

(٥) ط : المتصورة .

يرحم^(١) أسماء وصفاته فيظهر^(٢) آثارها . والاسم الرحيم ، لأنه به تُرحم الموجودات .. هذا نكاحٌ أقدسٍ، وثُمَّ نكاحٌ قُدسيٌّ !

والثلاث المشروطة في الأسماء ، لنكاحها الثاني وتداخل بعضها في بعض لظهور العالم كله - أعلاه وأسفله ، أوله وآخره - هو : العلم والإرادة والقدرة^(٣) . فالعلم هو محل ظهور المعلومات ، ومنصّة^(٤) وجود الأسماء والصفات . والإرادة هي المخصصة لكل موجودٍ ، على حكم ما يقتضيه حال الكمال . والقدرة هي المبرزة له من^(٥) العلم إلى العين^(٦) .. فهذه شروط صحة^(٧) النكاح المعنوي الأسمائي الأزلي الأبدى .

فالنكاح الأول ، لتعلق الأسماء والصفات بحقائقها، ولكمال ظهورها . والنكاح الثاني ، لظهور الموجودات وتحقيق بروزها ، ليتم به مقتضى الكمال .. فافهم .

ولما كانت الكلمة الإلهية، التي هي مجلى العلم والإرادة والقدرة، وهى^(٧):

(١) أ : به ترحم أسماؤه .

(٢) أ : فيظهر .

(٣) هـ : القدرة والإرادة .

(٤) هـ : ومنصبه .

(٥) أ : فى .

(*) يكاد الجليلى هنا يجمع بين العلم والقوة ، وبين العين والفعل . فالوجود العلمى هو وجود بالقوة، أما العينية فهو وجود بالفعل .. لكن هذا لا يصح إلا بالنظر إلى الكون الحسى لتعقل مراتب الإيجاد ، أما على الإطلاق ؛ فالأعيان ثابتة فى العلم، بقطع النظر عما هو كائن فى الكون المادى .

(٦) هـ : صحة شروط .

(٧) هـ : وهى كلمة .

كُنْ .. متعلقة بالمعلوم^(١) ، لشمول معاني الكمال له تعالى ، لقوله عز وجل : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢) فالشئ هو معلوم بالصفة العلمية، ومراد^(٣) بالصفة الإرادية. وكلمة كُنْ هي المتعلقة بعين ذلك المعلوم في العلم، وصفة القدرة هي المخرجة له من العلم إلى العين. عبّر عن ذلك بقوله : فقال العليم ، يعني^(٤) الصفة العلمية أعطت أنه : لا بد من كلمة كن، لظهور هذه الأعيان الثابتة في العلم وخروجها من محلها إلى العالم^(٥) العيني .

[أسرار البسملة]

وعن كلمة كُنْ عبّر بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم . ومن ثم قال بعض العارفين : بسم^(٦) الله الرحمن الرحيم من العارف ، كَكُنْ من الله^(٧) .. وسوف يذكره الشيخ^(٨) فيما يلي في هذا الفصل - إن شاء الله تعالى - ولولا أن الكلام يأتي على بسم الله الرحمن الرحيم في أثناء هذا الباب^(٩) ، لتحدثنا

(١) - ط .

(٢) أ : أمرنا .

(*) سورة النحل ، آية ٤٠ .

(٣) هـ ، ط : مرادنا .

(٤) العبارة ساقطة من هـ .

(٥) ط : العلم .

(٦) العبارة ساقطة من هـ .

(**) في مقالة رمزية للإمام عبد القادر الجيلاني ، المتوفى ٥٦١ هجرية، يقول : بسم الله من العارف، بمنزلة كن من الله .. (انظر : ديوان عبد القادر الجيلاني ؛ بتحقيقنا ؛ مقالة الاسم الأعظم) .

(٧) ط : رضى الله عنه .

(٨) هـ : الكتاب .

هنا^(١) ، حسبما أراده الشيخ رضى الله عنه .

فهذا^(٢) يا ولي^(٣) ، الشاهدان والولى . لما كان الاسم الله ، والاسم الرحمن ، والاسم الرحيم ؛ موجوداً فى البسملة . أشار الشيخ رضى الله عنه إلى ذلك حسبما ذكرنا ذلك آنفاً . فجعل الولى هو الاسم^(٤) الله ، والشاهدان هما^(٥) الرحمن والرحيم^(٦) ، على النمط السابق . ففى بسم الله الرحمن الرحيم سرُّ النكاحين^(٧) المعقودين لظهور حقائق الحق وحقائق^(٨) الخلق .. فتأمل ، تُرشد إن شاء الله تعالى .

[تركيب الموجودات]

قال الشيخ رضى الله عنه : فهذا . يعنى ما عبّرنا^(٩) عنه من لسان حال الكمال فى^(١٠) الأزل : كان أول^(١١) تركيب الأدلة . أراد بالأدلة ؛ المصنوعات وبروزها^(١٢) . يعنى : بذلك^(١٣) المعقول آنفاً ، كان سبب تركيب

(١) أ : عليه هنا .

(٢) هـ : هنا .

(٣) ف : أيها الولى .

(٤) - ط .

(٥) أ : هو .

(٦) هـ ، ط : الرحمن الرحيم .

(٧) أ : سر حين .

(٨) + ط .

(٩) هـ : ما عبّرناه .

(١٠) أ : من .

(١١) - ط .

(١٢) - أ .

(١٣) أ : كذلك ، ط : فذلك .

المصنوعات وبروزها على لسان^(١) العموم. وأما على الخصوص ، فالأدلة هي الأسماء والصفات الإلهية؛ لما اقتضاه^(٢) الشأن الإلهي ، من حيث ماهو الأمر عليه، ليكون ذات واجب الوجود، منعوتاً بنعوت الكمال والجلال والجمال.

فتركيب^(٣) كل^(٤) اسمٍ علماً ، على صفة متعته؛ وتركيب^(٥) كل صفةٍ -نصته- على شأنٍ إلهي .. فقال تعالى^(٦) ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(*) لأن الشيء في نفسه، لا يحتاج إلى اسمٍ يميز به نفسه لنفسه. هذا إذا كان ثمَّ موجودٌ آخر ، فكيف إذا لم يكن ثمَّ غيره ؟ فبالأولى^(**) ..

ولما لاح هذا المعنى لبصائر المعتزلة^(***) ، من حيث أنهم لم يشعروا به، ذهبوا إلى أن القَدَمَ للذات فقط، ليس لشيء من الصفات عندهم قَدَمٌ في القَدَمِ؛

(١) العبارة ساقطة من أ .

(٢) أ : اقتضاهما.

(٣) هـ : فركوب .

(٤) - أ .

(٥) العبارة ساقطة من ط .

(٦) ط : فليل .

(*) سورة الأعراف ، آية ١٨٠ .

(**) وفقاً لنظرية الجيلي -واين عربي - فإنه لا موجود على الحقيقة، إلا الله .. وأما ما نراه من حولنا، فهو وجودٌ مجازيٌّ، ملحق بوجود الله، وهو ما يسميه الجيلي : العارية الوجودية (راجع بحثنا: عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية ص ١٤١).

ويريد الجيلي هنا أن يقول : إنه لما كان الله هو الموجود فقط، ولما كانت الأسماء علماً على الموجودات .. قلله الأسماء كلها ! لكنه هنا لم يفرق بين مطلق الأسماء، وبين الأسماء الحسنَى التي هي الله بالاتفاق.

(***) المعتزلة ؛ واحدة من كبريات الفرق الإسلامية ، ناقشت قضايا العقيدة وعلم الكلام بنوع من الجدل والحجج العقلية، وانتهت إلى بعض النظريات، منها نظرية العلاقة بين الذات والصفات .. انظر ما يأتي .

فقالوا بأن جميع الأسماء والصفات الإلهية مخلوقة^(١) . وفاتهم نصف المعرفة بالله، كما فات من قال بأنها^(٢) قديمة على الإطلاق ، لقدّم^(٣) الذات .. ولم يجمع بين الحكمين، إلا عارف بالله. ولا يكون ذلك، إلا لمن أشهده الله حقائق الأشياء ، فعرفها، وعرف مجاليها - على ماهي عليه جملة وتفصيلاً - فعرف كيف يُنسب^(٤) كل اسم أو صفة إلى الله^(٥) ، فيحكم بأنه قديم؛ وكيف ينسبه إليه ، فيعرف بأنه - أى الاسم والصفة - مُحدثٌ . ولم يقف على وجهٍ دون آخر ، لأن الحق هو الجمعية.

وبعد هذا ، عرضت الشبهة^(٥) المضلّة . يعنى عرضت على العقول أمورٌ ، يعطى بعضها الاشتباه بالحق، فضلت أهل تلك العقول عن الطريق الإلهى الذى هو له تعالى. على أن الطريق المضلّة ، أيضاً ، له وإليه^(*) .. لكن هذه على

(*) فى العلاقة بين الذات والصفات ، ذهب بعض المعتزلة إلى القول بأن الذات الإلهية قديمة، وصفاتها حادثة ؛ لأنهم أرادوا إثبات قديم واحد فقط. وبعضهم قرر أن الصفات عين الذات فهى بذلك ليست خارجة عنها أصلاً ، ويُعرف قولهم هذا ، بنظرية الهو هو .. فالله عليمٌ بعلم هو هو ، وقادرٌ بقدره هى هو .. وهكذا .

(١) هـ : أنها .

(٢) هـ : لتقدم.

(٣) ط + ط .

(٤) ط : تعالى .

(٥) أ ، هـ : النسبة ، ط : الشبهة.

(**) يقول الجبلى فى كتابه (الإنسان الكامل ١ / ٣٤) إن الله تعالى : يتجلّى باسمه المضلّ، كما يتجلّى باسمه الهادى . وهو ينطلق هنا من اعتبارٍ لتحليلات الأسماء الإلهية كلها فى الوجود .. والله تعالى يهذى ويضل ، فهو إذن الهادى المضل ؛ ولا بد أن يظهر أثر ذلك - منه - فى الوجود.

العموم وبحكم الوسائط البعيدة ، وتلك على الخصوص وبالوسائط القريبة ..
وقد شرحنا لك في هذه النبذة جميع ما أراد^(١) الشيخ رضى الله عنه، ونبّه عليه
فى الباب الرابع من كتاب الفتوحات.
والله الموفق .

* * *

(١) هـ : أراد .

البَابُ الْخَامِسُ

الأمرُ دَوْرِيٌّ ، يَعُودُ إِلَى مَا مِنْهُ بَدَأَ !

[سِرُّ كُنْ]

قال الشيخ رضى الله عنه^(١) : ومن ذلك . أى، ومن بعض^(٢) ما تضمنه هذا الباب من فنون العلم المشار إليه آنفاً^(٣) : سِرُّ كُنْ والبِسْملة ، فيَمَنْ عُلِّله .

قد قلنا لك آنفاً ، إن^(٤) البِسْملة عبارة عن كلمة كُنْ لأن الله تعالى كما أظهر الموجودات بواسطة الكلمة ، كذلك أظهر سِرُّ كتابه الكريم^(٥) بواسطة البِسْملة. فالكتاب كله، نسخة جميع^(٦) الوجود ؛ والفاصلة نسخة الإنسان، والبِسْملة نسخة كلمة الحضرة . ولهذا سَنَّ رسول الله ﷺ البِسْملة فى ابتداء الأمور ، ليكون^(٧) التقدير فيه : كل فعل^(٨) يفعله عقيب البِسْملة، بالله. فمن بَسْمَلَ عند الأكل ، كان تقدير حاله^(٩) أن يقول^(١٠) : بالله أشرب .. فلا بد من تقدير الفعل بعد^(١١) البِسْملة بلسان الحال ، لتعلق^(١٢) الياء من بسم الله واسم زائدة ، والمراد الله، كما فى قول ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(*)

(١) العبارة ساقطة من هـ.

(٢) أ : بعد .

(٣) غير واضحة فى أ.

(٤) العبارة التالية ساقطة من هـ .

(٥) ط : العزيز .

(٦) هـ ، أ : كل .

(٧) أ : فيكون .

(٨) ط - ط .

(٩) هـ : أنه .

(١٠) هـ : تقديره .

(١١) هـ : العقل عقيب .

(١٢) هـ : ليتعلق ، ط : لتعلق .

(*) سورة الأعلى ، الآية الأولى .

والمراد^(١) بذلك : سَبِّحْ رَبَّكَ .

وقد وضعنا للبسملة كتاباً ، شرحناها فيه أيام البداية ، وسميناه **بالكهنه والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم**^(٢) . وهذا الكتاب المذكور ، أول كتاب صَنَّفناه في علم الحقيقة ، فالحمد لمن جعل أول تصنيفاتي في : بسم الله الرحمن الرحيم ، ليقع كمال النسبة الإلهية^(٣) في إظهار الحقائق صورةً ومعنى . ولولا ما شرحناه من^(٤) أمر البسملة ، لأوردنا لك ذلك كله^(٥) ، على التفصيل والإجمال .. وزبدة^(٦) الأمر كله ؛ رجوعُ أمر جميع أفعال العباد ، إلى أنها أفعالُ لله^(٦) .

[عبارات صوفية]

فلذلك قال الحلاجُ ، وإن لم يكن من أهل الاحتجاج : بسم الله منك بمنزلة كُنْ منه . الحلاج رضى الله عنه ، هو الحسين بن منصور الحلاج^(*) . قال

(١) العبارة ساقطة من هـ .

(٢) هو أول كتب الجيلي في التصوف - كما ستأتى الإشارة - وقد انتهينا من تحقيقه ، وننتشم أن ننشره قريباً .

(٣) هـ : الكمالات .

(٤) هـ : في .

(٥) أ : كل .

(٦) هـ : وييله .

(٦) أ : الله ، ط : الله تعالى .

(**) يعدُّ الحلاج (أبو المغيث الحسين بن منصور ، المقتول ببغداد سنة ٣٠٩ هـ) من أشهر الصوفية الذين استهلكتهم رؤية الله ، فباحوا بالأسرار الإلهية التي لم يأت الإذن الإلهي بالبوح بها . كان الحلاج قد تفوه ببعض الألفاظ التي تفوح منها رائحة الحلول ، فاتهمه معاصروه من الفقهاء بالإلحاد ، وأفتى بعضهم بقتله ، فقتل في يوم مشهود (انظر المناقشة التفصيلية لقضية الحلول وموقف الحلاج ، في كتابنا : الفكر الصوفي .. ص ١٥٩ وما بعدها)

الشيخ إنه ليس من أهل الإحتجاج ، لأنه لما تحدّى وقال أنا الحقُّ قتله سيف الشريعة؛ فلو امتنع بمقتضى صفات الحق، لم يستطع أن يقتله أحدٌ ؛ فكانت حُجَّتُه ثابتة ودعواه صحيحة عند الغير . كما جرى لأبى يزيد^(*) رضى الله عنه فى قوله : سبحانى ، ما أعظم شأنى وأعزُّ سلطانى ! وفى قول الشيخ عبد القادر^(**) رضى الله عنه : معاشر الأنبياء ، أوتيتم اللقب ، وأوتينا ما لم تقوتوه !

= ومعظم الصوفية الكبار ينظرون إلى الحلاج على أنه من أهل التلوين وأنه لم يصل إلى التمكين ! لذلك لأمّه ابن عربى فى (كتاب التحليات) قائلاً له : لِمَ تركت بيتك يخرب .. مشيراً بذلك إلى أن الحلاج أعطى للأغيار حق التصرف فى دمه . وقال الإمام الجيلانى : عشر الحلاج ولم يكن فى زمانه من يأخذ بيده، ولو أدركته لأخذت بيده .. وهى عبارة تفروح بتعاطف الجيلانى مع الحلاج ، وفهمه لموقفه (انظر مقالات الجيلانى فى الحلاج ، ضمن: ديوان عبد القادر الجيلانى ، بتحقيقنا، ص ٢٦٩ وما بعدها) .

وللمزيد عن الحلاج يمكن الرجوع إلى : طبقات الصوفية ص ٧٤ - كشف المحجوب ٣٦١ - تجارب الأمم ٧٦/١ - الفهرست ٢٦٩ - تاريخ بغداد ١١٢/٨ - الأنساب ١٨١ - المنتظم ١٦٠/٦ - الكامل فى التاريخ ١٢٦/٨ - وفيات الأعيان ١٤٠/٢ - العبر ١٣٨/٢ - سير أعلام النبلاء ٣١٣/١٤ - دول الإسلام ١٨٧/١ - مرآة الجنان ٢/٢٥٣ - شذرات الذهب ٢/٢٥٣ .. وغير ذلك.

(*) راجع ترجمة البسطامى فيما سبق .

(**) هو الإمام : محى الدين عبد القادر الجيلانى ، المتوفى ٥٦١ هجرية .. إمام التصوف، وشيخ الحنابلة، وصاحب واحدة من أوسع الطرق الصوفية انتشاراً فى العالم الإسلامى . ولد بجيلان سنة ٤٧٠ هجرية ، ونزل بغداد وظل بها حتى وفاته .. ترك مجموعة من المؤلفات ، أشهرها كتابه : الغنية لطالبي طريق الحق .

وقد كان الإمام الجيلانى وتصوفه موضوعاً لرسالتنا لنيل درجة الدكتوراه .. ثم أصدرنا عدة أعمال حوله ، فعن حياته وشيوخه وطريقه إلى الله وضعنا كتاب (عبد القادر الجيلانى باز الله الأشهب) وعن طريقته الصوفية وانتشارها وضعنا كتاب (الطريق الصوفى وفروع القادرية بمصر) ثم جمعنا نصوصه الشعرية والشعرية وحققناها فى كتاب (ديوان عبد القادر الجيلانى) ولازلنا نعمل على تحقيق مجالسه ومواظله الصوفية المجموعة بعنوان : جلاء الخاطر فى =

وفى قول الشيخ أبى الغيث ابن جميل^(*) رضى الله عنه : نُخَضُّنا بَحْرًا وَقَفْ
الأنبياء بِساحِلِهِ ! وقوله حين قال له الحِكْمَى^(**) رضى الله عنه : ما حالك ؟
قال : أَصْبَحْتُ أَحْيى وَأُمَيْت ، وَأَفْعَلُ ما أُرِيد ، وَأَنَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

فَكُلُّ من هؤلاء السادة^(***) ، منع بحاله أن يسطر عليه أحدٌ ، فأقام حُجَّتَهُ .
وكان^(١) الحلاج دون هذه المرتبة - ولو كان على الحق - ولهذا أخذته سيوف
الشريعة . ولا مؤاخذه على مَنْ قام عليه ، لأنهم قاموا بالحق ؛ ولو كان حَقُّه
أعلى من حَقِّهم .

ونهايةُ الأمر ؛ إن الذين فعلوا هذا الفعل ، إذا ظهرت عليهم الحقائق ؛
نَكَسُوا رؤوسهم ، وآمنوا بقوله . ولولا الحقيقة ، ما أخذته سيوف^(٢) الشريعة ؛

- الظاهر والباطن .

ولاتكاد ترجمات الجيلانى فى المصادر التاريخية تقع تحت الحصر ، وهناك قرابة الثلاثين كتاباً
عنه ، أشهرها كتاب الشطنوفى : بهجة الأسرار ومعدن الأنوار .

(*) هو شمس الشموس ، أبو العيث ابن جميل المتوفى ٦٥١ هجرية . أشهر صوفية اليمن فى القرن
السابع . كان له أثره الكبير فى الحياة الروحية ببلاد اليمن ؛ قيل إنه كان فى أول أمره قاطعاً
للطريق ! فخرج مع رفقة له للسطر على قافلة ، فطلبوا منه أن يكون عيناً لهم ، ليرصد وصول
القافلة ؛ وبينما هو يراقب الطريق فإذا بهاتف يقول له : يا صاحب العين ، عليك العين !
فعرف أنه هاتف ربانى ، وكفَّ عن قطع الطريق ، وسلك طريق الصوفية حتى بلغ فيه شأنًا
عظيمًا .

انظر ترجمته فى : مرآة الجنان ٤ / ١٣٦ - العقود اللؤلؤية (مخطوط) ١ / ١٠٧ - الصوفية

والفقهاء فى اليمن ص ١٥ .

(**) هو أحد الصوفية المعاصرين لابن جميل .

(***) يقصد ؛ أبا يزيد البسطامى وعبد القادر الجيلانى وابن جميل .

(١) - ط .

(٢) - ه .

لأنه لما طلب^(١) ظهوره بالربوبية فى عالم العبودية - وذلك أعزُّ من وجود النار فى قعر البحار - أطلقه^(٢) لسانُ الوقت^(*) ، عن قيد الهيكل الجسماني^(٣) ، ليتحقَّق بما ادَّعاه فى العالم اللائق بتلك الدعوى ، فجرى عليه ، ما جرى غيره من الحقائق على الحقائق ؛ لئلا يدَّعى هذا المقام مَنْ ليس له ذلك. ولو كان متحققاً بذلك كمال^(٤) التحقيق^(٥) ، كما كان عليه غيره من الكُمل المذكورين ، لامتنع بحق صفات الربوبية عن تلك القُتلة ، كما امتنع غيره .. فكان^(٦) الحلاج على بينةٍ من الله، ولو^(٧) لم يكن له شاهد تلك البينة. وكان مَنْ ذكرناهم من الكُمل، على بينةٍ من الله، ويتلوه شاهد منه.

ولهذا ، قال الله تعالى ﴿إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتَ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ﴾^(**) يريد بذلك، كناية عن حال المريد إذا تكلم قبل أوان الكلام^(***) ؛ وفى المثل السائر

(١) ط : ظلت .

(٢) هـ : أطلقه .

(*) الوقت اصطلاحٌ صوفى خاص .. يقول القاشانى : الوقت ما حضرك فى الحال، فإن كان من تصريف الحق ، فعليك الرضا والاستسلام حتى تكون بحكم الوقت، ولا يختل ببالك غيره، وإن كان مما يتعلق بكسبك، فالزم ما أهمك فيه ، لا تعلّق لك بالماضى والمستقبل .. ولهذا قال المحقّق ، الصوفى ابن وقته (اصطلاحات الصوفية ص ٥٣) وقد أوجز ابن عربى تعريف الوقت، حين وصفه بأنه : عبارة عن حالك فى زمن الحال ، لا تعلّق له بالماضى والمستقبل .

(٣) ط : الجسماني .

(٤) + هـ .

(٥) ط : التحقيق .

(٦) هـ : وكان .

(٧) العبارة التالية ساقطة من هـ .

(**) سورة لقمان ، آية ١٩ .

(***) يؤكد الصوفية ضرورة التزام المريد المبتدئ بالصمت، حتى يأتى أوان ظهوره والإذن الإلهى له بالكلام. وقد عدوا الصمت أحد السبل التى تقود للولاية ، فيقول الصوفية : ما صار =

عند الامتحان يعزُّ المرءُ أو يُهان. فلكل مقام مقال، لا يصح دعوى المتكلم عن ذلك^(١)، إلا إذا تمكن^(٢) فيه.

فلو^(٣) كان الحلاج رضى الله عنه، واجد الحقيقة، ما قال غير متمكنٍ بالحال؛ فتعجل^(٤) وتكلم، ولو تأمل في قوله تعالى لنبيه الكريم ﷺ ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾^(٥).. الآية ﴿لَكَانَ﴾^(٦) كغيره من الكُمل الذين قال الله^(٧) في حقهم: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾^(٨).. الآية ﴿فَالْكَامِلُ يَعْمَلُ بِأَمْرِ اللَّهِ، كُلُّ مَا^(٩) يُعْلَمُهُ﴾^(١٠) الله، والعارف يعمل بالله مطلقاً؛ لا يعلم^(١١) هذا الأمر المخصوص - الذى يتوجّه من الحق إلا الكامل - إلا إذا كان كاملاً^(١٢)، وإلا فهو محجوب عنه.

- الأبدال أبدالاً، إلا بأربع خصال؛ الصمت والجوع والسهو والخلوة.. وبخصوص الصمت عند الصوفية، انظر: اللمع ص ٣٧٦ - قوت القلوب ٩٥/١ - الرسالة القشيرية ص ٦٢ - الإحياء ٤ / ٢١٠.

(١) - هـ .

(٢) عبارات هذا الموضع مضطربة فى أ.

(٣) .: لو .

(٤) أ : فيحل ، ط : فعجل .

(٥) هـ : لتعجل به (أنه) علينا جمعه وقرآنه فإذا (أقرانه) فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه.

(*) سورة القيامة ، آية ١٦ .

(٦) أ : تعالى .

(٧) هـ : وهم بأمره يعملون.

(*) سورة الأنبياء ، آية ٢٧ .

(٨) .: كلما .

(٩) هـ ، ط : يعمله.

(١٠) ط : يعمل.

(١١) أ : عارفاً كاملاً.

[تصرف الأولياء]

ولما كان الوليُّ فاعلاً بالله، لتحقيق ذاته بمعنى صفاته ؛ كان بسم الله منه، بمنزلة كُنْ من الله. إذا قَارَنْتُ ذلك منه^(١) حركةً إراديةً لصدور ما يريد في الخارج ، كما أن كلمة كُنْ من الحق مقارنة لإرادته ما^(٢) يكون على الوجه المخصوص^(٣) المراد .

ولهذا ، قال الشيخ رضى الله عنه : فَخُذْ^(٤) التكوين عنه . الضمير فى عنه راجعٌ إلى اسم الله المذكور فى البسملة، والمراد : خُذْ علم كيفية التكوين، عن الله المكون^(٥) ؛ فقل للشئ كُنْ فيكون ، كما هو القائل تعالى لكل شئ .

وعن ذلك عبّر بقوله : فمن تقوى^(٦) جأشه^(٧) ، أى قلبه واستدار عرشه^(٨) ، باستوائه^(٩) بذاته على عرش أسمائه وصفاته ؛ وتمهّد فرشه^(١٠) ، بتمكّنه^(١١) من التحقيق، صورةً ومعنى ؛ فظهر أثر^(١٢) اسم باطنه على ظاهره،

(١) + ط .

(٢) أ ، ط : بما ، هـ : لاراتبه بما .

(٣) - هـ .

(٤) أ : فى .

(٥) هـ : الموكون .

(٦) هـ : قوى .

(٧) ط : جلسته .

(٨) - هـ .

(٩) هـ : بالسواية .

(١٠) ط : فراشه .

(١١) ط : يتمكينه .

(١٢) أ : وظهر اسم .

فكان لجسمه جميع ماهو لروحه - التى^(١) لها ما للحق تعالى - كان متصرفاً فى العالم، تكون الأشياء بكلمته لها كن . كرسول^(٢) الله ﷺ ، قال كُنْ ، ولم يُسْمَلْ ؛ فكان ، ولم يُحوَّلْ .

أشار إلى قوله ﷺ لشيخ رآه من بعيد : كُنْ زيداً، فكان ذلك^(٣) الشيخ زيداً، أخو عمر بن الخطاب^(٤) ، أرسله رسول الله ﷺ^(٥) ، وترقّب وصوله؛ وحكايته مشهورة. والمراد : إن مَنْ كان متحققاً^(٦) بربه - روحاً وجسماً، وصورةً ومعنىً - تكون ذلك الشيخ فصار زيداً لرسول الله ﷺ ، فقال كُنْ ، ولم يقل بسم الله الرحمن الرحيم ، لأن بسم الله مرتبة المعارف ، وكُنْ مرتبة الله ، والمحقق^(٧) هو الله ليس المراد بهذا الاسم غير المحقق ، ولا غير الله تعالى^(٨).

وقوله فكان ضميره راجعٌ إلى ما قاله رسول الله ﷺ : كُنْ^(٩) . وفاعل لم يُحوَّلْ راجعٌ إلى رسول الله ﷺ ، أى : لم يقل لاحول ولاقوة إلا بالله . لأن ذلك مرتبة العارف الذى رجع إلى الله تعالى بالفناء^(١٠) عن صفات نفسه

(١) :. الذى .

(٢) أ : كرسوله .

(٣) هـ : وكان .

(٤) ط : رضى الله عنه.

(٥) - أ .

(٦) ط : محققاً.

(٧) العبارة ساقطة من هـ.

(*) يشير الجليلى هنا إلى المعية التامة المطلقة بين الولي المحقق وبين ربه ، على النحو المشار إليه فى مفهوم الفناء فيما يلى .

(٨) العبارة التالية ساقطة من أ .

(**) وضع ابن عربى تعريفاً للفناء ، يحتاج إلى تعريف ا فقال : الفناء رؤية العبد للعلة، بقيام -

وأفعالها، بل وعن ذات نفسه^(١)؛ والله راجع إلى المحقق، رجوع العارف إلى الله.. فالعارف قائم بالله، والله قائم بالمحقق. فلهذا، لم يقل المحقق لاحول ولا قوة إلا بالله، كما يقول المحقق^(*).

فمن ذاق، من شراب التمكين بالذات في تحقيق إظهار معاني الأسماء والصفات؛ ضاق مسلكه، لأنه حينئذ^(**) يسير^(٢) بالذات، والذات ظلمة لا طريق فيها لسالك. وإلى هذا المعنى أشار سيدي محيي الدين عبد القادر الجيلاني، رضى الله عنه، بقوله:

**كُلُّ الْأَوْلِيَاءِ لِمَا وَصَّلُوا إِلَى الْقَدَرِ وَجَانُودُهُ مُصْمِتَةٌ.. فَوَقُّوْا، إِلَّا أَنَا،
فَتَبَحْتُ لِي فِيهِ رَوْزَنَةٌ^(***)، فَوَلَجْتُ فِيهَا، فَلَذَأَفَعْتُ أَقْدَارَ الْحَقِّ بِالْحَقِّ^(****).**

= الله على ذلك (اصطلاح الصوفية ص ٦) وبالجمل، فالفتاء حالة شعورية لا يكون فيها للولي أى إحساس بذاته. وقد أوضح الكلاباذى أن: فناء البشرية ليس على معنى عدمها، بل على معنى أن تُغمر بلذة توفى على رؤية الألم (التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٥٠).

(١) هـ: صفات نفسه.

(*) بخصوص معنى المحقق ومفهوم التحقيق، راجع بحثنا: الفكر الصوفى ص ٨٠.

(**) وضع ناسخ المخطوطة أ اختصاراً لطيفاً لهذه الكلمة، فكتب: ح أ

(٢) أ، هـ: يشير.

(***): الروزنة: تعريباً لكلمة فارسية، تعنى الكوة.. راجع: معجم الألفاظ الفارسية المعربة، للسيد أدى شير (مكتبة لبنان ١٩٨٠) ص ٧٢.

(****): وردت عبارة الإمام الجيلاني، مراوة بالإسناد المتصل، فى كتاب (بهجة الأسرار ومعدن

الأنوار) للشطنوفى، بلفظ: أنا من وراء أمور الخلق، أنا من وراء عقولهم، كل رجال الحق إذا

وصلوا إلى القدر أمسكوا، إلا أنا، وصلت إليه وفتح لي منه روزنة، فأولجت فيها ونازعت

أقدار الحق بالحق للحق، فالرجل هو المنازع للقدر لا الموافق له.. (بهجة الأسرار، ص ٢٣)

وتشير العبارة إلى منتهى تصرف الأولياء فى الكون، حيث يدفعون بأمر الله قَدرَ الله. ولا

شك فى أن فهم هذه العملية فهماً عقلياً منطقياً، من شأنه أن يثير العديد من الإشكالات..

فلا يبقى إلا اعتبارها حقائق مخصصة، والعهد فيها على القائل.

هذا^(١) معنى ؛ وإن شئت قلت : من ذاق ألوهية الحق فى الحق ، ضاق عن قبوله بحكم^(٢) الخلق بالكلية ؛ فإن فى ذلك فقداناً للربوبية ، إذ ليس من الكمال ترك الربوبية للعبودية^(*) ، فيضيق المحقق^(٣) عن كمال التنزيل إلى العالم الخلقى من كل جهة . فإذن^(٤) : يكون حقاً مع حقيقته بالذات ، وخلقاً مع خليقته بالأسماء والصفات والشئون والاعتبارات والنسب والإضافات ، فمعيته مع الحق والخلق ، خير معية ، الحق سبحانه وتعالى ! ولم يُقر بهذه النكته حالاً ، إلا كامل^(٥) فى هذه الدار .. وحقيقة الأمر ؛ رجوع الكل إلى هذا المعنى .

[رجوع الأمر]

وقد أشار الشيخ رضى الله عنه إلى^(٦) ذلك بقوله : وإذا التفت الساق بالساق ؛ فإلى^(٧) ربك^(٨) المساق^(*) ، وإليه^(٩) ترجع الأمور ، إذ^(١٠) كان منه الصلور . معناه : إذا التفت والتحقت الذات الإنسانية بالذات الرحمانية ، بشهودها أنها عينها - لا غيرها - من كل جهة ، وبكل اعتبار ، وعلى كل حال ،

(١) هـ : للحق هذا .

(٢) أ : لحكم .

(*) يقصد ترك مقتضيات الربوبية من تصريف وغيره ، إلى أحكام البشرية وما إليها .

(٣) ط : الحق .

(٤) .: إذا .

(٥) أ : كل كامل .

(٦) - هـ .

(٧) أ ، هـ : إلى / ط : وإلى .

(٨) أ ، هـ : ربك يومئذ .

(**) تضمين للآية ٢٩ ، ٣٠ من سورة القيامة .

(٩) هـ : فإليه .

(١٠) هـ ، ط : إذا .

وفى كل وقتٍ على الدوام . فإلى مقام الربوبية المحضة، يكون مساق هذا الإنسان. وحيث^(١) ، ترجع إليه -أى إلى الإنسان^(٢) - الأمور ؛ لأنه الحق الذى كان منه البداية والصدور^(٣) . إذ الأمرُ دورى ، يعود إلى ما منه بدأ.

ولهذا ، قال^(٤) الشيخ رضى الله عنه : لَا تُبَسِّمِلْ ، وَقُلْ بِكُنْ ، مثل ما قاله يكن^(٥) .. يكن^(٦) الأولى ، بالباء الموحدة . ويكن الأخيرة ، بالياء المثناة من تحت ؛ وهذا^(٧) جزاء لقوله : قل .. والمعنى : لا ترجع بك إليه، كما هو المقصود فى البسملة، بل ارجع بالأمر كله إليك ، وقل كُنْ لما تريده، كما يقوله الحقُ يكن ما شئت كما شئت.

فإليه رجوعنا ، لا إلينا . أى : فإلى مقام الربوبية^(٨) رجوعنا ، لا إلى مقام العبودية . فالربوبية لازمة لذواتنا ، والعبودية عارضةٌ بحكم المحل . وترتيب الحكمة، هو المقتضى للحكمين فى المحلين ؛ من أجل هذه الذات^(٩) الواحدة الكاملة بجميع تلك المعانى .

(١) أ : و ح .

(٢) + ط .

(*) يقصد ؛ صدر الموجودات عن الله. وهى فى الأصل نظرية فلسفية شهيرة ، وسوف يعرض لها الجيلى بعد قليل ، حين يتناول موضوع الروح وتنزلات الذات الإلهية .

(٣) هـ : وإلى هذا أشار .

(**) هما بيتان [من مجزوء الخفيف] وردا فى الفتوحات على النحو التالى :

لَا تُبَسِّمِلْ وَقُلْ بِكُنْ	مَثَلَمَا قَالَهُ يَكُنْ
فإليه رُجُوعُنَا	لَا إِلَيْنَا فَكُنْ تَكُنْ

(٤) أ : يكون / هـ ، ط : يكن ا

(٥) هـ : وهو .

(٦) هـ : الريبة .

(٧) أ : الدار .

فكن^(١) عين الذات الإلهية من كل جهة ، وبكل اعتبار ، وعلى كل حال، لا تخرج عن ذلك طبعاً. تكن ، عينه .. بإظهار الأثر^(٢) من نفوذ كل أمر، وإدراك كل علم. وما يُلقَّاهَا إلا الذين صبروا ، وما يُلقَّاهَا إلا ذو حظٍ عظيم^(*) .

وقد رمزت لك في هذه^(٣) النبذة^(٤) ، جميع ما صرَّح به الشيخ^(**) في الباب الخامس من كتاب الفتوحات المكية . فتأملْه ، تُرشدْ بمعرفته إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) هـ : فكيف .

(٢) ط : الآثار .

(*) سورة فصلت ، آية ٣٥ .

(٣) - هـ .

(٤) - ط .

(**) المفروض أن الجليلي هو الشارح الذي يصرح بجميع ما رمزه ابن عربي !

البَابُ السَّادِسُ

جَرَى بِنَا جَوَادُ الْبَنَانِ فِي هَذَا الْبَيَانِ، حَتَّى
أُظْهِرَ مَا لَمْ يَخْطُرْ إِظْهَارُهُ فِي الْجَنَانِ ..

[الروح وتنزلات الذات]

قال الشيخ رضى الله عنه: **ومن ذلك** . أى^(١) ، ومن بعض ما تضمنه هذا الباب من فنون العلم المشار إليه أولاً . **سرُّ الروح وتشبيهه بيوح** . الألف واللام فى الروح ، للعهد^(٢) - وتقديره : **سرُّ**^(٣) الروح الكلية المشرقة من الهياكل الجزئية، التى يصحُّ وقوعها على كل فردٍ من أفراد هذا^(٤) النوع الإنسانى . وتشبَّهت هذه الروح بيوح، وهو اسم من أسماء الشمس^(٥) ، والمراد به هنا الحق تعالى^(٦) ، لأنه نور السموات والأرض .

فالإنسان، هو **المُثل الذى ليس كمثله شئ**^(٧) ، فى الأرض ولا فى السماء، لكونه^(٧) نسخةً كاملةً جامعةً شاملةً . وقد صرَّحنا فى كتاب^(٨) **الكمالات الإلهية**^(*) عن حقيقة هذه النسخة وكيفية معناها، وكشفنا عن ذلك أيضاً على التفصيل^(٩) - بعبارة مبسطة - فى كتابنا **الموسوم بإنسان عین**

(١) العبارة التالية ساقطة من هـ .

(٢) غير واضحة فى أ .

(٣) أ : وسر .

(٤) - أ ، ط .

(٥) + أ .

(٦) أ : سبحانه وتعالى .

(*) سورة الشورى ، آية ١١ .

(٧) - أ .

(٨) هـ : كتابنا .

(**) هو كتاب : **الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية** .. ذكر الجلى فى خاتمته ، أنه انتهى من

تأليفه سنة ٨٠٥ بمدينة زيد باليمن .

(٩) - ط .

الوجود^(١) ووجود عين الإنسان الموجود^(٢) فمن أراد تحقيق هذه المعرفة، فليكشف عن محلها من هذين الكتابين .. وسأذكر لك من ذلك طرفاً^(٣) جامعاً، وهو:

إن الله تعالى ، لما^(٤) أَحَبَّ الظهور من ذاته لذاته، بمقتضى ذاته؛ قَسَمَ ذاته قسمين - من غير تعدُّد في العين - فسمى أحد القسمين بالواجب ، والقديم، والرب ، والفاعل. وسمى القسم الثاني بالممكن ، والمُحَدَّث ، والعبد ، والمنفعل.

فأول ما أظهر^(٥) من ذلك القسم الثاني ، مَحَلُّ^(٥) حَكْمِيٍّ سماه^(٦) بالهباء والهيولى^(٧) والقدرة ؛ لأن العالم كله متحيِّزٌ ، ولا بد للمتحيِّز من مكانٍ يحلُّه. فإن كان المكان مخلوقاً ، فقد دخل في حُكْمِ العالم ، ولا بد له من مكان؛ هكذا

(١) - أ .

(٢) - هـ .

(٣) هـ : طرفاً من ذلك .

(*) يستخدم الجليلي هنا كلمة لما كما استخدمها ابن عربي في بداية كتابه فصوص الحكم حيث لا تشير إلى زمان، لأن المشيئة الإلهية لا تتعلق بزمان دون آخر . يقول الدكتور عفيفي: **المسألة تقريب للأذهان ، وشرح للحكمة الإلهية في الظهور** (تعليقات على فصوص الحكم، ص ٦)

(٤) أ : ظهر .

(٥) هـ ، ط : بجلى .

(٦) هـ : اسمه .

(**) الهيولى : كلمة يونانية واصطلاح فلسفي استخدمه أرسطو في معرض حديثه عن خلق العالم وفلسفته الطبيعية ، حيث قَسَمَ الموجودات إلى صورة ومادة، والمادة هي الهيولى .. ويقرر أرسطو ، أن الصورة لا توجد أبداً بلا هيولى - إلا في حالة وحيدة، هي الله أو المحرك الأول - كذلك ، فإنه لا توجد في العالم الطبيعي هيولى (مادة) بلا صورة .

إلى أن يتسلسل ، أو يدور ، أو ينتهى^(١) لحلٍ حكمٍ لا يقال إنه^(٢) خلُق ، لئلا
لغيره؛ كما أن غيره لا يكون ظرفاً له . فالهباء ، هو الحقُّ المخلوق .. وتقيّد^(٣)
الحقُّ هنا بالخلقية في هذه المرتبة ، من أجل ذلك الانقسام .

[الإنسان نسخة الحق]

وهذا المعنى المسمّى^(٤) بالهباء ، هو الهيولى المعبرٌ عند المحققين^(٥) عنها
بالعقل الأول والروح الحمديّة والقلم الأعلى . فكانت الحقيقة الحمديّة ، أولُ
مخلوقٍ . وكانت^(٦) على النسخة الإلهية، صورةً ومعنىً .. أما من حيث
الصورة^(٧) ، فكما أن الوجود المخلوق صورةُ الحق ، والحقُّ روحه ؛ ذلك
الإنسان ، قد خلق الله فيه نسخة كل شيءٍ من صور الموجودات وحقائقها -
جملةً وتفصيلاً- فهو على صورة الخلق^(٨) ، لأن العالم صورته^(٩) . وأما كونه
على النسخة المعنوية للحق - أيضاً- فلأنك^(٩) تجدك قابلاً^(١٠) لكل اسم وصفةٍ

(١) أ : ينتهى .

(٢) ط : له .

(٣) هـ : قعيد .

(٤) - أ ، هـ .

(٥) هـ : المحققون .

(٦) + ط .

(٧) + ط .

(٨) هـ ، ط : الحق .

(٩) يشير الجليلي هنا إلى مقابلة الإنسان (العالم الصغير) للعالم (الإنسان الكبير) ثم يضيف مقابلة
أخرى بين الإنسان والله ! مع ملاحظة أن الأحدية الإلهية صفة ذاتية لله ، لا يجوز نسبتها
للإنسان .

(٩) هـ : فلا تكن ، ط : فلا تك .

(١٠) هـ : قاتلاً .

على التمام والكمال، فقل في الأسماء الذاتية أولاً إنك أحَدٌ ذَا^(١) أَحَدِيَّةٍ غير^(٢) مجهولة في كل شيءٍ ، لأنها عبارة عن صرافة ذات الشيء^(٣) ، بالنظر إليه من حيث هو ذاتي^(٤) .. فمتى عرفت إنك هو، كانت هذه الأحدية - التي ذكرتها لك - نفى^(٥) أحدية الواجب بذاته ؛ وقسْ على ذلك . فليس شيءٌ من^(٦) تجليات الأسماء والصفات، أعلى من تجلى الأحدية؛ ولعزتها ، منع^(٧) أهل الله أن يكون لغير الله قَدَمٌ في تجلى الأحدية .

وسِرُّ المنع، أن الأحدية - من حيث هي أحديةٌ - تقتضى عدم التعدد فيها من كل وجهٍ وبكل اعتبارٍ ، فكيف لخلق^(٨) فيها قَدَمٌ مع حَقٍّ ؟ وذلك مُشعرٌ بالتغاير والإثنية، وهذا محالٌ غير ممكنٍ في تجلى الأحدية . فإذا قد صَحَّتْ لك نسخةٌ منها ، فبالأولى أن يصحَّ لك جميع ما تحتها من الكمالات المعبر عنها بالأسماء والصفات. فأنت الحيُّ ، وأنت العليمُ ، وأنت القدير^(٩) وأنت المريدُ، وأنت السميعُ ، وأنت البصيرُ ، وأنت المتكلمُ . وهذه السبعة^(١٠) ، هي أمهات الكمال وأئمة الأسماء والصفات ؛ قد سُميت^(١١) بها ظاهراً، وسوف أكشف

(١) أ : إذ .

(٢) أ : العين .

(٣) - هـ .

(٤) ط : ذاته ، والعبارة التالية ساقطة من هـ .

(٥) - هـ ، ط : هي .

(٦) أ : في .

(٧) - هـ .

(٨) ط : أن يكون لخلق .

(٩) ط : القادر .

(*) يقصد ؛ الصفات السبع الإلهية : الحياة ، العلم ، القدرة ، الإرادة ، السمع ، البصر ، الكلام .

(١٠) هـ : سميت بهما ، ط : تسميت بها .

لك عن مواقع نجومها باطناً :

● أما الحى ؛ فأنت متصفٌ به لأن الحق سبحانه وتعالى ، كما أنه عين الوجود السارى فى أعيان الممكنات ، كذلك أنت سارٍ^(١) فى أعيان الموجودات بهمتك؛ ألا تراك^(٢) إذا افكرت^(٣) فى السماء ، كيف تسرى روحك فيها ؟ وفى الأرض، وفى جميع ما تفكر فيه، أنت كذلك سارٍ^(٤) فيه^(٥) بروحك؛ فحياتك هى القائمة بحياة^(٦) كل ما سرت فيه.

● وأما العلم ؛ فأنت متصفٌ به من حيث عقلك ، لأنه عين علم الله به ومعلوماته، فهو المحيط بالحق والخلق^(٧) ؛ ألا ترى إلى عقلك ، كيف عرفت به الحق والخلق ؟ فلولا أنه الصفة العلمية الإلهية^(٨) ، لما اتسع لمعرفة^(٩) الحق تعالى^(١٠) . وسبب ذلك ، أنك لا بد أن تطلق اسم الحق فى علمك على شيء، تضيف إليه ما هو للحق من صفات الكمال، وذلك الشيء الذى أطلقْتَ هذا الاسم عليه، هو فى عقلك معلومٌ لك^(١١) ، وهو عين الحق تعالى ، الذى

(١) هـ : سارى .

(٢) أ : ألا ترى.

(٣) ط : افكرت.

(٤) - سارى.

(٥) - هـ.

(٦) أ : بحيات ، هـ : لحياة ، - ط .

(٧) - هـ.

(٨) أ : الإلهية العلمية.

(٩) هـ : بمعرفة.

(١٠) - هـ.

(١١) هـ : بل .

أَضَفْتُ إِلَيْهِ مَا أَضَفْتُ مِنْ صِفَاتِ الْجَمَالِ وَالْجَلَالِ^(١) وَالْكَمَالِ؛ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُكَ، عَيْنُ الصِّفَةِ^(٢) الْعِلْمِيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ، لَمَا ظَهَرَ هُوَ فِيهَا؛ لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ^(٣) لَيْسَ لَهُ مَحَلٌّ إِلَّا الْعِلْمُ .. وَقَدْ عُرِفَتْ بِذَلِكَ أَسْرَارٌ كَثِيرَةٌ^(٤) .

● إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ، فَقَسِّ بِالْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ، وَتَأَمَّلْ.. هَلْ تَجِدُ حَقِيقَةَ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ لَكَ فِي حَالِ تَصَوُّرِكَ^(٥) لِلْأَشْيَاءِ فِي خَيَالِكَ وَتَخَيُّلِكَ^(٦)، فَتَكُونُ كَمَا تَرِيدُ أَمْ لَا؟ وَمَتَى عَرَفْتَ ذَلِكَ، لَمْ تَفْتِكْ^(٧) مَعْرِفَةَ السَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ وَالتَّكَلُّمِ مِنْكَ، وَتَتَحَقَّقَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ .

فَيَجِبُ^(٨) عَلَيْكَ، أَنْ تَسْعَى فِي زَوَالِ الْمَوَانِعِ لَكَ عَنْ تَحْقِيقِ مَا تَجِدُهُ مِنْ كَمَالِكَ، لِيُظْهَرَ جِسْمُكَ^(٩) بِمَا هُوَ لِرُوحِكَ . فَيُذِنُ : تَصَوُّرٌ^(١٠)، فِي الْعَالَمِ وَتَكُونُهُ^(١١)، مَا كُنْتَ^(١٢) تَصَوُّرُهُ فِي الْعَالَمِ الْخَيَالِيِّ؛ تَسْتَبْرِزُهُ^(١٣) مَشْهُودًا لِلْحَسِّ، كَمَا كَانَ مَشْهُودًا لِلْخَيَالِ.. وَبِذَلِكَ تَعْرِفُ أَنَّكَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِمَسْمَى

(١) هـ : الْجَلَالُ وَالْجَمَالُ .

(٢) - هـ .

(٣) ط : وَتَعَالَى .

(٤) + ط .

(٥) هـ : تَصَوِيرِكَ .

(٦) - هـ .

(٧) أ : يَفْتِكُ .

(٨) أ : يَجِبُ .

(٩) هـ : لَجِسْمِكَ .

(١٠) هـ : تَصَوُّرَتِهِ .

(١١) ط : تَكُونُ .

(١٢) هـ : كَمَا كُنْتَ .

(١٣) أ، هـ : وَتَبْرِزُهُ .

الأسماء الحسنى والصفات العلى! .. جرى بنا جَوَاذُ البَيِّنَانِ^(١) فى هذا البَيِّنَانِ^(٢) ،
حتى أظهر ما لم يخطر إظهاره فى البَيِّنَانِ، من كل علم لا^(٣) يسعه الكيان؛
فلتقبض^(٤) العتال ، ولترجع إلى ما كنا يصلده من شرح هذه الكلمات الحِسَانِ.

[الإنسان نسخة الخلق]

قال الشيخ رضى الله عنه : أشرفت^(٥) أرض^(٦) الأجسام بالنفوس ، كما
أشرفت الأرض بأتوار النفوس . لما أظهر الشيخ رضى الله عنه - فيما سبق -
أن الإنسان نسخة للحق، أراد أن يظهر كونه نسخة للخلق؛ فشبه روحه
بالشمس التى هى روح العالم اللئالى ، وشبه الإشراق بالإشراق ، لأن النفس
الجزئية^(٧) متصرفة فى الميكل الإنسانى^(٨) ، ومديرة^(٩) له ؛ كما تصرف الشمس
فى العالم اللئالى ، وتديره^(١٠) على مَر^(١١) الدهور . وكُلُّ من النفوس

(١) ط : البَيِّنَانِ.

(٢) ط : البَيِّنَانِ.

(٣) هـ : الذى لا .

(٤) هـ : فتقبض .

(٥) لم يتوقف الجليل بالشرح ، عند هذين البيتين الواردين فى هذا الموضع من التترحات يقول
البَيِّنَانِ (من البسيط) :

كَمَثَلِ مَا نَصَّ لِيْ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ
وَكَيْفَ تَقْرِئُهُ حَقًّا عَلَى قَدْرِ

الرُّوحِ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ الَّذِي تَأْتِي
وَإِنَّ رَأْيِيْ بِهَذَا الْقَارِ عَرَفْنِيْ

(٥) أ : الأرض .

(٦) أ : الجزئية ، هـ : الجزئية.

(٧) هـ : المياكل الإنسانية .

(٨) هـ : ومديره .

(٩) هـ : وتديره .

(١٠) أ : عمر ، ط : مد .

والشموس ، عينُ كُلٍّ على^(١) الحقيقة؛ إذ هذه الصورة كلها، راجعةٌ للوجه^(٢)
الواحد الظاهر في مرأى^(٣) مختلفة الأشكال والمقادير .

فلهذا ، قال الشيخ رضى الله عنه^(٤) : وإنما لم تفرد العين، لأنها^(٥) ما
أشرفت، إلا بما حصل فيها من نور الكون ، وإن كان الأصل ، ذلك الواحد؛
فليس ما صدر عنه بامرٍ زائدٍ ، فعُدَّتْه الأماكن، لما أنزل نفسه فيها منزلة
الساكن.

زبدة هذا الكلام ، وخلاصة هذه المسألة : إن الله^(٦) تعالى ، هو المتجلىُّ
بأعيان الموجودات على حسب ما تقضيه قابلية كل هيئةٍ لكل موجود ، كما أن
الصورة تظهر^(٧) في كل مرآةٍ بحسب تلك المرآة ؛ فاختلفت الصور^(٨) المرئية^(٩)
لاختلاف المرأى ، وحقيقة الصورة^(١٠) واحدةٌ كما أن الحق^(١١) تعالى واحدٌ
متعددٌ بحسب تعدُّد الموجودات ؛ وبالحقيقة ، لاتعددٌ ، لأن الشئ الواحد إذا
تعدَّد باعتبارات كثيرة راجعةٍ إليه، هو واحدٌ غير مُتعدِّدٍ فى نفسه. وهذه

(١) هـ : عين على .

(٢) ط : إلى الوجه.

(٣) أ : مرأى ، هـ : المرأى.

(٤) هـ : وأرضانا به.

(٥) أ : لانه .

(٦) ط : شاء .

(٧) أ : إنما تظهر .

(٨) ط : الصورة .

(٩) أ : الرؤية .

(١٠) - هـ .

(١١) أ : الله .

الاعتبارات هي الأسماء والصفات، التي هي أعيان الممكنات .. وإلى ذلك، أشار بقوله: فللحقيقة رقائق ، يُعبّر عنها بالخلقات .

أطلق هنا لفظ الحقيقة والمراد بها : الحقيقة^(١) الإلهية. لها رقائق أى معانى كمالية ، هي أعيان الأسماء والصفات المظهرة^(٢) لحقائقها فى ذوات الموجودات، على سائر النعوت والنسب^(٣) والإضافات والاعتبارات ؛ فهى هويةُ شئٍ واحدٍ، من كل الوجوه بالذات^(٤) .. وقد شرحنا فى هذه النبذة، جميع ما تضمنه الباب السادس من كتاب الفتوحات المكية ؛ فتأمل ذلك ، أرشدك الله للصواب، وعَلَّمَك الحكمة وفصل الخطاب .

* * *

(١) - أ .

(٢) هـ : المظهر .

(٣) أ : والصفات والنسب.

(*) يمكن تلخيص فكرة الجيلى هنا ، خلال هذا القياس المنطقى من الشكل الأول :

لما كان الله جامعاً لحقائق الحق والخلق.

ولما كان الإنسان هو صورة الله ونسخته .

إذن فالإنسان جامعٌ لحقائق الحق والخلق .

وقد شرح الجيلى فيما سبق ، مقابلة الإنسان مع حقائق الذات والأسماء والصفات الإلهية -عدا الأحدية- ويبدو أنه أحجم عن تفاصيل مقابلة الإنسان لحقائق العالم، توخياً للإيجاز .. وكان الجيلى قد عرض لهذه الفكرة الأخيرة بالتفصيل فى العديد من كتبه ، وفى قوله بالآيات ٤٨٥ :

٤٨٧ من قصيدة النادرَات (من الطويل) :

وَكُلُّ الْوَرَى طَرَا مَظَاهِرَ طَلَعَتِ	مَرَاءَ بِهَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِ لَامِغُ
ظَهَرَتْ بِأَوْصَافِ الْبَرَّةِ كُلِّهَا	أَجَلْ فِي ذَوَاتِ الْكُلِّ نُورِي سَاطِعُ
تَخَلَّقَتْ بِالتَّحْقِيقِ فِي كُلِّ صُورَةٍ	فَفِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ جَمَالِي لَوَامِغُ

البَابُ السَّابِعُ

الْجِسْمُ هُوَ الْمَظْهَرُ لِلرُّوحِ، الَّتِي
هِيَ النُّورُ الْمَظْهَرُ لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا.

[عالم الأجسام]

قال الشيخ رضى الله عنه: ومن ذلك . أى ، ومن بعض ما تضمَّنه^(١)
هذا الباب من أنواع العلوم : سِرُّ الكيف^(٢) والكم ، وما لهما من الحكم.

لما كان السؤال بكيف وكم، من لوازم العالم المحسوس ، الذى هو منصَّة
الأجسام ، ومظهر الكثافة والأجرام . عبَّر بهما^(٣) عن الجسم الكُلِّى ولوازمه ،
والنفس الكلية^(٤) وعوالمها^(٥) . فسِرُّ ظهور العالم الجسمانى ، هو لتحقيق الإنسان
بالشأن الرحمانى^(٥) ، حتى يظهر^(٦) بالفعل^(٧) فى صورة جزئية^(٨) مخصوصة
كاملة النشأة، ما هو ثابت بالقوة^(٩) فى حقيقة^(١٠) الوجود الكُلِّى الجامع^(١١) ؛
لتكون تلك الصورة للوجود الكُلِّى ، كالروح للهيكَل^(١٢) الحيوانى ، وكالمعنى
للفظ، وكالمملك للمملكة .. فلهذه الحكمة^(**) ؛ أولُ ما خلَقَ الله من عالم

(١) - هـ.

(٢) - هـ.

(*) يقصد ؛ بالكيف والكم.

(٣) - ط ، أ : الكل ، هـ : الكلى.

(٤) :- وعوالمه .

(٥) + ط .

(٦) - أ ، هـ.

(٧) هـ : بالعقل.

(٨) هـ : جزوية .

(٩) أ : القوة.

(١٠) هـ : الحقيقة.

(١١) هـ : العالم الجامع.

(١٢) هـ : الهيكل .

(**) يقصد الحكمة المذكورة فى الحديث القدسى : كنت كنزاً مخفياً ، فأجبت أن أعرف ..

الأجسام، العرشُ . وجعله محيطاً بالمحيطات^(١) كلها ، كما يحيط الجسم الإنسانى بجميع ما حواه هيكله المخصوص^(٢) .

واستوى سبحانه على العرش^(٣) ، استواءً مخصوصاً، هو عليه من غير تغيير^(٤) لشأنه الذى كان له قبل خلق العرش وما حواه. وذلك^(٥) الإستواء - فى ضرب المثل - كاستواء الروح على الجسم؛ فالجسمُ الجزئىُّ عرشٌ جزئىُّ للروح الجزئية^(٦) ، والجسمُ الكلىُّ عرشٌ^(٧) كلى للروح الكلية، المعبر عنها بالحقيقة

(١) هـ : محيط المحيطات .

(*) يقول الجليلي : اعلم أن الجسم فى الهيكل الإنسانى جامعٌ لجميع ما تضمنه وجود الإنسان من الروح والعقل والقلب وأمثال ذلك، فهو فى الإنسان نظير العرش فى العالم، فالعرش هيكل العالم وجسده الجامع لجميع متفرقاته (الإنسان الكامل ٥/٢) وهو يحدد المفهوم الصوفى للعرش ، بقوله : العرش على التحقيق هو مظهر العظمة ومكانة التجلى وخصوصية الذات، ويسمى جسم الحضرة ومكانها ، لكنه المكان المنزه عن الجهات الست، وهو المنظر الأعلى والمحل الأزهى، والشامل لجميع أنواع الموجودات.. ولا نعلم فى الوجود شيئاً فوق العرش إلا الرحمن (المرجع السابق ٤/٢)

وعلى ما يذهب إليه الجليلي ، فالعرش الذى استوى عليه الرحمن ، هو مطلق الوجود المحسوس والمعقول ، وهو يرادف الخلق بمعناه الواسع ، وعلى هذا الخلق تتحلّى الأنوار الإلهية فى كل وقت منذ الأزل وإلى الأبد ، وهذا التحلى الدائم هو معنى الاستواء.

(**) أثارت قضية الاستواء على العرش خلافات بين المذاهب الإسلامية، فمنهم من جعل الاستواء بالمعنى الحسى، ومنهم من جعله معنوياً.. ومنهم من منع الخوض فى هذه المسألة ، وقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

(٢) ط : تعيين.

(٣) أ : ذلك.

(٤) أ : الجزوية ، هـ : الجزية .

(٥) - هـ.

المحمدية من حيث نَعْنُها ، وبالحقيقة^(١) الإلهية من حيث عينها.

ولاشك أن الكلّي صادق على الجزئي^(١) . فاعرف بما^(٢) ذكرته لك^(٣) :
من أنت؟ وما محلّك ؟ .. تعلم حيثيذ^(٤) أن جسمك ، بل الجسم الكلّي : هو
البيت المعمور بالقوى^(٥) .

القوى ، عبارة عن الملائكة الموكلة بتدبير العالم الكبير ، كما أن القوى الحيوانية موكلة بتدبير جسمك ؛ الذى هو العالم الصغير بالنسبة إلى الجرم، لقوله تعالى : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (٥) .. الْآيَةِ﴾ (٦) وأما بالنسبة إلى القدرة؛ فإنك (٦) أنت العالم الأكبر ، والسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بما (٧) فيها ، هو العالم (٨) الأصغر ، لقوله تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى (٩) الْأَرْضِ

(١) العبارة ساقطة من ط .

(*) يقول المبدأ المنطقي بأن حكم الكل منطبق على أجزائه ، فإن كان الكلي صادقاً فالجزئي صادق.

(۲) هـ : بمن.

— 1 — (1)

$$\cdot \tau = 1 (4)$$

(**) ورد بهذا الموضع من الفتوحات ، البيتان التاليان (من البسيط) :

الْكَيْفُ وَالْكَمُّ مُجْهُولَانِ قَدْ عَلِمَا
فَهُمَا يُبَلِّغَانِ عِلْمًا بِأَنَّهُ لَسَهُ
وَقَدْ فَهَمْتُ لِمَاذَا جَاءَنِي بِهِمَا
فِيْنَا التَّحْكُمُ فَأَنْظِرْهُ بِهِمَا

(۵) هـ : أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

() سورة غافر ، آية ٥٧ .

(٦) هـ : انك .

(V) هـ : وما.

— (A)

(٩) بقية الآية ساقطة من هـ.

جميعاً^(*) منه ﴿﴾ فالسّموات بما أظلت ، والأرض بما أقلت ، مُسَخَّرَةٌ لك . لكونك أعزّ قدراً ، وأعظم فخراً ؛ ولهذا تقنى^(١) السّموات^(٢) والأرض يوم القيامة^(٣) ، وأنت باق إلى أبد الآبدين^(٤) . فجسمك الذى هو البيت المعمور ، بقواك التى هى ملائكة تسخيرك ؛ هو العرش الكريم .. إذ لا موجود أكرم على الله منك .

والجسم الكلى^(٥) هو العرش المحيط ، لأنه جامعٌ للموجودات الجسمانية ، وليس وراءه إلا عالم الجبروت . وسيأتى الكلام على العرش العظيم^(٦) والعرش المجيد ، فى موضعه^(٧) من هذا الكتاب إن شاء الله .

[بدء الخلق وآخره]

إعلم أن الشيخ رضى الله عنه ، أراد أن يبين لك فى هذه النبذة ، سرّ خلق العالم . فبدأ بذكر العرش ، لأنه أول مُتَعَيِّنٍ فى الصورة ، وإليه الإشارة^(٨) بقوله : والذى كان عليه الاستواء .

إشارة إلى قوله تعالى ﴿والرحمن على العرش استوى﴾^(٩) وقد^(٩) كان

(*) سورة الجاثية ، آية ١٣ .

(١) أ : تقف .

(٢) - هـ .

(٣) + هـ .

(٤) + ط .

(٥) أ : الكل .

(٦) أ : المجيد العظيم .

(٧) هـ : موضعين .

(٨) + ط .

(*) سورة طه ، آية ٥ .

(٩) أ : استواء وقد .

الشيخ رضى الله عنه فيما مضى - وبيناه لك^(١) - أن^(٢) الروح المعبر عنها بالحقيقة المحمدية، وبالعقل الأول، وبالقلم الأعلى ؛ هي^(٣) أول مخلوق . وهي - أعنى^(٤) هذه الروح - كلية وأرواحنا جزئياتها.

فلهذا المعنى ، أشرقت تلك المعانى الكمالية الموجودة فى الحقيقة المحمدية، فى ذواتنا. وإلى هذا المعنى، أشار بقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٥) وقوله^(٦) تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾^(٧) وإلى^(٨) هذا الإشراق^(٩) فى الأجسام أشار الشيخ رضى الله عنه بقوله : **محل الظهور المشوق بالنور** . يعنى : إن العالم الجسمانى محل كمال الظهور^(٨) الإلهى ؛ لأن الجسم الإنسانى^(٩) ، آخر ظاهري من مراتب الوجود. ولهذا؛ كان الإنسان البشرى، نوع الأنواع على الإطلاق؛ وكان الإنسان الحقيقى ، جنس الأجناس. لأنه أول كل موجود، فحاز رتبة الإحاطة ؛ فهو : الأول والآخِر .

(١) - هـ .

(٢) أ : فى .

(٣) هـ : هو .

(٤) العبارة التالية ساقطة من هـ .

(*) سورة الأحزاب ، آية ٢١ .

(٥) الفقرة التالية ساقطة من ط .

(**) سورة الممتحنة ، آية ٤ .

(٦) أ : ولها .

(٧) هـ : اشراق .

(٨) هـ : ظهور كمال .

(٩) ط : الجسمانى .

[إشراقات الإنسان]

وكان الإنسان مُشرقاً بأنوار الكمالات، معنىً وصورةً. فإشراقه المعنوي^(١)، هو^(٢) حقائق قواه المعبر عنها بالعقل، والخيال، والهمة، والمصورة، والإرادة.. وأمثال ذلك. فهذه القوى منه، هي عين الملائكة المدبرة للعالم الكبير؛ فالعقل من^(٣) مظاهر جبريل، والخيال من مظاهر إسرافيل، والمصورة^(٤) من مظاهر عزرائيل، والإرادة من مظاهر ميكائيل. وقس على ذلك، باقى قواه المعنوية.

وأما إشراقه الصوري^(٥)؛ فالعيان لعالم^(٦) جسمه، كالشمس والقمر للعالم الكبير. واللمس^(٧) والشم والذوق والأذنان، كالخمس الكواكب الأخرى من العالم الكبير.. فأشرق كلاً^(٨) العالمين الجسمانيين بالنور.

وعلى الحقيقة؛ العالم الجسماني هو واحد، لأنه عبارة عن العرش وما حواه، فهو محل الظهور الإلهي، وهو المشرق بالنور أراد بالنور، عبارة عن حقائق الكمال الظاهرة فيه، من تجليات الحق تعالى. وعن الجسم عبّر بقوله: كلمة الحق^(٩). يعنى: إنه نتيجة كلمة كُنْ، لأن الأرواح متعينة فى العلم

(١) أ، ط: المعنوية.

(٢) .: هي.

(٣) هـ: هو من.

(٤) هـ: والصورة.

(٥) أ، ط: الصورية.

(٦) أ: للعالم.

(٧) العبارة التالية ساقطة من أ.

(٨) أ: كل.

(٩) - ط.

الإلهى، فهى هناك أعيانٌ ثابتةٌ ، قديمةٌ بقدم الحق^(١) .

والجسم ، هذا المحسوس ، إنما ظهر بواسطة الكلمة، على ما كانت الروح عليها من الصورة فى العلم^(٢) الإلهى . فكان الجسم أصلاً - من هذا الوجه - لظهور أعيان الممكنات، إذ هو المتعلق به كلمة الحضرة ، لكوته أتمّ المجالى ظهوراً فى المراتب الكونية.

ومن ثمّ ، كان الجسم : مقعد الصدق . لأنه^(٣) محلّ ثابت^(٤) متمكّن^(٥) بين من كل وجه ، وبكل اعتبارٍ ونسبةٍ . ومعدن الأرفاق . وكان الجسم معدن^(٦) الأرفاق، وهى المعانى الكمالية التى تحصل للأرواح بسبب^(٧) الجسم . وقد ذكرنا ذلك^(٨) فى كتابنا الموسوم بكشف الستور عن^(٩) مُخَلِّدَاتِ النور^(١٠) فمن أراد معرفة ذلك، فليطالع هنالك^(١١) .

(*) كان ابن عربى أول من استخدم تعبير الأعيان الثابتة ليشير به إلى وجود الأشياء فى العلم الإلهى قبل بروزها إلى عالم الوجود الفعلى بالأمر الإلهى كن وفى الآية الكريمة ﴿يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ولفظ له يشير إلى وجود ما ، للشيء، قبل بروزه !

(١) هـ : علم.

(٢) أ ، هـ : لكونه.

(٣) أ : محلاً ثابتاً ، ط : محلاً ثابت.

(٤) أ : ممكن .

(٥) هـ + ط .

(٦) هـ : بنسبت.

(٧) هـ + هـ.

(٨) هـ : من .

(**) مُخَلِّدَاتِ : من الخلد وهو الخيمة التى تحتجب فيها الجميلات، ويريد بمخلدات النور : التحليات الإلهية.. والكتاب المشار إليه هنا غير معروف لنا فى الوقت الحاضر، لا مطبوعاً ولا مخطوطاً ، فهو فى حكم المفقود من كتب الجيلى.. أما الفكرة التى يشير إليها ، فهى بإيجاز: إن الجسم بما يقوم به من طاعات ورياضات ، يعمل على تحلية الروح بالمعانى الكمالية.

(٩) هـ + ط .

ولما كان الجسم هو المتجلى بجارحة^(١) السمع والبصر ، قال الشيخ^(٢) مشيراً إلى ذلك^(٣) : **ومظهر الأوفاق^(٤)** . يعنى : الجسم مُظهِرٌ للصفات^(٥) ، الموافقة لنعوت الحق تعالى، من السمع والبصر؛ إلى غير ذلك من القبضة^(٦) ، واليمين ، والتبشيش^(٧) ، والتعجب ، والنسيان فى قوله تعالى ﴿فاليوم ننساهم^(٨)﴾ والنفس فى قوله ﷺ : لاتسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن^(٩) . والصورة فى قوله عليه الصلاة والسلام : **رأيت ربي فى صورة شاب .. الحديث^(١٠)** والذراع^(١١) كما فى قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث : إن

(١) هـ : جارحة.

(٢) هـ : رضى الله عنه.

(٣) ط : بقوله.

(٤) أ : الأفاق.

(٥) ط : أن الجسم مظهرًا لصفات.

(٦) هـ : القبضة .

(٧) أ : التبشيش ، هـ : التبشيش.

(٨) فى أ ، ط : فاليوم ننساكم .. فإذا كان ما أوردناه فى المتن، فهى سورة الأعراف ، آية ٥١ . أما ما ورد فى أ ، ط فهو خطأ فى كتابة قوله تعالى ﴿وقيل اليوم ننساكم.. سورة الجاثية، آية ٣٤﴾.

(**) أخرجه الترمذى (السنن ، كتاب الفتن، الباب ٦٥ - كتاب البر ، الباب ٤٨) وأبو داود (السنن ، كتاب الأدب، الباب ٤٥) وابن ماجه (السنن ، كتاب الأدب الباب ٢٩) وابن حنبل (المستد ، الجزء الثانى ، ص ٢٥٠ - ٢٦٨ - ٤٠٩ - ٤٣٧ - ٥١٨ ، الجزء الخامس ص ١٢٣) . (***) يأتى هذا الحديث كثيراً فى مؤلفات الجيلى بلفظ : رأيت ربي فى صورة شاب أمرد .. وفى كتاب الأسماء والصفات لليهقى ، جاء الحديث بلفظ : رأيت ربي جعداً أمرد عليه حلة خضراء . وقد توقف عنده ابن كثير فى تفسيره (٤ / ٢٥٠) وقال عنه شمس الدين الذهبي: هو خير منكر ، نسأل الله السلامة فى الدين، فلا هو على شرط البخارى ولا مسلم، ورواته وإن كانوا غير مُتهمين ، فما هم بمعصومين من الخطأ والنسيان، فأول الخبر قال رأيت ربي وما قيد الرؤية بالنوم، وبعض من يقول إن النبى ﷺ رأى ربه ليلة المعراج ، يحتجُ بظاهر الحديث . -

جلد الكافر أربعين^(١) ذراعاً^(٢) بذراع الجبار^(٣) .

فكُلُّ هذه الصفات ، هي^(٣) للجسم حقيقة . وقد وافقت ما هو الله ، سواءً أولتها^(٤) فى حق الله تعالى^(*) ، أم لم تُؤول^(٤) . لأن الشارع صلى^(٥) الله عليه وسلم ، قد نسبها إليه تعالى^(٦) ؛ فكان الجسم محلاً لظهور الأمور الموافقة للنعوت الكمالية .

فالجسم : محل البركات لتزايد الظهور^(٧) . فى مرتبته ، ولكونه^(٨) يحصل للروح - بواسطة الامتزاج به - علوماً ، لا يمكنها أن تعرفها إلا بالجسم . فهو محل البركة للروح ، ومحل زيادة الظهور للحق . ومعين^(٩) الحركات والسكنات . لما

- والذى دلَّ عليه الدليل ، عدم الرؤية مع إمكانها ، فنقف عن هذه المسألة ، فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه (سير أعلام النبلاء ١٠/١٤) .

(٨) العبارة ساقطة من هـ .

(١) أ ، ط : أربعون .

(٢) + ط .

(*) لم تقع على تخريج لهذا الحديث .

(٣) - هـ .

(٤) أ ، ط : تؤولها ، بقية العبارة ساقطة من ط .

(**) التأويل المشار إليه ، كما فى اعتبار قوله ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ على أن اليد تعنى القدرة .

(٤) ط : تؤول .

(٥) - هـ .

(٦) - هـ .

(٧) - هـ .

(٨) أ ، ط : والكون .

(٩) ط : ومعنى .

فيه من قوة الكثافة، وتكاثف القوة التى بواسطتها تحصل^(١) للأرواح^(٢) الحركات والسكنات^(٣) الجزئية المضافة إلى الأجسام. وبه. أى بوجود الجسم^(٤). عُرِفَت المقادير والأوزان. لأن الجسم محل ذلك، وموضعه، ومجلاه، ومظهره. وبه سُمي الثقلان. لثقل الجسد ورسوبه، له - أى للجسد^(٥) - من الأسماء المتين^(٦) بالتاء المثناة من فوق، لما فيه من القوة والمتانة.

وهو الذى أبان النور المبين. أى : الجسم هو المظهر للروح، التى هى النور المظهر للأشياء كلها. فلولا الجسم، لما حصل للروح^(٧) ما حصل من الكمال، ولا استطاعت أن تظهر بشئ^(٨) من ذلك فى العالم. حَكَمَ. أى الجسم. فى النور بالقسمة^(٩). النور هو الوجود^(١٠)، لأنه إنما وقع الظهور به؛ فلولا الوجود، لما ظهر الوجود^(١١)، ولا عُرِف العبد ولا^(١٢) المعبود. وما ظهرت القسمة فى الوجود، إلا بسبب الأجسام، لكون الأبعاد الثلاثة^(١٣)

(١) ط : تحصل.

(٢) هـ : للروح.

(٣) + ، ط : السكنات والحركات.

(٤) أ : بالجسم.

(٥) هـ : الجسم.

(٦) ط : التين.

(٧) هـ : الروح.

(٨) أ : شئ.

(٩) + هـ.

(١٠) ط : الموجود.

(١١) ط : هذا الموجود.

(١٢) - هـ.

(١٣) + ط.

لازمة لها، لكونها^(١) مركبة كثيفة؛ ولأجل ذلك : ظهرت بوجوده^(٢) **الظلال^(٣) والظلمة**. لأن الكثافة الجسمانية^(٤) لا تخرقها الأنوار طبعاً؛ ولأجل^(٥) ذلك، ظهر بوجود الجسم ، الظل. وكذلك الظلمة، إنما ظهرت بواسطته ، لأن الليل هو عبارة عن استتار^(٦) الشمس بالأرض عن أهل الأرض^(٧)؛ وكذلك الخسوف ، عبارة عن حيولة^(٨) الأرض بين الشمس وبين جرم القمر . فلولا توسط الأرض ، لما ظهرت هذه الظلمة الموحدة^(٩) .

فالظلمة^(١٠) من طبع الأجسام . وكذلك^(١١) ، مَنْ غلب عليه العمل بمقتضى الأمور^(١٢) الجسمانية ، يكون فى ظلمة من ذلك البرزخ، حتى يؤول^(١٣) أمره إلى النار. فالجسم أصل فى كمال^(١٤) النور ، وأصل فى الظلمة^(١٥) .

(١) أ : ولكونها .

(٢) هـ : بوجود .

(٣) ط : الضلالات .

(٤) + ط .

(٥) هـ : فلاجل .

(٦) أ : انتشار ، هـ : استتار .

(٧) + ط .

(٨) أ : حيولة .

(٩) هـ : المشهودة .

(١٠) أ : والظلمة .

(١١) هـ : وللفلك .

(١٢) + ط .

(١٣) ط : يؤل .

(١٤) هـ : الكمال .

(١٥) ط : المقابلة .

[الحواس الخمس]

ومنه^(١) ، أى من الجسم . تتفجّر ينابيع الحكيم^(٢) . لوجود الحواس الخمس^(٣) فيه؛ فلكل حاسة^(٤) من الحواس ، حكمة مخصوصة^(٥) ليست لغيرها؛ فلا تنال الروح هذه الحكيم، إلا بواسطة الجسم^(٦) . فالعين ينبوع الحكيم التى لا تحصل إلا بالمعينة، كالألوان، والحسن المشهود، والطراوة^(٧) ، والهيئات ، والأوضاع . فكل من^(٨) خُلِقَ أعمى ، لا عين له، ليس يعرف شيئاً من هذه الحكيم المستفادة^(٩) بواسطة^(١٠) البصر ، لا فى الدنيا ، ولا فى البرزخ، ولا فى الآخرة. بل فاتته هذه الحكيم على الإطلاق ، فلا يشعر بها ، ولا سبيل له إلى معرفتها.

والأذن ينبوع الحكيم التى لا تحصل إلا بالاستماع^(١١) ، كعلوم^(١٢) القرون^(١٣) الماضية ، وعلوم الأخبار، والأحاديث المروية عن الرسل، وعن

(١) العبارة ساقطة من هـ .

(٢) أ : الأرض، والكلمة غير واضحة فى هـ.

(٣) أ : الخمسة .

(٤) أ : حاسية.

(٥) أ : مخصوص .

(٦) ط : الحكيم .

(٧) ط : الطرفة.

(٨) هـ : ما .

(٩) بقية الفقرة ساقطة من ط.

(١٠) أ + .

(١١) ط : بالاستماع.

(١٢) + ط.

(١٣) هـ : القرآن .

الله^(١) بواسطتهم. بل ولا يعرف الرسالة ولا^(٢) الرُّسُل، كُلُّ من خُلِقَ أَصَمٌّ .

ولهذا ، يكون كُلُّ أَصَمٍّ ، خُلِقَ^(٣) أَتَبَكَمَ . لأنه لا يسمع من أحدٍ ، شيئاً من الكلام. فلا يشعر بأوضاع الكلمات، ولا يعرف لذة الأنغام ، ولا يحسُّ بخشونة الأصوات الكريهة .. وقِسْ على ذلك، الشَّمُّ ، والنُّوقُ ، واللمس ؛ فى معرفة الروائح ، والأطعمة ، والنعومة والخشونة.

فكُلُّ حاسةٍ من الحواس الخمس ، ينبوع حكيم كثيرة مخصصة بها^(٤) ، لا تصحُّ للروح معرفتها ، إلا بواسطة تلك الحاسة .. ولهذا ، احتاجت الروح فى نيل الكمالات، إلى الإمتزاج بالجسم ؛ فالجسم محل^(٥) ظهور هذه الكمالات.

وتبرز ، يعنى : من الجسم . جوامع الكلم ، بواسطة اللسان. يحوى^(٦) على رموز النصائح وكنوز المصالح .. أراد برموز النصائح : الاعتبار الحاصل^(٧) للروح، بواسطة حواس الجسم. وأراد بكنوز المصالح : الأعمال الصالحة من الأفعال، والأقوال ، والعلوم ، والمعارف الإلهية ؛ الحاصلة للروح بواسطة الجسم .. لأنها تزداد شرفاً عند الله بذلك ، فهى كنوز المصالح لها^(٨) .

(١) هـ : تعالى .

(٢) - هـ

(٣) أ ، ط : خلقه.

(٤) ط : بما.

(٥) - هـ.

(٦) أ : تجرى ، هـ : تحوى.

(٧) أ : أصل الحاصل.

(٨) ط : بها.

[باطن الجسم وظاهره]

الشَّهَادَةُ مَخَافَتُهُ^(١) ، وَالْغَيْبُ كَثَافَتُهُ^(٢) . أراد بالشهادة هنا ، عالم الملك؛ وبالغيب، عالم الملكوت . والمراد : إن ظهور عالم الشهادة، بواسطة^(٣) رقة سطح الأجسام، لأنها^(٤) هي المشهوددة من عالم الملك؛ وبطون عالم الغيب، بواسطة الكثافة^(٥) الجسمانية ، لأنها هي المانعة عن ذلك. ألا تراك^(٦) إذا رأيتَ جسماً من الأجسام ، فإن رقة مسطحه -وهو ظاهره الذي عبر عنه الشيخ^(٧) بسخافته^(٨) - مشهورٌ ، ذو الغيب والشهادة.

تَسْتَوِ^(٩) ، أى الجسم بالجسم. لِلْغَيُورِ الإلهية على ذاته تعالى ، إذ هو عين الجسم | سَبَبُ هذه الغيرة : حتى لا يرى راءَ غَيْرَةٍ . فلا يُبصر مُبَصِّرٌ غير ظاهر الجسم ، صيانةً من الحق تعالى - إذ هو عين الجسم^(١٠) - لباطن الجسم؛ إذ هو

(١) أ ، هـ ط : مخافيه .

(٢) أ : كنا فيه / هـ ، ط : كثافيه.

(٣) أ : بواسطته .

(٤) توجد هنا ورقة ساقطة من هـ .

(٥) .: الكثافية.

(٦) ط : الإدراك.

(٧) ط : رضى الله عنه.

(٨) أ : بسخاء منه.

(٩) ف : يستر .

(*) الجملة الاعتراضية ساقطة من ط ، ويبدو أن الناسخ تعمد إسقاطها. وذلك لأن الجبلى يعبر هنا بكل قوة عن فكرة الوحدة، فيضع من العبارات ما لا يحتمل التأويل ، وإنما يلزم القول بأن الجبلى يطابق تماماً بين الحق والخلق . واعتقد أن الورقة الساقطة من هـ ، أسقطها الناسخ عملاً لهذا السبب |

من أشرف مظاهر الوجود، لأنه المفصل لجماليات^(١) مراتب الوجود ، حيث أنه: **يَتَقَلَّبُ** . أى الجسم . فى جميع الأحوال ، كاللطافة والكثافة ، والصغر والكبر ، والطول والعرض ، والعمق^(٢) والسمك ، والبعد والقرب ، والتوسط ، والحسن والقبح ، والفناء والبقاء ؛ إلى غير ذلك من الأحوال^(٣) اللازمة للجسم ، والعارضة له . فلولا شرفه ، لما كانت له الأحوال كلها . فهو^(٤) يدخل فى كل طورٍ من أطوار النقص والكمال ويقبل بذاته التصرف فى جميع الأعمال .

يعنى: إن للجسم - من حيث هو - قابلية لكل عملٍ من الأعمال المتنوعة؛ مما يستحيل عادة^(٥) ، كقتل العصفور بازاً^(٦) ؛ أو استحيل عقلاً ، كحمل النملة جملاً^(٧) . فإن فى قابليتها، القبول لذلك . فلو حصل الاستعداد ، ووافق القدر ، أمكنها فعل ذلك المستحيل .. وإنما حصل هذا السرُّ - الذى أودعه فى الجسم - من قدرته^(٨) .

[أقسام الأجسام]

تنبيه .. اعلم أن الأجسام على أربعة أقسام :

(*) هكذا فى الأصول ، وهو يقصد : بمحالات .

(١) - ط .

(٢) بقية العبارة ساقطة من أ.

(٣) أ : هو .

(٤) .: ذلك عادة .

(*) الباز : طائرٌ يصيد الصقور ، يعد من أشد المخلوقات تكبراً وأحرها مزاجاً . ولفظة باز مشتقة

من البزوان وهو الوثب (الدميرى : حياة الحيوان ٩٩/١).

(٥) ط : جبلاً .

(٦) ط : وقلرته .

القسم الأول ؛ هو المعدن . وهو عبارة عن كل جمادٍ لا غموله^(١) ، سواء كان مائعاً أو منعقداً^(*) .

القسم الثانى ؛ هو النبات . وهو كل نامى^(٢) من الأجسام ، لاروح فيه طبعاً .

القسم الثالث؛ هو^(٣) الحيوان . وكل نامى ذى روح من الأجسام .

القسم الرابع؛ هو^(٤) السموات ، والأجرام النورانية ، والأفلاج العلوية؛ فإن كلاً من ذلك، أرواحٌ قائمةٌ متجسدةٌ . وإنما صَحَّ إطلاق لفظ الجسم عليها، لكونها تقبل الأبعاد الثلاثة التى هى من طبع الجسم - وهى^(٥) الطول والعرض والعمق - فكانت أجساماً^(٦) ، لأنها من تمام عالم الملك . وعالم^(٧) الملك، عبارة عن مرتبة الطور الجسمانى .

وقد ذكر الشيخ - رضى الله عنه - فى الباب الذى ذكره فى هذه النبذة، خلاصة ما فيه . وهو الباب السابع من الفتوحات^(٨) .

(١) أ : لا نوله .

(*) يقصد : سواء كان سائلاً أو جامداً .

(٢) بقية العبارة ساقطة من أ .

(٣) .: وهو .

(٤) - ط .

(٥) ط : الحكم وهو .

(٦) ط : الأجسام .

(٧) - ط .

(٨) ط : المكية .

[عُمر الأرض]

إن عمر الأرض ، أحد وسبعون ألف سنة من سنى الدنيا ؛ فلا تظن أن ذلك على الإطلاق ، بل عمر العالم الدنياوى من وقت مخصوصٍ وإلا ، فعمر هذا^(١) العالم أطول من أن يحصر ، أو يحصى بآلاف الألوف من السنين^(٢) . وقد ذكر الشيخ ما يدلُّ على ذلك مصرحاً فى الفتوحات المكية، حين ذكر أن فى الأهرام الموجودة بأرض مصر، كتابة بقلم غريب، يقرؤها مَنْ يعرفها^(*) . ومفهوم تلك الكتابة ، أن باني تلك الأهرام ، بناها والنسر الطائر^(**) فى

(١) - ط .

(*) يذهب علماء نشأة الكون Cosmogony ونشأة الأرض geogeny إلى استخدام مصطلح الدهر eon للإشارة إلى أصول مرحلة من مراحل الزمن الجيولوجى ، يصل مدى المرحلة الواحدة إلى ملايين السنين.. وأحدث التصنيف تقسم الزمن الجيولوجى إلى ثلاثة دهور هى :
دهر اللاحياة Azoic ويزيد مداه على ١٧٠٠ مليون سنة .
دهر الحياة الخفية Cryptozoic Eon وهو ثانى الدهور فى الزمن الجيولوجى ويبلغ مداه ٢٦٠٠ مليون سنة .

دهر الحياة الظاهرة Phanerozoic Eon ثالث وآخر دهور الزمن الجيولوجى ويبلغ مداه نحو ٥٧٠ مليون سنة.

وتنقسم هذه الدهور إلى الحقب Erd الخمسة التالية بحسب اختلاف صور الحياة فيها : حقب الحياة العتيقة Archaeozoic ومداه ١٠٠٠ مليون سنة - حقب طلائع الحياة Proterzoic ومداه ١٦٠٠ مليون سنة - حقب الحياة القديمة Palaeozoic ومداه ٣٠٠ مليون سنة - حقب الحياة الوسطى Mesozoic ومداه حوالى ١٣٠ مليون سنة - حقب الحياة الحديثة Kesozoic ومداه نحو ٦٥ مليون سنة .. (راجع : المعجم الجيولوجى ص ١٤٩ وما بعدها).

(**) الإشارة إلى الكتابات الميروغلييفية التى كانت تغطى الأهرامات.

(***) مجموعة من الكواكب تُعرف بكوكبة النسر الطائر وكوكبة العقاب . يقول عبد الرحمن بن عمر الصوفى، أحد كبار علماء الفلك فى تاريخ الإسلام : كواكبه تسعة، منها ثلاثة مشهورة هى التى تسمى النسر الطائر (صور الكواكب الثمانية والأربعين ص ١١٠) .

الحمل^(١) . وقال الشيخ رضى الله عنه : إن النسر الطائر لا يتقل من برج إلى غيره ، إلا بعد مضي ثلاثين ألف سنة، وهو اليوم فى الدلو ؛ فقد قطع عشرة أبراج ، ولا^(٢) يتأتى^(٣) ذلك إلا بعد ثلاثمائة^(٤) ألف سنة^(*) .

وإذا كان هذا عُمر الأهرام، فأين أنت من عُمر الدنيا ؟ .. فإذا كانت الدنيا المخلوقة للزوال بهذه المثابة من طول العُمر ، فما قولك فى الجنة والنار المخلوقتان^(٤) للبقاء ؟ فلا تحمل كلام الشيخ -رضى الله عنه- فى

(*) هو أحد البروج الاثنى عشر ، التى هى على الترتيب من المغرب إلى المشرق: الحمل، الثور ، الجوزاء، السرطان ، الأسد ، السنبلة، الميزان، العقرب ، القوس، الجدى، الدلو، الحوت.. وطول كل برج فيما بين المغرب والمشرق ثلاثون درجة ، وعرضه ما بين القطبين ثمانون درجة (كشف اصطلاحات الفنون ١/١١٢) .

والمقصود بقوله : النسر الطائر فى الحمل . وقوله بعد ذلك : وهو اليوم فى الدلو . هو حركة كوكبات النسر الطائر وانتقالها من مركز إلى آخر ، وهى حركة رصدتها الفلكيون بحساب دقيق منذ أيام الحضارات الشرقية القديمة، ثم بدأ بطليموس فى تدوين تلك الحسابات فى كتابه الذى انتقل إلى المسلمين وعرف باسم المجسطي أو : دليل النجوم الثابتة .

(١) أ : فلا .

(٢) ط : يأتى .

(٣) .: ثلاثمائة .

(**) يزيد عمر الأهرام فى كلام ابن عربى والجلبلى ، عن عمرها المعروف لنا اليوم بأضعاف كثيرة .. فقد بنى الأهرام ملوك الأسرة الرابعة (خوفو - خفرع - منكاورع) وهذه الأسرة يمتد حكمها من سنة ٢٩٠٠ : ٢٧٥٠ قبل الميلاد ، وتدخل ضمن ما يسميه علماء المصريين : الدولة القديمة .

ووفقا لتقديرات المؤرخين، فإن عمر الأهرام فى زمن ابن عربى ، يكون نحو أربعة آلاف عام.. وليس ثلاثمائة ألف !

(٤) .: المخلوقات .

الفتوحات^(١) ، من أن عمر الجنة أو النار كذا كذا^(٢) سنة ، على ظاهر ، بل ذلك من وقتٍ مخصوص.

[إشارة]

لما كان الجسم الإنساني ، كالعالم الدنيوي ، بالوضع والتفصيل. فإن^(٣) حُكْمُ العالم الدنيوي إلى الزوال والفناء ، لأن ذلك من لازم الجسم الإنساني؛ فكلُّ منهما^(٤) نسخة للآخر^(٥) ، وعُمرُ كلِّ منهما على حسب هيكله ، فكان عُمر الإنسان قصيراً، لأن هيكله صغيرٌ ؛ وكان عُمر العالم الدنيوي طويلاً ، لكبر هيكله .. ولا بد له من الانعدام^(٦) والفناء ، كما أنه لا بد للإنسان من ذلك. فافهم!

[خلود الجنة والنار]

ولما كان العالم الأخرى ، نسخة من باطن الإنسان وروحه - إذ كلُّ منهما نسخة للآخر - فكانت الآخرة ، كالروح الإنسانية ؛ باقيةً بإبقاء الله تعالى. فلا يُتوهم أن الجنة والنار تفتيان^(٧) بحال ، وما ورد من^(٨) أن النار تفتنى،

(١) + ط .

(٢) أ : كنلك.

(٣) أ : كان.

(٤) ط : نكمل منها .

(٥) ط : الآخر .

(٦) + ط .

(٧) أ : تفتنى.

(٨) - ط .

وينبت محلها شجرُ الجرجير^(١) ، إنما ذلك من حيث أوقاتٍ مخصوصةٍ . ففناؤها وزوالها ، فناءٌ مقيّدٌ ، لا فناءٌ مُطلق . لأن الآخرة ، محلُّ مشهود الأعيان الثابتة – التى هى معلومات العلم – لأن الله تعالى يُظهرها يومئذٍ ، فيُرى منها كل أحدٍ^(٢) ، على حسب حاله ومقامه عند الله .. ولا شك أن النار معلوم العلم الإلهي ، فلا سبيل إلى زوال المعلوم عن العلم .

وقد كشفتُ بذلك، عن أسرارٍ شريفةٍ ، لم يسمح بها أحدٌ من المحققين؛ غيرةً على تفاصيل المعرفة بالله . وفى^(٣) هذه النبذة ، زُبدة جميع ما أفردّه الشيخ^(٣) فى الباب السابع من الفتوحات المكية . فافهم ، أرشدك الله للصواب.

* * *

(*) إشار إلى حديث شريف ، لم تقع على تخريج له.

(١) ط : واحد.

(٢) هنا تنتهى الورقة الساقطة من هـ.

(٣) ط : رضى الله عنه.

البَابُ الثَّامِنُ

وَصَارَ خَرْقُ الْعَادَةِ ،
لَهُ عَادَةٌ .

[الجسم والجسد]

قال الشيخ رضى الله عنه : ومن ذلك أى ، ومن بعض ما تضمنه هذا الباب من فنون^(١) العلوم^(٢) ، المشار إليها^(٣) فى صدر الكتاب . سرُّ ظهور الأجساد بالطريق المعتاد .

إعلم ، رضى الله عنا وعنك ، أن الصوفية فرّقوا بين الجسم والجسد؛ فقالوا: إن الجسم هو كل صورة مرئية قابلة للأبعاد الثلاثة، حالة كونها كثيفة الأصل طبعاً .. وقالوا إن الجسد عبارة عن كل صورة - يتشكّل بها روحٌ - من الصور الجسمانية^(٤) .

وإذ^(٥) قد عرفت ذلك، فاعلم^(٦) أن قول الشيخ ، رضى الله عنه سرُّ ظهور الأجساد بالطريق المعتاد هو ليُعلم أن المراد بذلك ، عبارة عن^(٧) تصورات الروح فى أشكال الحسية ، المشهودة، الصورية . وإنما قال الشيخ بالطريق المعتاد ليُعلم أن المراد بذلك، تصورات^(٨) الأرواح الجزئية؛ كما يجى^(٩) للأشخاص - فى حال تفكّرهم^(١٠) - من تصوّر روحه الجزئية، بالصورة الخيالية

(١) هـ : الفنون .

(٢) ط : العلم .

(٣) أ - .

(٤) ط : الجسمانية .

(٥) هـ : وإذا ، ط : وإن .

(٦) هـ : فافهم .

(٧) الفقرة التالية ساقطة من أ .

(٨) هـ : تصور .

(٩) هـ : يجرى .

(١٠) أ : تفكره ، هـ : فكرة .

المشهوده له عيناً^(١) ؛ أو كما يجرى للنائم من تصوّر روحه ، بالصورة المرئية فى النوم ، المشهوده له حسّاً وشهادةً .

[البرزخُ]

ولما كان عالم الخيال وعالم المثال متشابهين ، كأنهما من جنسٍ واحدٍ ، وكان البرزخ أيضاً شبيهاً لها^(٢) ؛ قال تنبيهاً على ذلك : البرزخ^(*) ما قابل الطرفين بذاته . أراد الشيخ رضى الله عنه ، أن يُعلمك أن عالم الخيال برزخٌ ؛ لكونه^(٣) قَابِلٌ طرفى الجسم والروح الإنسانية ، بذاته . وأن عالم المثال - أيضاً - برزخٌ ؛ لكونه^(٤) قَابِلٌ طرفى المعنى والصورة ، بذاته . وأن العالم الذى تصير إليه الأرواح بعد فراقها للأجسام - أيضاً - برزخٌ ؛ لأنه قَابِلٌ طرفى دار الدنيا ودار الآخرة^(٥) ، بذاته .

فكُلٌّ من هؤلاء البرازخ ، بين^(٦) أحكام^(٧) طرفيه .. لا بدّ له من ذلك ، إذ هو ناشئٌ منهما . فالخيال ، بين أحكام الجسم وبين أحكام الروح . والمثال ، بين

(١) أ : غيباً .

(٢) ط : تشبيهاً بهما .

(*) لم يتوقف الجليلى هنا ، عند بيتين وردا فى الفتوحات على النحو التالى :

تَجَسَّدُ الرُّوحُ لِلْأَبْصَارِ تُخَيِّلُ	فَلَا تَقَفْ فِيهِ ، إِنَّ الْأَمْرَ تَضَلِيلُ
قَامَ الدَّلِيلُ بِهِ عِنْدَى مُشَاهَدَةً	لَمَا تَنَزَّلَ رُوحُ الْوَحْيِ جِبْرِيلُ

[البسيط]

(٣) ط : برزخ لأنه .

(٤) ط : لأنه .

(٥) هـ : والآخرة .

(٦) هـ : وبين .

(٧) + ط .

أحكام الصورة والمعنى . والمحَل الذي تقيم^(١) فيه الأرواح ، بين أحكام الدنيا والآخرة.

وقد ذكرنا ذلك^(٢) مفصلاً - على ما هو عليه - صريحاً ، فى الجزء التاسع عشر^(٣) من كتاب^(٤) الناموس الأعظم^(٥) والقاموس الأقدم فى معرفة قَدَرِ النبى ﷺ فمن أراد تحقيق^(٦) الخيال ، والبرزخ ، والمثال ، وأرض الحقيقة^(٧) - التى ذكرها الشيخ^(٨) فى الفتوحات - فليَنظر فى ذلك الجزء ، فإنما^(٩) وضعت تلك الرسالة لتحقيق ذلك^(١٠) .

فهذه العوالم الأربعة^(١١) ، قرية بعضها من بعض؛ وكُلٌّ منها برزخٌ ، لأنه

(١) هـ ، ط : يقيم .

(٢) ط : لك ذلك .

(٣) - هـ .

(٤) - هـ .

(٥) بقية العنوان ساقط من ط .

(٦) ط : تحقيق ذلك.

(*) أرض الحقيقة ؛ عالمٌ مخصوص ينزل فيه الصالحون بعد وفاتهم . وهو مخلوق من قطعة الطين - التى هى بقدر السمسم - الباقية من الطينة التى خُلِق منها آدم ، وقد يُشار إليها بأرض السمسم . وكان ابن عربى قد تحدث عنها عدة مواضع من الفتوحات ، كما توقّف عندها الجليلى فى العديد من كتبه.

(٧) ط : الشيخ رضى الله عنه.

(٨) ط : فإن ما .

(**) تفيد عبارة الجليلى هنا ، أن كتاب الناموس هو مجموعة من الرسائل الصوفية التى يجمعها عنوان رئيسى واحد ، ولكُلٌّ منها موضوعٌ وعنوانٌ فرعى . والكتاب كاملاً - كما أسلفنا - مفقودٌ فى الوقت الحالى .

(***) يقصد عوالم : الخيال ، البرزخ ، المثال ، أرض الحقيقة.

قَابَلَ الطرفين بذاته . وَأَبْدَى^(١) لَدَى العَيْنين^(٢) من عجائب آيائه ، ما يَدُلُّ على قوته، وَيُسْتَدِلُّ به على كرمه وَفُتُوَّتِهِ.

أراد بَدَى العَيْنين ، كُلُّ مَنْ كَانَ^(٣) له نَظَرٌ في عالم الأرواح^(٤) ، ونَظَرٌ في عالم الأجسام . إِحْتِرَازاً مَنْ هو مقصود على^(٥) عالم الأجسام ، فكأنه^(٦) ليس له إلا عَيْنٌ واحدة . ولفظة ما يَدُلُّ^(٧) موصولة ، وهي^(٨) مفعول أَبْدَى ؛ وتقديره: إن البرزخ، ما قَابَلَ الطرفين بذاته^(٩) ، وَأَبْدَى^(١٠) أموراً تدلُّ على قوته^(١١) ، كُلُّ مَنْ كَانَ له عَيْنان يبصر بهما في^(١٢) العالمين .

والدليل على أن هذه البرازخ المذكورة - من الخيال ، والمثال ، وأرض السمسم^(*) ، والبرزخ - لها قوة ، أنها^(١٣) شعبة^(١٤) من القُدرة، وأمرها

(١) أ : وأبدى ، ط : وأبد .

(٢) ف : عَيْنين .

(٣) - ط .

(٤) هـ : الرواح .

(٥) - ط .

(٦) ط : لأنه .

(٧) أ : ما في ما يدل ، ط : ما يدل على .

(٨) - هـ / أ ، ط : وهو .

(٩) - ط .

(١٠) ط : فأبدا .

(١١) هـ : قوة .

(١٢) ط : مما في .

(*) لاحظ أن الجليلي استخدم أرض السمسم كمرادف لـ أرض الحقيقة .

(١٣) .: لأنها .

(١٤) غير واضحة في أ ، هـ .

منوطةً بالقدرة المحضة. وليست^(١) كأمر الدنيا، موقوفةً على الحكمة والأسباب^(٢) ، لأن الأشياء تتكوّن فيها بالإرادة ؛ فهي قدرة محضة . وإذا^(٣) صحّ أن لها هذه القوة والقدرة، صحّ أن لها كرمًا^(٤) وفتوة^(٥) .

فهو القلبُ الحوّلُ^(٥) أى : البرزخ متقلّبٌ فى الصور، متحوّلٌ^(٦) فى الهيئات؛ لِسِرِّ مقتضيات طرفيه ، واختلاف أمورها . ولهذا ، لا تلوم الصور المرئية فيه^(٧) للنّاظر ، بل تمرُّ عليه ، وتذهب عنه.. ولو كانت باقيةً ، من حيث هى هى .

فلتقلّب أحوال البرزخ على أهله^(٨)؛ قال: **والذى فى كلّ صورةٍ يتحوّل.**

(١) .: ليست .

(٢) + ط .

(٣) هـ : وإن .

(٤) ط : كرم .

(*) الفتوة بمعناها البسيط عند الصوفية هى: كف الأذى وبذل الندى وترك الشكوى .. ويقال: إن أصل الفتوة أن لا ترى من الدنيا لنفسك فضلاً واحداً . وقال أهل التفسير : هى كسر الصنم فى قصة الخليل .. ويذكر التهانوى : إن صنم كل إنسان ، نفسه؛ فمن خالف هواه ، فهو فتى على الحقيقة (كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ١١٥٦).

والفتوة المشار إليها فى كلام الجليلي هنا ، تتجاوز مفهوم الفتوة الإنسانية ، إلى مفهوم التفضل البرزخى على العالم الحسى، لأن قوة البرازخ وقدرتها هى التى تبرز الأشياء فى العالم الحسى المشهود لنا ، فلها بهذا المعنى كرمٌ وفتوةٌ .

(٥) الكلمات غير مشکولة فى النسخ جميعاً، إلا تشديدً على الواو فى ف وفى هـ : القطب الحلول، ط : المقلب الحوّل.

(٦) ط : متحرك.

(٧) أ : فيها .

(٨) أ : غير أهله .

تقديره: وهو^(١) - أى البرزخ - فى كل صورة من صورة^(٢) طرفيه ، يتحوّل .
 عَوَّلْتُ عليه . أى على^(٣) البرزخ الأكابر^(٤) يعنى : أهل الله ؛ لرجوعهم^(٥)
 آخر الأمر إليه ، فكان تعويلهم - لذلك - عليه حين جهلته . أى البرزخ
 الأصغر . وأراد بالأصغر ، المحجوبين ؛ وبالأكابر ، أهل الكشف : فله . أى
 للبرزخ^(٦) : المعنى^(٧) فى الحكم ، والقَدَمُ الراسخة فى الكَيْفِ والكَم .

إنما كان للبرزخ هذا المعنى^(٨) ، لتعلُّقه^(٩) بطرفه الروحانى ؛ والكَيْفِ
 والكَم ، لتعلُّقه بطرفه الثانى ، وهو الطرف الصورى الجسمانى . ولهذا ، كُلُّ
 برزخ : سريع الاستحالة ؛ لكون^(١٠) صُورُهُ قليلة الدوام ؛ عند الرأى^(١١) ، لا
 من حيث هى هى .

يعرفُ العارفون حاله ، بيده مقاليد الأمور ؛ لكونه قدرةً محضةً ،
 تتكون^(١٢) الأشياء فيه بالإرادة . وإليه مسانيد الغرور ؛ من أجل تحوُّل صُورِهِ ،

(١) - أ .

(٢) - هـ .

(٣) + هـ ، - ط .

(٤) + أ .

(٥) هـ : يرجوعهم .

(٦) + أ ، ط : البرزخ .

(٧) ف : المضاء .

(*) يلاحظ هنا أن الجليلي شرح الكلمة ، على أنها المعنى وليس المضاء كما وردت بالفتوحات .

(٨) ط : لتعلقه .

(٩) هـ : لكونه ، ط : لکن .

(١٠) .: الرأى .

(١١) ط : يتكون .

فمن ركن إلى شيءٍ منها^(١) ، اغترَّ به . له^(٢) . أى للبرزخ؛ النسبُ الإلهيُّ الشريفُ. أراد بالنسب هنا^(٣) ، تكوين الأشياء بالقدرة .. ألا تراك تكون بها^(٤) أردته في خيالك، على حسب ما شئت ؟ وإن كنتَ متمكِّناً؛ كان لك ذلك في عالم المثال ، وفي العالم^(٥) الذي^(٦) تصير الأرواحُ إليه^(٧) بعد الإنتقال من دار الفناء والزوال ..

[كرامات]

ولقد جرت لي واقعةٌ عجيبةٌ^(٨) في هذا المعنى : رأيتُ مرَّةً في المنام، وأنا بصنعاء اليمن، بتاريخ^(٩) سنة خمسٍ وثمان مائة، امرأةٌ كانت قد ربَّتني^(١٠) وأحسنَت إليَّ في صغري، وكانت قد ماتت ؛ فرأيتها^(١١) مُسَوِّدةَ الوجه، لما تلقاه من العذاب، لنظرها إلى النار . فألبستُ النَّارَ لها^(١٢) ، صورة الجنة . وقلتُ^(١٣) : انظري إلى الجنة. فنظرتُ إليها ، فزال عنها السواد الذي في

(١) - ط .

(٢) هـ : فله .

(٣) أ : هذا .

(٤) ط : كما .

(٥) أ ، ط : عالم .

(٦) أ : التي .

(٧) هـ : إليه الأرواح .

(٨) ط : غريبة .

(٩) - هـ .

(١٠) ط : رأيتني .

(١١) هـ : لها النار .

(١٢) أ : فقلت لها .

(١٣) هـ : صار .

وجھها، وتهلّل وجهها، حتى صارت^(١) كالقمر في الحسن والبهاء .

وكثيراً ما أرى^(٢) في النوم^(٣) أموراً، أعرف فيه^(٤) أن تعبّرها^(٥) في اليقظة غير ملائم^(٦) لطبع ، فلا أقربها . وبعض الأحيان، أقلبها^(٧) إلى غير تلك^(٨) الصورة المخالفة للطبع، فأراها كما أريد^(٩) ! ولا يستطيع ذلك، إلا من قدير على تصريف الأمور في المعنى، وصار خرق العادة له عادة^(١٠) في العالم الروحاني .. لا يعرف ذلك، إلا من مارسه من العارفين .

(١) هـ : صار .

(٢) هـ : روى .

(٣) هـ : المنام .

(٤) ط : فيها .. والمقصود ؛ أنه يعرف أثناء نومه .

(٥) تعبّر المنام ؛ تفسيره وفهم رموزه .

(٦) أ ، ط : ملائمة .

(٧) هـ : أولها .

(٨) هـ : تلك .

(٩) يريد الجليلي هنا أن يقول : إنه يقدر في النوم على توجيه الرؤى التي يراها ، كيفما شاء، فيرى في المنام ما يريد أن يراه !

(١٠) يقول الصوفية : من خرق بمجاهداته العادة التي عليها الناس ، صار له خرق عوائد الأشياء عادة .. وهذا يشير إلى مبحث الكرامة عند الصوفية ، وهو مبحث شائك مثير للجدل رغم وضوح أدلته الشرعية . وقد عقدنا للكرامة فصلاً في كتابنا (عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب) ومن أراد مطالعة المزيد فلينظر في التناول التفصيلي الذي قام به الياضي لموضوع الكرامة وأدلة وقوعها نقلاً وعقلاً في بداية كتابة : نشر المحاسن الغالية ، ص ٨ وما بعدها .. وبخصوص رواية الكرامات، يمكن الرجوع إلى الفصل الذي عقدناه بكتابنا المتواليات : دراسات في التصوف تحت عنوان : كرامات الصوفية نصّ أدبيّ مضادّ للتصوف .

لكن الأمر اللافت للنظر هنا، أن الصوفية قد يتحدّثون عن الكرامة وخرق العادة في عالمنا الحسي المشهود .. أما الجليلي هنا ، فهو يذكر كراماته في العالم الروحاني أيضاً .

[الخيال]

فللبرزخ ، تلك الصفة الإلهية القادرية^(١) . والمنصب^(٢) الكياني المنيف
أى ، وللبرزخ : المنصب الكياني العالى ؛ وهو التعيين بالصورة المحسوسة ،
المحدودة ، الخلقية .. فهو خَلَقَ ، له وصف^(٣) الحق .

تلطف^(٣) فى كثافته^(٤) وتكثف^(٥) فى لطافته^(٦) . لكونه بين^(٧) عالمين ؛
أحدهما كثيف ، والآخر لطيف . فهو يظهر بحكم كُُلِّ من عالمي اللطافة
والكثافة^(٨) ، فى صورة واحدة .

يُخرجه^(٩) العقل برهانه . أى ؛ يُخرجُ العقلُ بالفكرة ، صور^(١٠) الأمور
الخيالية - لأن الخيال من جملة البرازخ^(١١) - برهانه . وهى الدلائل العقلية

(*) الإشارة إلى القدرة على خرق العادة .. وقد تكون الإشارة - أيضاً - إلى عبد القادر
الجيلاني ، الذى رويت عنه كرامات كثيرة لا تحصى .. حتى قيل : ما نُقلت الكرامات عن
أحد بالتواتر ، إلا عن الشيخ عبد القادر .

(١) أ : والمنصف .

(٢) أ : وصفه .

(٣) هـ ، ط : يلطف .

(٤) ط : لطافته .

(٥) أ ، هـ ، ط : ويكثف .

(٦) ط : كثافته .

(٧) أ : فى .

(٨) هـ : الكثافة واللطافة .

(٩) ف : يخرج .

(١٠) هـ : بالفكرة صورة .

(١١) ط .

التي ^(١) تُنتج ^(٢) في الفكر صوراً ^(٣) ؛ على حسب مقتضاها.

ويعدله ^(٤) الشرع ، بقوة سلطانه . أى ؛ يصرفه الشرع إلى غير ما ظهر في العقل ، لأن المشرع ^(٥) مرتبط بالروحى الإلهى ، فله الحكم على كل صورة ومعنى . فلذلك ^(٦) ؛ لم يكن للعقل ، فى الشرع ، مجال .

فالخيال : يحكم فى كل موجود . لأنك تسرى بعقلك فى كل شيء ، ولأن الخيال يستحضر كل موجود فى عالمه ، وإلى صحة الأمور المشهودة بحكم الدلائل العقلية ^(٧) ، أشار بقوله : ويدل على صحة حكمه ، بما يعطيه الشهود ، ويعترف به ، أى ؛ بصحة ما حكم العقل - فى الخيال - به ، فيقر . الجاهل بقدره . أى ؛ بقدر عالم ^(٨) الخيال . والعالم . أى بقدره . ولا يقدر على رد حكمه حاكم . لأن العقل إذا اقتضى أمراً ^(٩) ، لا يمكن أحد من أهل المعرفة ، رد ذلك الحكم .

(١) - أ .

(٢) هـ : تفتح .

(٣) أ : صور الفكر .

(٤) أ : وبعده .

(٥) أ : الشرط .

(٦) + ط .

(٧) - هـ .

(٨) - هـ .

(٩) هـ : لأمر

وقد شرحت^(١) لك بهذه^(٢) النبذة ، جميع ما تضمنه الباب^(٣) الثامن من
الفتوحات المكية . فافهم ، وتأمل ، والله الموفق^(٤) للصواب.

* * *

(١) هـ : شرحنا .

(٢) ط : في هذه .

(٣) هـ : هذا الباب.

(٤) هـ : موفق.

البَابُ التَّاسِعُ

إِبْلِيسُ أَوَّلُ مَنْ خَالَفَ فِي الْأَمْرِ ،
وَأَدَمُ أَوَّلُ مَنْ خَالَفَ فِي النَّهْيِ !

[الواج والمارج]

قال الشيخ رضى الله عنه : ومن ذلك. أى ، ومن بعض ما تضمنه هذا الباب، من فنون العلم : سِرُّ^(١) الواج والمارج^(٢) . الواج ؛ إشارة إلى الأرواح^(٣) الطاهرة^(٤) المختلفة، من العنصرين^(٥) العلويين ، وهم ملائكة الجو ، بين السماء والأرض. والمارج^(٦) ؛ هو الأرواح الخبيثة ، وهى الجن ، خلقهم الله تعالى^(٧) من امتزاج النار بالهواء^(٨) ، كما خُلِقَ الإنسانُ من امتزاج الماء بالتراب^(٩) .

ولما كان خَلْقُ الجن ، من امتزاج النار بالهواء^(٩) ، كان الانقلاب طبعاً له^(١٠) . لأن الهواء لا يثبت له ؛ وكذلك النار ، تريد^(١١) العلو والارتفاع

(١) + هـ .

(٢) أ : المعارج .

(٣) العبارة التالية مضطربة فى أ .

(٤) هـ ، ط : الظاهرة .

(٥) أ : العنصر بن ، ط : العنصرين .

(٦) أ : المعارج .

(٧) - ط .

(٨) ط : الهوى .

(*) الماء ، التراب ، الهواء ، النار .. هى المبادئ الأربعة للوجود ، فى اعتقاد القدماء . وهى نظرية

عميقة الجذور، تعود إلى فلاسفة اليونان الأوائل (أنظر ما سنقول فيما بعد) .

(٩) .: بالهوى .

(١٠) ط : لهم .

(١١) ط : يريد .

طبعاً^(١) .. ألا تراك^(٢) إذا أخذتَ شمعاً وأقليتَها^(٣) ، لا تنقلب^(٤) نارها معك، بل ترجع إلى فوق بالطبع؛ لأن الركن الناري يتعالى^(٥) طبعاً . وبعكسه التراب، لا يطلب إلا السُّفل^(٦) ؛ فلو أخذتَ كفاً من ترابٍ ، ورميت به إلى فوق، لرجع إلى أسفل بالطبع.

ولهذا ؛ كان الإنسان مؤتمراً طبعاً، والجنان مخالفاً عاصياً . فإن عَرَضَتْ معصية من الإنسان، كانت تلك الغفلة^(٧) منه عارضة، لما يقتضيه طبعه. كما أنه^(٨) لو عرضت^(٩) طاعة من الجان، كانت تلك الطاعة عارضة، لما يقتضيه طبعه.. ومن ثمَّ، تاب الله^(١٠) على آدم^(١١) ، ولم يتب على إبليس. لأن إبليس من طبعه المعصية، ألا تراه تكبر وقال : **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**^(١٢) في حَضْرَةِ الحق، ولم يصدر من الإنسان - الذي هو آدم - إلا البكاء، والندم، والخوف ؛ لما يقتضيه التراب من الذلة والسُّفل.

(١) ط : طبعاً له.

(٢) هـ : ترى .

(٣) هـ : هكذا في كل النسخ.

(٤) هـ : تقلب.

(٥) هـ : طبعاً يتعالى.

(٦) أ ، ط : الأسفل.

(٧) أ : الطاعة.

(٨) ط : ان.

(٩) هـ : عرضت .

(١٠) ط : تعالى .

(*) إشارة إلى قوله تعالى ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ ، فتاب عليه .. ﴿سورة البقرة، آية ٣٧.

(**) قوله تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ ، قال أنا خيرٌ منه .. ﴿سورة الأعراف ، آية

[إبليس وآدم]

فلهذا^(١) المعنى ؛ لعن إبليس ، لأنه محل المعصية والخلاف . وهو المشار إليه بقوله : أول^(٢) جَوَادِ كَبَا^(٣) ، حين أَمَرَ فَأَبَى . يعنى : إبليس هو^(٤) أول مَنْ خالف الله . ونعته^(٥) بأنه جَوَادٍ لأنه كان قبل ذلك من المقربين . فإبليس أول مَنْ خالف فى الأمر^(٦) ، وآدم -عليه السلام- أول مَنْ خالف فى النهى . لأنه قيل له^(٧) لا تأكل الحبة ، فأكل^(٨) ؛ وإبليس قيل له اسجد ، فما سجد^(٩) . فالخلاف واقعٌ منهما ، لا من جهة واحدة ، بل من جهتين .

ولذلك؛ قال الشيخ : وأول مَنْ قَدَحَ فى النَّهْيِ^(١٠) مَنْ نُهِىَ وَمَا^(١١) انتهى . يعنى : آدم^(١٢) عليه السلام^(١٣) ، نُهِىَ من أكل الجنة ، فما انتهى عن

(١) أ : وبهذا .

(٢) ترك الجليلى هنا من الفتوحات ، هذين البيتين

النَّارُ كَالنُّورِ فى الإِخْرَاقِ قَدْ شَهِدَا لذلك الأَمْرَ مَا مَوْلَاى قَدْ عَبَدَا
فَالْكُلُّ دَانَ بِهِ وَالْكُلُّ دَانَ لَهُ لَهُ التَّحَكُّمُ فِينَا كُلَّمَا وَرَدَا

[البسيط]

(٣) أ : كى ، ط : أبى .

(٤) - ط .

(٥) العبارة التالية ساقطة من ط .

(٦) ط : الأمور .

(٧) - أ ، هـ .

(٨) قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة ٣٥ / الأعراف ٢٠ .

(٩) قوله تعالى ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، إِلَّا إِبْلِيسَ ..﴾ الحجر ٣٠ / ص ٧٣ .

(١٠) النهى ؛ العقل .

(١١) أ ، هـ : ولا .

(١٢) هـ : أن آدم .

(١٣) أ : صلوات الله عليه .

ذلك^(*) ؛ فكان فعله قدحاً في العقل ، لأن امتثال المولى^(**) ، مما يحكم العقل بلزومه؛ فخلافه ، قدح في عقل المخالف طبعاً.

[الأركان الأربعة]

وإنما^(١) وقع الخلاف في هذين الجنسيتين - دون سائر الأجناس - لأن الظهور في تركيبهم لركنين . على أن^(٢) بقية^(٣) الأركان موجودة^(٤) في كل جنسٍ منهما؛ فالجنس من النار والهواء، والإنسان من الماء والتراب .. والخلاف واقع بين النار والهواء ، لأن النار يابس والهواء رطب ؛ وبين الماء والتراب، لأن التراب يابس والهواء رطب^(***) .

(*) قوله تعالى ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ..﴾ سورة الأعراف ٢٢.

(**) المولى ؛ العبد .

(١) ط : وان ما .

(٢) أ : أنه .

(٣) ط : بقيت .

(٤) ط + ط .

(***) منذ وقت مبكر من تاريخ الفكر اليوناني ، تمت المقابلة بين المبادئ الأربعة للوجود، أو الأركان الأربعة : الهواء والماء والتراب والنار ، وبين ما يُسمى بالطبائع الأربعة : البرودة والرطوبة واليبوسة والحرارة .

وأفاض الفلاسفة في تفصيل أجزاء الكون تبعاً لهذه المقابلة ، وأعطوا لكل ركن عدداً من الطبائع ، فالهواء بارد رطب ، والنار حارة يابسة.. وهكذا ، وبهذا المعنى حددوا الخواص الطبيعية لكل موجود بحسب ما يدخل في تركيبه من عناصر أو مبادئ أو أركان .

ثم دخلت هذه الفكرة مجال الطب، الذي كان قديماً يرتبط بالفلسفة ، فظهرت نظرية الأخلاط الأربعة المكونة للجسم، وهي : الدم ، البلغم، الصفراء، السوداء .. وتمت مقابلة أخرى بين هذه الأخلاط ، وبين الأركان الأربعة والطبائع الأربعة . فإذا كان الطبيعيون الأوائل -من فلاسفة اليونان- قد حاولوا ردّ الوجود بأسره إلى عملية تركيب الأركان والطبائع وتداخلهما، فإن الطبيب اليوناني أبقراط حاول ردّ جميع الظواهر الجسمية، إلى اعتدال نسبة =

فغلب حكم الخلاف فى ذوات هذين الجنسين -دون غيرهما- لأن كل موجود سواهما، غير مخصوص بركنين، بل يتساوى فيه الأربعة أركان^(١)، جمعاً وفرداً^(٢)، وكل من الجان والإنسان أيضاً، توجد^(٣) فيه الأركان الأربعة^(٤)؛ لكن الظهور فى كل منهما، لركنين .. كما ذكرنا .

فلهذا خالفوا، لأن طبع^(٥) تركيهم يقتضى المخالفة . وإلى ذلك أشار الشيخ رضى الله عنه بقوله : **سُنُّ^(٦) الخلاف فى الائتلاف** فأظهر النقص ليعرف الحبيب من البغيض . جعل الله^(٧) الخلاف مسنوناً^(٨) فى طبع تأليف

- الأخلاط الأربعة أو اضطرابها؛ بحيث تكون الصحة فى تناسبها، ويكون المرض عند اختلال التناسب.

وتوسع جالينوس فى تطبيق هذه النظرية، وعرض لتلك المبادئ التى عُرفت باسم الاستقصات فى واحد من أشهر كتبه، هو الكتاب الذى يعرف بعنوان : فى الاستقصات على رأى أبقراط (قام الدكتور محمد سليم سالم بتحقيقه، ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة كتب جالينوس المعروفة باسم : جوامع الاسكندرانيين) .

وانتقل هذا التراث إلى العالم الإسلامى مع حركة الترجمة، فأثرت فكرة الأركان فى الفلاسفة، كما أثرت فكرة الأخلاط فى الأطباء. واكتست فكرة الأركان بطابع دينى مأخوذ من التصور الإسلامى لعملية الخلق، وتوسعت فكرة الأخلاط واستمرت تشعباتها حتى عصر داود الأنطاكي؛ حيث ظهرت جوانبها فى كتابه المشهور : تذكرة أولى الألباب .

(١) هـ : الأركان .

(٢) هـ : فردى ، ط : فرادى.

(٣) هـ : فتوجد .

(٤) هـ : أربعة .

(٥) أ : الطبع.

(٦) أ ، هـ ، ط : سر.

(٧) - أ .

(٨) أ : مستويا ، هـ : مستويا .

الإنسان والجان، وطلب منهما ما يناقض^(١) طبع كُلِّ منهما ؛ فطلب من الجان^(٢) ، الذى أصله الكبرُ، أن يتواضع ، فيسجد؛ وطلب من الإنسان ، الذى أصله يقتضى^(٣) التغذى بالحبة ، أن يتركها . فأظهر لكل^(٤) منهما ما يناقض مقتضى طبعه ، مخالفاً؛ ليُظهر بذلك شرف الحبيب - وهو الإنسان- ونقص^(٥) البغىض، وهو العدو الشيطان .

[معصية إبليس]

امْتَثَلْ الأَمْرَ فيما يُشْقِيهِ . يعنى : إن إبليس خالف الحقَّ فيما يسعده - حيث أمره الله بالسجود ولم يسجد- وامْتَثَلْ الأمر من الله فيما يشْقِيهِ^(٦) ، حيث قال الله تعالى له ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ^(٧) .. الآية^(٨)﴾ فإطاع ذلك، ولم يعص^(٩) .

وَحَلَّ بِهِ . أى إبليس . ما كَانَ يَتَّقِيهِ ؛ من الذَّلَّةِ والبُعد عن الله^(٩) . لأنه ما ترك السجود لآدم، إلا بسبب^(١٠) أمرين: أحدهما ، لئلا يسجد^(١١) لغير الله،

(١) + أ .

(٢) ط : الجن .

(٣) ط : يقتضى طبعه أن .

(٤) هـ : كل .

(٥) أ : ويغض .

(٦) هـ : يسيقه .

(٧) هـ : واجلب عليهم بخيلك ورجالك .

(٨) سورة الإسراء ، آية ٦٤ .

(٩) هـ : يعصى .

(٩) هـ : تعالى .

(١٠) هـ : بسبب .

(١١) العبارة التالية ساقطة من أ .

فبيعه عنه من أجل ذلك؛ والثاني ، لئلا تحملُ به المذلة^(١) .. فحلَّ به الأمران جميعاً ، بالخلاف لأمر الله . فهو ، والجن^(٢) : يُخالف^(٣) الردى^(٤) ، ويُخالف الهدى ، ولا يُترك سدى^(٥) .

يخالف^(٦) - الأولى - بالخاء المهملة ، من المخالفة^(٧) ؛ وهى القسمُ بعدم^(٨) الخلاف . ويخالف الثانية ، بالخاء المعجمة ، من الخلاف^(٩) . وتقديره : إنه ملازم للردى ، كأنه حلَّفَ ألا يفارق ما يكون سبباً للبلاء؛ وجاء بخلاف ما هو سبب للهدى^(١٠) .

(١) ط : الزلة .

(٢) أ - .

(٣) أ ، هـ ، ط : يخالف .

(٤) أ ، هـ ، ط : الردى .

(٥) أ ، هـ ، ط : سداً .

(٦) أ : يخالف .

(٧) هـ : المخالفة .

(٨) ط : لعدم .

(٩) هـ : المخالفة .

(*) كان الخلاج (أبو المغيث الحسين بن منصور ، المقتول ببغداد سنة ٣٠٩ هجرية) هو أول من طرق موضوع إبليس بشكل موسّع ، فلا نجد أحداً من الصوفية ، تناول قضية إبليس قبله ، يمثل هذه القوة .

ورأى الخلاج يتلخّص فى أن إبليس من أهل الفتوة ! فقد آثر ، وهو الموحّد ، أن ينال اللعن والطرّد ، ولا يسجد لغيره موله .. ثم أنه فى النهاية ، قام بما قدّر له فى الأزل .

ووضع الخلاج فى كتابه الطواسين فصلاً بعنوان طاسين الأزل والإلتباس فتناول تلك القضية تناولاً ذوقياً صاغه بلغة ساحرة ، قائلاً :

فى صحة الدعاوى بعكس المعانى : ما صحّت الدعاوى لأحد إلا لإبليس وأحمد ﷺ ، غير أن إبليس سقط عن العين ، وأحمد ﷺ كشف له عن عين العين . قيل لإبليس : أسجد ! ولأحمد : أنظر ! هذا ما سجّد ، وأحمد ما نظّر ، ما التفت يمينا ولا شمالاً ، «مازاغ البصر ما طغى» . أما إبليس فإله دعا ، لكنه ما رجع إلى حوله ، وأحمد ﷺ ادّعى ، ورجع عن حوله بقوله «بك أجول وبك أصول» وقوله «يا مقلب القلوب» وقوله «لا أحصى ثناء عليك» .. =

[أحوال الجن]

- وَهَجَرَ الأَلْحَاطَ بالسَّيْرِ ، وَغَبَدَ المَعْبُودَ عَلَى التَّجْرِيدِ ، وَلَمَعَنَ حِينَ وَصَلَ إِلَى التَّفْرِيدِ ، وَطَلَبَ حِينَ طَلَبَ بِالْمَزِيدِ ، فَقَالَ لَهُ ﴿أَسْجُدْ﴾ قَالَ : ﴿لَا غَيْرَ﴾ ، قَالَ لَهُ : ﴿وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ قَالَ : لَوْ كَانَ لِي مَعَكَ لَحْظَةٌ ، لَكَانَ يَلْقَى بِي التَّكْبِيرُ وَالتَّجْبِيرُ ، وَأَنَا الَّذِي عَرَفْتُكَ فِي الْأَزَلِ ، أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، لِأَنِّي لِي قَدَمَةٌ بِالْخِدْمَةِ ، وَلَيْسَ فِي الْكَوْنَيْنِ أَحَدٌ عَرَفَ مِنِّي بِكَ ، وَلِي فِيكَ إِرَادَةٌ ، وَلَكَ لِي إِرَادَةٌ ، إِرَادَتُكَ لِي سَابِقَةٌ ، إِنْ سَجَدْتُ لِعَبْرِكَ ، فَإِنِّي لَمْ أَسْجُدْ ، فَلَا بَدَّ لِي مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْأَصْلِ ، لِأَنكَ خَلَقْتَنِي مِنَ النَّارِ ، وَالنَّارُ تَرْجِعُ إِلَى النَّارِ ، وَلَكَ التَّقْدِيرُ وَالِاخْتِيَارُ ..

ثم يقول الحلاج : التقى موسى عليه السلام وإبليس على عقبة الطور، فقال له موسى: يا إبليس ما منعك عن السجود؟ فقال : "منعني الدعوى بمعبود واحد ، لو سجدت لآدم لكنت مثلك ، فأنت نوديت مرة واحدة "انظر إلى الجبل" فنظرت ! ونوديت أنا ألف مرة "أن اسجد" فما سجدت ، لدعواي ، بمعناي .. فقال له: تركت الأمر ! قال إبليس: كان ذلك ابتلاء ، لا أمراً ! فقال له : لاجرم ، قد غير صورتك. قال له : يا موسى ذا وذا تلييس ، والحال لا معول عليه ، فإنه يحول ، لكن المعرفة الصحيحة ، كما كانت ، وما تغيرت ، وإن الشخص تغير . فقال موسى : الآن تذكره. فقال ياموسى : الفكرة لا تذكر ، أنا مذكور ، وهو مذكور ، ذكره ذكرى ، وذكرى ذكره. هل يكون الذاكرون إلا معاً ، خذمتي الآن أصفى ، ووقتي أخلى ، وذكر أجلى ، لأنني كنت في القدم أخدمه لحظي ، والآن أخدمه لحظه .. حَرَمَنِي لِصَحْبَتِي ، قَبَحَنِي لِمَدْحَتِي ، أَجْرَمَنِي لِهَجْرَتِي ، هَجَرَنِي لِمُكَاشَفَتِي ، كَشَفَنِي لَوْصَلَتِي ، وَصَلَنِي لِقَطْعَتِي ، قَطَعَنِي لِمَنْعِ مَنِيَّتِي .. وَحَقَّهُ ، مَا أَخْطَأْتُ فِي التَّدْبِيرِ ، وَلَا رَدَدْتُ التَّقْدِيرَ ، وَلَا بَالَيْتُ بِتَغْيِيرِ التَّصْوِيرِ . لِي عَلَى هَذِهِ الْمَقَادِيرِ تَقْدِيرٌ . إِنْ عَذَنِي بِنَارِهِ أَبَدَ الْأَبَدِ ، مَا سَجَدْتُ لِأَحَدٍ ، وَلَا أَذِلُّ لِشَخْصٍ وَجَسَدٍ ، وَلَا أَعْرِفُ ضِدًّا ، وَلَا وَلَدًا . دَعَايَ دَعَايَ الصَّادِقِينَ ، وَأَنَا فِي الْحُبِّ مِنَ الصَّادِقِينَ .

قال الحلاج: في أحوال عزازيل ، أقاويل .. إحداها أنه كان في السماء داعياً ، وفي الأرض داعياً ، في السماء دعا الملائكة يُريهم المحاسن ، وفي الأرض دعا الإنس يُريهم القبائح ، لأن الأشياء تُعرف بأضدادها .. وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْقَبِيحَ ، لَا يَعْرِفُ الْحَسَنَ !

قال الحلاج : تناظرت مع إبليس وفرعون في الفتوة ، فقال إبليس : إن سجدت سقط من منزلة الفتوة ! وقلت أنا : إن رجعت عن دعواي وقولي ، سقطت من بساط الفتوة . وقال إبليس : "أنا خير منه" حين لم يراء غيره غيراً . وقال فرعون : "ما علمت لكم من إله غيري" حين لم يعرف في قومه مَنْ يميز بين الحق والباطل ، وقلت أنا : "إن لم تعرفوه ، فاعرفوا آثاره ، وأنا ذلك الأثر ، وأنا الحق ، لأنني ما زلتُ أبداً بالحق حقاً" .. فصاحبي وأستاذي ، إبليس وفرعون . إبليس هُددَ بالنار ، وما رجع عن دعواه . وفرعون أغرق في اليم ، وما رجع عن دعواه ، ولم يقر بالواسطة البتة . وإن قُتِلْتُ أَوْ صُلِبْتُ ، أَوْ قُطِعْتُ يَدَايَ وَرِجْلَايَ ، مَا رَجَعْتُ عَنْ دَعَايَ .. الطَّرَاسِينِ (نشرة ماسينون ، باريس ١٩١٣ ، ص ٧١ وما بعدها)

ومع^(١) اتصافه^(٢) بالخوف ، لا يبرح في معاملته بالحيف^(٣) . يعنى : إن طبع الجن، الميل والانحراف إلى الغى؛ فلو قدر أنه يخاف من الله، لا يبرح يحيف^(٣) في معاملته له^(٤) ، ولا يقصد سواء السبيل .. لأن المخالفة من طبعه الذى هو عليه.

فإذا جَنَحَ منهم مَنْ جَنَحَ إلى ربه طائِعاً ، وكان لباب سعادته قارِعاً. لم يحسنَ أحدٌ منا قرعَه، وكان الحقُّ بصره وسمعه. يعنى : الجنُّ، إذا اتفق أن يرغب أحدٌ منهم إلى ربه ، وخالف ما يقتضيه الطبع النارى من المعصية، والطبع الهوائى من عدم الثبوت على أمرٍ، فأطاع^(٥) وثبت على الطاعة ؛ يخرقُ فى سُرَادِقِ^(٦) الحُجُبِ، لأنه روحانيٌّ لا كثافة فيه. فلأجل ذلك، لم يستطع أحدٌ من الإنس أن يبلغ بجسمه^(**) ، ما يبلغه ذلك الجنىُّ الكامل المطيع.

إن سَمَعَ أَنْصَتَ . لأنه روحٌ، إذا توجَّهَ للشيء، توجَّهَ فيه بالكلية. ألا تراهم أنصتوا للحق، لما سمعوه ؛ فقال قائلهم : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قرآنًا عجباً﴾^(٧) .. الآية^(***) ﴿ولهذا قال ﷺ : هُمْ أَسْمَعُ وَأَنْصَتُ مِنْكُمْ﴾^(****) . ألا تراهم لما سمعوا

(١) ط : ومعنى .

(٢) أ : انصافه ، غير واضحة فى هـ.

(*) الحيف : الظلم والجور.

(٣) أ : يحيف ، هـ : يخيف .

(٤) - أ.

(٥) أ : قاطع.

(٦) هـ : سرادقات.

(**) يشير الجليلى هنا إلى أن للإنسان جسماً ، بينما الجن لا جسم له.

(٧) هـ : يهدى إلى الرشد.

(***) سورة الجن ، الآية الأولى .

(****) حديث نبوى مشهور.

قوله تعالى ﴿فَبَايَ آلاءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾^(*) . قالوا : ولا بشيءٍ من آلاءِ رَبِّنَا نكذبُ .

وإن أسمع^(١) أبهتَ ؛ لما يديه^(٢) من العجائب التي يصل علمه إليها ،
والغرائب التي يقتضيها^(٣) طبعه وعالمه .. وقد شرحت^(٤) بهذه النبذة ،
خلاصة^(٥) ما حواه الباب التاسع من الفتوحات^(٦) المكية^(٧) ، فاعلم .

* * *

(*) سورة الرحمن ، عدة آيات .

(١) ط : سمع .

(٢) أ : يديه ، هـ : يبدأوا به .

(٣) .: يقتضيه .

(٤) هـ : شرحنا لك .

(٥) أ : من خلاصة ، هـ : عن خلاصة .

(٦) + أ .

(٧) - ط .

البَابُ العَاشِرُ

مَرْتَبَةُ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ، عِنْدِي؛
فَوْقَ مَرْتَبَةِ الْمَلَائِكَةِ ..

[الأنوار العلوية]

قال الشيخ رضى الله عنه: ومن ذلك . أى ؛ ومن بعض^(١) ما تضمنه هذا الباب ، من فنون العلوم المذكورة فى الكتاب : سرُّ النور . أى ؛ الوجود المطلق، الذى هو الحقُّ فى^(٢) الخفاء والظهور^(*) . يعنى : بالخفاء ، تجلّى الحق تعالى لنفسه، فى ذاته بذاته ، وبالظهور ، تجلّيه لخلقِهِ ، فى مخلوقاته.

أُشْرِقَتْ ؛ أى ظهرت . الأنوارُ ؛ أى الأسماء^(٣) والصفات الإلهية . فَشَرِقَتْ^(٤) ، أى تَعَيَّنَتْ الذاتُ بتعَيُّنِ الأسماء والصفات . وَتَمَيَّزَتْ^(٥) بها^(٦) ؛ أى بالأسماء والصفات . الْأَعْيَانُ الثَّابِتَةُ ، التى هى حقائق^(٧) الممكنات . فَافْتَرَقَتْ . يعنى : تَعَيَّنَ كُلُّ موجودٍ، بسبب الأسماء والصفات ؛ لأنها^(**) آثارها ..

(١) أ ، ط : بعض ذلك.

(٢) الفقرة التالية ساقطة من هـ.

(*) فى الفتوحات : .. الخفاء والظهور من الباب العاشر ثم ورد البيتان :

الشمسُ مُشْرِقةُ الشمسِ محرقةُ	بنورها فهى نورٌ حَكْمَةُ النَّارِ
وليسَ يعْلِمُهَا إِلَّا أَحْسُو عَمْسِهِ	لدبٍّ جَلِيلٌ لَهُ فى القلبِ آثارُ

[البسيط]

(٣) هـ : الأسماء الذاتية .

(٤) ف : حين شرقت .

(٥) هـ : فتميز .

(٦) - ط .

(٧) ط : أعيان.

(**) تشير العبارات إلى نظرية الجيلى - وابن عربى من قبله - فى الخلق .. فهما ينظران إلى وجود المخلوقات، على اعتبار أن كل موجود هو أثر ناشئ عن التحلّى الإلهى ، سواء كان تجلياً أسمائياً أو صفاتياً (من أسماء الله تعالى وصفاته) .

فحصلت الأعيانُ في الفرق ، بعد الجمع الأول^(*) .

فَأَغْنَتْ الإِشَارَاتُ عَنِ الْعِبَارَاتِ . أراد بالإشارات : الموجودات، التي هي آثار الأسماء والصفات . وبالعبارات^(١) : الأسماء والصفات الحق أغنى الناظرين، شهودُ الأثر ، عن شهود المؤثر . فمنها ؛ أى من الموجودات الكونية . مَنْ هُيِّمَ ؛ كالملائكة المهيمّة في حلال الله تعالى وجماله . فتَهَيَّم ؛ كالعقل الأول ، والنفس الكلية ، والروح الكلية^(**) .

ومنها ؛ أى من الموجودات الكونية . مَنْ حُكِّمَ ؛ كالطبيعة . فتَحَكَّم ؛ كالملائكة الموكلة بتدبير العالم ، لأنهم تحكّموا في إيجاد الموجودات : كالعقل الفعّال^(***) ، وكالأركان الأربعة ، وكالكواكب السبعة .

(*) انظر الجمع والفرق فيما سبق . والمراد بالجمع هنا: اقتران الموجودات من حيث أصولها الأعيان بالأسماء والصفات ، فهذا هو الجمع الأول .. ولما جاء أوان ظهور الأعيان ، حصل الفرق في عين الناظر . أما في بصيرة المحقّق ، فالأمر جمع ، والنظر واقع على الأصل .. ومن هنا قالوا : الله فقط هو الموجود .

(١) العبارة التالية ساقطة من أ.

(**) يظهر هنا أثر نظرية الفيض ، التي انتقلت في وقتٍ مبكرٍ من مدرسة الاسكندرية الفلسفية، إلى المحيط الفكري الإسلامي . وتقول النظرية - كما عبر عنها أفلوطين - أن الوجود فاض عن الله خلال سلسلة طويلة من الفيوضات .. فقد تعقّل الله ذاته، ففاض العقل الأول ! ثم تعقّل العقل الأول ذاته ، ففاضت النفس الكلية ؛ كما تعقّل ما فوقه ، ففاض العقل الثاني . وتوالت التعقّلات، فتوالت الفيوضات ، حتى وصلت للعقل الفعّال .

والنظرية كما يقدمها الجيلي ، تعكس الملامح الإسلامية التي أضافها صوفية المسلمين الفلاسفة، فترى -إضافةً للهيكل الأساسى للفيوضات- الروح الكلية .. وهى فكرة لا نجدها عند أفلوطين! عموماً، فإن استعراض تطوّر هذه النظرية وطابعها الإسلامى ، يحتاج لبحثٍ مطوّل .

(***) هو العقل الفعّال في الإنسانية ، وهو آخر مراتب العقول العلوية . يفيض المعلومات على العقل الأرض (العقل المستفاد) فتدرك به عقولنا الجزئية !

فلِكُلِّ عَيْنٍ أَى مَلَكٍ مِنْ هَذِهِ الْمَلَائِكَةِ الْمُهَيَّمَةِ وَالْمَحْكُومَةِ . مَقَامٌ مَعْلُومٌ ؛
 أَى وَظِيفَةٌ مَخْصُوصَةٌ يَقُومُ^(١) بِهَا ، وَمَحَلٌّ مَخْصُوصٌ مِنَ الْكَمَالِ يَكُونُ عَلَيْهِ^(٢) .
 وَحَدٌّ مَرْسُومٌ ؛ لِكُلِّ مِنْ هَذِهِ الْمَلَائِكَةِ ، حَدٌّ لَا يَتَعَدَّاهُ . وَذَلِكَ الْحَدُّ ، هُوَ مَا^(٣)
 تَقْتَضِيهِ قَابِلِيَّتُهُ مِنَ الْفَاعِلِيَّةِ ، وَالْمَنْفَعَلِيَّةِ ، وَالصُّورِيَّةِ^(٤) ، وَالْمَعْنَوِيَّةِ ، وَالْكَلِيَّةِ ،
 وَالْجَزْئِيَّةِ .

فَمِنْهُ أَى مِنْ^(٥) مَقَامِ هَذِهِ الْأَسْلَافِ . مَرْمُوزٌ ؛ لَا يُدْرِكُ بِالْعَقْلِ ، كَمَقَامِ
 الْقَلَمِ الْأَعْلَى وَاللُّوْحِ الْمَحْفُوظِ . وَمِنْهُ مَفْهُومٌ ؛ كَمَقَامِ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ .. لِأَنَّ
 فِعْلَ الطَّبَائِعِ فِي الْوُجُودِ^(٦) ، مَفْهُومٌ عَقْلًا ، وَمُشَاهَدَةٌ حِسًّا .

[الْمَلَائِكَةُ الْمُهَيَّمَةُ وَالْمَحْكُومَةُ]

يُخَلِّقُونَ نَفُوسَهُمْ كَمَا يَشَاوِرُونَ . يَعْنِي الْأَرْوَاحَ الْكَلِيَّةَ ؛ كَالْهَيُولَى ، فَإِنَّهَا
 تَتَكَوَّنُ حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ مِنَ الصُّورِ . كَالطَّبِيعَةِ^(٧) إِذَا تَخَلَّقَتْ نَارًا ، أَوْ هَوَاءً ، أَوْ
 مَاءً ، تَرَابًا - عَلَى حَسَبِ الْمُقْتَضَى - فَتَخْلُقُ بِصُورَتِهِ^(٨) ؛ فَهِيَ الْخَالِقَةُ
 لِنَفْسِهَا^(٩) ، بِقُدْرَةِ اللَّهِ^(١٠) تَعَالَى .

(١) العبارة التالية ساقطة من أ.

(٢) - هـ .

(٣) - هـ .

(٤) ط : والمنفعة والصورة .

(٥) - هـ .

(٦) ط : الأركان .

(٧) أ : وكالطبيعة .

(٨) ط : تتخلق .

(٩) هـ : بنفسها .

(١٠) - هـ .

وفي أى صورة شاءوا^(١) ، يتحولون . يعنى : إن الأرواح الكلية، تتصور
بأى صورة تقتضى^(٢) قوابلها^(٣) - من الصور الجزئية- فتتحول^(٤) فيه ، كما
تحول جبريل عليه السلام ، فى صورة دحية الكلبي^(٥) .

هم الحلاءدون . أى ؛ الأرواح المهيمة^(٥) ، هم الجاعلون لهم حدوداً،
حسب ما تقتضيه^(٦) قوابلهم ، فلا يتعدى شئ^(٧) منهم حدّه . والحجّابُ . أى؛
الملائكة المحكّمة، هم حُجّابُ الله تعالى، لأنهم^(٨) الفَعْلَةُ^(٩) للأُمور ، فلا ينظر
الناظر، إلا إليهم. وهم^(١٠) حُجّابُ ، يمنعون - أيضاً- أبصارَ الناظر^(١١) ، أن
تقع على الحق تعالى .. وبهم ، حُجِبَ عن الله مَنْ حُجِبَ .

ولهم ؛ أى للملائكة المهيمة ، والمحكّمة^(١٢) . الظُّهُورُ ؛ تارة حساً، وتارة

(١) ف : شاؤوا

(٢) أ ، ط : تقتضيه .

(٣) ط : قوابلهم .

(٤) ط + .

(*) بخصوص الأخبار الواردة فى تجسد جبريل بصورة دحية ، وغيره ، يمكن الرجوع إلى : مسند
ابن حنبل ٤٣٣ / ٥ - الأوسط للطبراني ٣٢٢٥ ، ٣٢٢٦ - المجمع للهيثمى ٣١٤ / ٩ - سير
أعلام النبلاء للذهبي ٣٧٩ / ٢ .

(٥) هـ : المهنة .

(٦) هـ : ما يقتضى .

(٧) هـ : بشئ .

(٨) ط : وإنهم .

(٩) هـ ، ط : الغفلة .

(١٠) .: فهم .

(١١) ط : الناظرين ، هـ : الناظر إليهم .

(١٢) أ : الحكمة .

عقلاً؛ صورةً ، ومعنى والحِجَابُ^(١) : ولهم البطون ، لأن مقامهم يقتضى ذلك .
ألا ترى إلى الهيولى ، كيف ظهرت بظهور الصور^(٢) ؛ وهى - أعنى الهيولى -
باطنة^(٣) على^(٤) الحقيقة، بعد هذا التعيين والظهور .

إن هذا لشيءٌ عَجَابٌ . يعنى : كونهم ظاهرين فى بطونهم ، وباطنين فى
ظهورهم؛ أمرٌ يحصل منه التعجُّب، لحصول النقيضين بحالٍ واحد^(٥) يُكْثِرُونَ
التكبير^(٥) ، ويَحْفُونَ بالسريـر . أى بالعرش - والمراد به^(٦) هنا^(٧) : جميع المظاهر
الكونية- فإن هذه الملائكة المهيَّمة والمحكَّمة ، حافُّون به .

لهم المقامُ الأَشْمَخُ . أى المنصبُ الأعلى ؛ لأنهم^(٨) مخلوقون بغير واسطة،
كالعقل الأول ؛ أو بواسطة قليلة ، كالأرواح الكلية. أو لكونهم أسباباً كليةً^(٩)،
لوجود الموجودات .

ومنزلهم ؛ أى منزل الملائكة المهيَّمة، والملائكة المحكَّمة : بين الله والعالم ،

(١) + هـ .

(٢) هـ : الصورة .

(٣) هـ : الباطنة .

(٤) ط : عن .

(*) هناك مبدأً منطقى مشهور ، يقول : النقيضان لا يجتمعان معاً، ولا يرتفعان معاً لكن هذه
المبادئ المنطقية تكون عند القياس العقلى الظاهرى ، أما الرؤية الصوفية للحقائق الباطنة، فلها
منطق آخر .

(٥) ط : التكر .

(٦) - ط .

(٧) هـ : هذا .

(٨) أ ، ط : لهم لأنهم .

(٩) ط : أسباب كلية .

مثل البرزخ^(١) . جعلهم الشيخ -رضى الله عنه - أفضل من البشر الكُمَّل^(٢) ، فقال إنهم^(٣) متوسطون بين مرتبة^(٤) الألوهية وبين مرتبة الإنسان الكامل . هذا مذهبه ! ولا أقول بذلك ؛ بل مرتبة^(٥) الإنسان الكامل - عندي - فوق مرتبة الملائكة ، لأنهم^(٥) له ، كالقوى للجسد ، كالصفة للذات ، وكالعرض للجوهر^(٦) .

فأصحابُ النسبِ منهم الخلفاءُ من البشر^(٦٦) . يعنى : مَنْ^(٦) كان

(*) يُلاحظ هنا أن النص الوارد في نسخ شرح الجليلي ، يختلف عن النص الوارد في الفتوحات بعض الشيء . فبينما ورد نص الشرح على النحو الذي ذكرناه أعلاه ، جاء في الفتوحات ومنزلهم ، بين الله والعلماء منا ، في البرزخ .. ولسوف يؤدي هذا الاختلاف ، إلى نقد الجليلي لابن عربي .. وسوف نعود للتعليق على نقد الجليلي .

(١) ط : المكمل .

(٢) هـ : لأنهم .

(٣) - هـ .

(٤) العبارة التالية ساقطة من هـ .

(٥) هـ : كلهم .

(**) هكذا اختلف الجليلي مع ابن عربي ، مؤكداً علو مقام الإنسان الكامل . لكننا نسجل هنا ملاحظة على هذا الاختلاف ، نلخصها فيما يلي :

يبدو أن الجليلي قد ابتعد عن المراد الحقيقي لابن عربي ؛ فقد أشار ابن عربي في غير موضع من مؤلفاته ، إلى أن الإنسان الكامل : له رتبة الاحاطة . مما يعنى كونه جامعاً لكل الموجودات العلوية والسُّفلية ، بما فيها الملائكة (راجع فيما يخص نظرية الإنسان الكامل عند ابن عربي ، بحثنا : الفكر الصوفي .. ص ٩٥ وما بعدها) فالراجح أن يكون مراد ابن عربي - وفقاً لما ورد في نص الفتوحات - هو : إن العقول العلوية ، وليس الملائكة ، تحتل في الحياة البرزخية - فقط - مكانة وسطى بين الله تعالى وبين (العلماء) من البشر ، وليس (الكُمَّل) من البشر ، كما يذهب الجليلي !

(**) جاء في الفتوحات : فأصحاب النسب منهم ، عند أرباب الفكر ، هم الخلفاء من البشر وهذا النص يؤكد ما ذهبنا إليه في تعليقنا السابق .

(٦) هـ : ان من .

منسوباً إلى أحد هذه الملائكة المهيمة أو المحكمة^(١) ، بـحُكم ما تحقق به في^(٢)
المراتب الكمالية الكلية^(٣) الجملية ، والجزئية التفصيلية - كما يُقال : فلانٌ على
قلب إسرافيل، وفلانٌ على قلب ميكائيل - كان خليفة للحق .. يعنى: نبياً.

واعلم ، أن الخلفاء على أقسام^(٤) : خلفاء الله، على ما هو له^(٥) ؛
يقومون بصفاته عنه .. وخلفاء ، لخلفاء^(٦) الله في^(٧) كـل^(٨) القسمين .
فالخلافة^(٩) المحضة ، فيما هو الله^(١٠) ؛ لمحمد ﷺ وللأنبياء^(١١) والأولياء
الكُمَّل. والخلافة المحضة، فيما هو^(١٢) من الله ؛ لمحمد ﷺ وحده، والأنبياء
والأولياء^(١٣) الكُمَّل^(١٤) نوابه^(١٥) . فهم^(١٦) ، خلفاء خلافته^(١٧) ﷺ^(١٨) .

(١) ط : والمحكمة.

(٢) ط : من .

(٣) - ط.

(٤) أ : الأقسام.

(٥) هـ : عليه.

(٦) هـ : خلفاء .

(٧) هـ : على.

(٨) ط : كلى.

(٩) + ط .

(١٠) أ : من الله.

(١١) + ط : الانبياء .

(١٢) - ط.

(١٣) هـ : الأولياء والأنبياء.

(١٤) - هـ.

(١٥) هـ : نواب.

(١٦) أ : وهم .

(١٧) أ : خليفته .

(١٨) هـ : وسلم عليهم .

ولما كان هذا العلم ، مما لا يمكن دركه لأحد^(١) ، إلا بالكشف والرؤية .
قال^(٢) : يعلم ذلك ، مَنْ تَحَقَّقَ بالنظر . يعنى : بالشهود والرؤية . ولهذا^(٣) قال :
واعتمد على ما جاء به الكشف والخبر . أراد بالخبر قوله ﷺ : كنت نبياً ،
وآدم بين الماء والطين^(٤) وهذا الخبر ، هو^(٥) الذى يعطيه الكشف .

ولما كانت النبوة تقتضى أن يكون محلّها^(٥) ، النوسط بين الله وبين الخلق ؛
وكان ﷺ واسطة الجمع^(٦) قبل ظهور الكل . كان هذا موضع
تحيّر العقل^(٧) ؛ حيث وجد نبيّ ، من غير قوم يُرسل اليهم^(٨) ..
قال^(٩) : والعقول من حيث أدلّتها ، قاصرة عن إدراك هذا العلم ،
لطموس^(٩) عين الفهم . يعنى^(١٠) : كونه^(١١) ﷺ ، نبياً قبل وجود آدم وذريته ،

(١) - هـ .

(٢) - ط .

(٣) - ط .

(*) يشير هذا الحديث اشكالات كثيرة من جهة سنده ومضمونه ، وقد كان أصلاً من أصول قول
الصوفية بقدّم النور المحمدى وأسبقيته على الخلق .

(٤) - أ .

(٥) أ : تقتضى محلّها .

(٦) أ ، ط : الجميع .

(٧) أ : للعقل .

(**) يقول الصوفية إن الحقيقة المحمدية شئ ، والوجود الزمنى لمحمد ﷺ شئ آخر . فالحقيقة المحمدية
أزلية أبدية ، يستمد منها الأنبياء والأولياء فى كل زمان ومكان ؛ بينما الوجود المحسوس
للنبي ، موقوت محدود بزمان . واعتقد أن العلاقة بينهما ، أقرب إلى الرابطة بين الروح والجسد ، أو
العلاقة بين المطلق والقيّد .. وبهذا المعنى ، تنتفى الحيرة التى يشير إليها الجبلى .

(٨) - ط .

(٩) ط : لطموس .

(١٠) - ط .

(١١) أ : وكونه .

مما لا تدركه العقول؛ لطموس طريقة^(١) الفهم^(٢)، الموقوفة^(٣) على^(٤) الأدلة ..
فافهم^(٥) .

وقد^(٦) شرحت^(٧) لك ، جميع ما حواه الباب العاشر من الفتوحات المكية
.. والله الموفق^(٨) ، لا ربَّ غيره^(٩) .

* * *

(١) أ : الطريقة.

(٢) أ : المفهوم .

(٣) هـ : الموقوف .

(٤) أ : عن .

(٥) هـ - .

(٦) أ : قد ، هـ : فقد .

(٧) هـ : شرحنا.

(٨) ط : الموافق للصواب.

(٩) انتهت نسخ الشرح بالآتي :

أ : وقد تم الكتاب والحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً والله أعلم بالصواب واليه المرجع

والآب وصلى الله على سيدنا ومولانا النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

دائماً أبداً إلى يوم الدين ورضي الله عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وعن بقية المجتهدين.

هـ : والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا

بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين.

ط : وقد تم الكتاب بحمد الله وعونه ومدد إمداد وليه ورسوله ونبه ﷺ والحمد لله وحده.

مُقْتَطَفَاتٌ

من الباب (٥٥٩) من الفتوحات

ومن ذلك ، سِرُّ الافتتاح بالنكاح ؛ من الباب الأحد عشر:

أَنَا فِي الْوُجُودِ بَابٌ وَعَلَيْهِ مِنْهُ قِفْلٌ

فَأَنَا بِقِفْلٍ بَوَجْهِهِ وَبَوَجْهِهِ أَنَا أَهْلُ

[مجزوء الرمل]

القول -من القائل- في السامع، نكاحٌ . فعينُ المَقُول ، عينُ ما تَكُونُ من السامع ، فظهر^(١) .. ظهور المصباح ، لتوجه^(٢) سبب القول والتكوين - على التعيين- في المحل الظاهر ، لنزول الباطن إلى الظاهر . وهذا نكاحٌ بين المعنى والحِسِّ، والأمر المركَّب والنَّفْسِ ؛ لِيُجْمَعَ بين الكثيف واللطيف، ويكون به التمييز والتعريف . وإن خالف تركيبُ المعاني ، تركيبَ الحروف؛ فهو كخلاف المعرفة والمعروف .

ثم ينزلُ الأمرُ النكاحيُّ، من مقام الافتتاح، إلى مقام الأرواح؛ ومن المنازل الرفيعة ، إلى ما يظهر من نكاح الطبيعة ؛ ومن بيوت الأملاك ، إلى نكاح الأفلاك لوجود الأملاك ؛ ومن حركات الأزمان، إلى نكاح الأركان ؛ ومن حركات الأركان، إلى ظهور المولِّدات التي آخرها جسمُ الإنسان.. ثم تَظْهَرُ الأشخاصُ ، بين مَبَاضٍ وَمَنَاصٍ^(٣) .

(١) راجع ما ذكرناه في الهوامش السابقة عن معنى النكاح في المصطلح الصوفي عند ابن عربي .. وهو هنا يريد أن يقول : إن النكاح ، الذي هو تكوين الأشياء في الكون، عبارة عن قول كن من القائل الذي تَمَكَّنُ من مقام التوجه الإيجادي، وتَمَلَّكَ كلمة الحضرة الإلهية كن وبذلك يكون قوله للسامع ، نكاحٌ بالمفهوم الاصطلاحي .. وكل ما يقوله القائل في هذا المقام، يظهر أثره في الوجود . ولذا قال : فعين المَقُول، هو عين ما يظهر من تَكُونِ السامع .

(٢) ف : التوجه .

(٣) لانعرف المراد بقوله مَبَاضٍ وَمَنَاصٍ على التحقيق .. وفي اللغة ، بَضٌّ الشيء : سال قليلاً -

فالنكاحُ ثابتٌ مستقرٌّ ، ودائماً مستمرٌّ .

*

*

*

ومن ذلك ، سيرُ إطفاء النيرانِ بالأنفاس ، من الباب الخامس عشر^(١) :

لما كان القائلُ له مزاجُ الانفعال ، كان للنفسِ الإطفاءُ والإشعال^(٢) . فإن
أطفأ أَمَاتَ ، وإن أشعلَ أَحْيَا .. فهو الذى أضحك وأبكى^(٣) .

فُينسبُ الفعلُ إليه ، والقابلُ لا يعولُ عليه . وذلك لعدم الإنصاف فى تحقيق
الأوصاف ، مع علمنا بأن الاشتراك معقولٌ فى الأصول . للقابل الإعانة ، ولا
يُطلب منه الاستعانة^(٤) . فهو المجهول المعلوم^(٥) ، عليه صاحب الذوق^(٦) يحوم ،
وحُكْمُه فى المحدث والقديم .

يظهر ذلك ، فى إجابة السائل ، وهذ معنى قولنا القابل : لولا نفسُ
الرحمن ، ما ظهرت الأعيان . ولولا قبول الأعيان ، ما اتصفت بالكيان ، ولا كان
ما كان .. الصبحُ إذا تنفَّسَ ، أذهب الليل الذى كان عَسَسَ .

- قليلاً . ونصٌّ : ارتفع (لسان العرب ٢٢٢/١ - ٦٤٨ / ٣) فرعاً يكون مراد ابن عربى : ثم
تظهر الأشخاص بين منخفض ومرتفع !

(١) ف : الباب ١٥ .

(٢) يريد بالإطفاء والإشعال : الإيجاد والإعدام ، أو الخلق والإبادة ، فى أمور الوجود الحسى .

(٣) قوله تعالى ﴿وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أَمَاتَ وَأَحْيَا .. سورة النجم، آية ٤٣﴾ .

(٤) يريد ابن عربى هنا أن يقول : إن الموجود الناتج عن كلمة كُنْ ، وهو القابل ، أعان على
ظهور أثر الواجد كلمة كُنْ ؛ فهو له الإعانة . ومع ذلك فلا تجوز للخلق الاستعانة به ، إذ لا
يجوز استعانة خلقٍ بخلق .

(٥) يقصد : هو - أى القابل - مجهولٌ فى نفسه ، معلومٌ فى نفس القائل له : كُن .

(٦) صاحب الذوق : الصوفى المتحقق .

*

*

*

فَلَوْلَا الصَّيِّدُ مَا نَفَرَ الْغَزَالُ
وَلَوْلَا الصَّدُّ مَا عَذَّبَ الْوَصَالُ
وَلَوْلَا الشَّرْعُ مَا ظَهَرَتْ قِيُودُ
وَلَوْلَا الْفِطْرُ مَا أَرْتَقَبَ الْهِسَالُ
وَلَوْلَا الْجُوعُ مَا ذَبَلَتْ شِفَاةُ
وَلَوْلَا الصَّوْمُ مَا كَانَ الْوَصَالُ
وَلَوْلَا الْكَوْنُ مَا انْفَطَرَتْ سَمَاءُ
وَلَوْلَا الْعَيْنُ مَا دُكَّتْ جِبَالُ
وَلَوْلَا مَا أَبَانَ الرُّشْدُ غِيَاً
لَمَا عُرِفَتْ هِدَايَةُ أَوْ ضَلَالُ^(١)
وَلَا كَانَ النَّعِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ
وَلَا حَكَمَ الْجَلَالُ وَلَا الْجَمَالُ
أَرَى شَخْصاً لَهُ بَصَرٌ وَيَرْمَى
وَلَا قَوْسٌ لَدَيْهِ وَلَا نَبَالُ
فَسُبْحَانَ الْعَلِيمِ بِكُلِّ أَمْرٍ
لَهُ الْعِلْمُ الْمَحِيطُ لَهُ الْجَلَالُ

(١) تشير هذه الأبيات إلى ظهور كل شيء، بشئ آخر يتوقف عليه .. بحيث يظهر كل أمر مما يخالفه.

إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ غَيُّونَ قَوْمٍ
بِلاَ جَفْنٍ^(١) بَدَا لَهُمُ الْكَمَالُ
وَوَقْتاً^(٢) لَا يَرَوْنَ سِوَى نَفْسٍ
مُبْعَدَةٍ وَغَايَتَهَا أَتْصَالُ

[الوافر]

ومن ذلك؛ سرُّ مَنْ مُنِحَ ليربح ، فلنفسه سعى ، فكان لما أُعْطِيَ وعاء .. من
الباب السابع عشر :

إِذَا مَا كُنْتَ مَيْلَانَا
فَجُلٌ فِيهِ إِذَا كَانَا
فَإِنِّي لَسْتُ أَنْفِيهِ
لِذَا سُمِيتُ إِنْسَانَا

[الهزج]

* * *

ومن ذلك؛ سرُّ النافلة والفَرَض ، فى تعلُّق العلم بالطول والعَرَض .. من
الباب العشرين^(٣) :

(١) العيون التى بلا أجفان ، قد تكون من المبالغة فى السهر - الذى هو إحدى الرياضات الروحية
عند الصوفية - وقد تكون إشارة إلى القلوب التى ترى بنور الله.

(٢) ف : فوقنا .

(٣) ف : من الباب ٢٠ .

مَنْ كَانَ عِلَّتَهُ عَيْسَى ، فَلَا يَوْسَى . فَإِنَّهُ الْخَالِقُ الْحَيِّ ، وَالْمَخْلُوقُ الَّذِي يُحْيِي . عَرَّضَ الْعَالَمَ فِي طَبِيعَتِهِ ، وَطَوَّلَهُ فِي رُوحِهِ وَشَرِيعَتِهِ^(١) . وَهَذَا النُّورُ ، مِنْ الصَّيْهُورِ وَالْدِّيْهُورِ الْمُنْسُوبِ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ^(٢) :

لَمْ أَرَ : مُتَّحِدًا رَتَقَ وَفَتَّقَ^(٣) ،

وَبَرَّبَّهُ نَطَقَ ،

وَأَقْسَمَ بِالشَّقَقِ ، وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ^(٤)

وَرَكَّبَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ، مَثَلُهُ^(٥)

.. فَإِنَّهُ نُورٌ فِي غَسَقٍ .

منزلة الحق لديه ، منزلة موسى من التابوت ؛ ولذلك كان يقول باللاهوت والناسوت^(٦) . وأين هو ، ممن يقول : العين واحدة، ويحيل الصفة

(١) الإشارة هنا إلى مقابلة الإنسان للعالم .. راجع ما سبق من تعليقاتنا على هذا المعنى.

(٢) كتاب الصهبور والديهور من الكتب المنسوبة إلى الحسين بن منصور الحلاج، وهو كتاب

مفقود ، لا نعلم عنه إلا بعض الإشارات والاقتباسات التي وردت في كتب أخرى.

(٣) في معنى الرتق والفتق، يقول القاشاني : الرتق إجمال المادة الوجدانية المسماة بالعنصر

الأعظم المطلق المرتوق قبل خلق السموات والأرض ، المفتوق بعد تعينهما بالخلق .. والفتق

ما يقابل الرتق من تفصيل المادة المطلقة ، وبروز كل ما كمن في الذات الأحدية كالحقائق

الكولية بعد تعينها في الخارج (اصطلاحات الصوفية ١٣٥، ١٤٨) .

(٤) سورة الانشقاق ، آية ١٦ وما بعدها.

(٥) يقصد : مثل الحلاج .. وقوله بعد ذلك نور في غسق إشارة إلى سطوع التحليات الإلهية على

باطن الحلاج ، وهو بعد متعلق ببشريته .

(٦) كان الحلاج كثير الاستعمال لهاتين الكلمتين . ومن ذلك قوله في أبيات مشهورة له [من

الطويل] منها :

دخلت بناسوتي لديك على الخلق ولولاك لأهوتى خرجت من الصديق =

الزائدة ؟ وأين فاران من الطور^(١) ؟ وأين النار من النور ؟

العرض محدود ، والطول ظلٌ ممدود ، والفرض والنقل : شاهدٌ ومشهود .

* * *

ومن ذلك، سِرُّ الجرس، واتخاذ الحرس .. من الباب الخامس والثلاثين^(٢) :
الجرسُ كلامٌ مُجَمَّلٌ ، والحرس بابٌ مُقْفَلٌ^(٣) . فمن فَصَّلَ مجمله، وفتحَ
مقفله؛ اطلع على الأمر العُجاب ، والتحق بنوى الألباب ، وعرف ما صانه
القشر من اللباب^(٤) ، فعظم الحجاب والحجَّاب .

- وقال في عبارة أخرى : إن قيامي بحقك ناسوتيَّة ، وقيامك بحقي لاهوتيَّة، وكما أن ناسوتيَّتي
مستهلكةٌ في لاهوتيَّتكَ غير ممازجةٍ إياها ، فلاهوتيَّتكَ مستولية على ناسوتيَّتي غير مماسَّة لها
.. (أخبار الحلاج ، ص ٨ ، ٨٣).

وكان ابن عربي ، كغيره من كبار الأولياء ، من المشفقين على الحلاج لقوله مثل هذا (أنظر
أيضاً مقالة الحلاج ، بديوان عبد القادر الجيلاني) وهو هنا يشير إلى أن الحلاج وقف عند
التفرقة بين اللاهوت والناسوت ، ولم يترق لمقام من يجمع الكل فيقول إن العين واحدة،
فيسقط - كما يقول ابن عربي - الصفة الزائدة ، ولا يرى في الكون إلا الله .

(١) جاء في التوراة : جاء الله من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من فاران . وذهب
المسلمون إلى أن المراد من هذا النص التوراتي هو : بحيته تعالى من سيناء ، تكليمه لموسى عليه
السلام ؛ واستعلانه من جبال فاران بمكة ، هو إنزاله القرآن على محمد ﷺ .. وبذلك فإن
فاران هي : الاسم العبري لمكة (معجم البلدان ٢٢٥/٤) وفي عبارة ابن عربي هنا ، يريد أن
يشير إلى أن فاران (مكة) والطور (جبل سيناء ومحل التكليم) هما موقعان لظهور الحقيقة
الإلهية، ولكن شتان ما بين ظهورها في التوراة (= الطور) وظهورها في القرآن (= فاران) .

(٢) ف : الباب ٣٥ .

(٣) يشير بالجرس إلى تجلّي الحقيقة ، وبالجرس إلى الحجب الحسية.

(٤) القشر واللب : تفرقة صوفية شهيرة بين المظهر والجوهر ، أو الظاهر والباطن، أو الله والخلق..
والمراد بها هنا : إن الذي يقض غلالة الحجب الحسية (الحرس) تنكشف له الحقائق المحجوبة
وراء المحسوسات .

الإجمالُ حكمة، وفصلُ الخطابِ قسمة .

لإزالة غُمة ، فى أمورٍ مُهمّة ، محجوبةٍ بليالٍ مُدْهَمّة.

والحرسُ عصمة ، فهم أعظمُ نعمة ، لإزالة نعمة ، لإزالة نِقمة.

صلصلةُ الجرسِ ، عَيْنُ حَمَمَةِ الفرسِ^(١) .

* * *

ومن ذلك، سرُّ وجودِ النَّفسِ فى العَسَسِ .. من الباب التاسع والأربعين^(٢):

بالعَسَسِ^(٣) يطيب المنام، وبالنَّفسِ نزول الآلام . إن أضيف إلى غير الرحمن، فهو بُهتان . ظهر حُكمه، فزال عن المكروب غُمه . من قِبَلِ اليمن جاء^(٤) ، وبعد تنفيذ حكمه فاء. وإليه يرجع الأمر كله^(٥) ، لأنه ظُله ..

(١) صلصلة الجرس ؛ حالة من المعاناة الصوفية التى تكون لكبار الأولياء عند ترقيقهم وبدء كشف الحجاب لهم. وكان الجليلي قد أشار فى كتابه الإنسان الكامل إلى مرحلة صلصلة الجرس كعلامة على قرب تجلّى حقائق الذات.. ولذا ، أعقب ابن عربى ذلك بقوله عين حممة الفرس لأن سماع صلصلة الجرس ، بمثابة حممة الفرس الذى يتهيأ للانطلاق .. وهو هنا الصوفى الذى يبدأ فى العروج . وروى فى الحديث أن النبى ﷺ كان قبل هبوط الوحي عليه يسمع دويأ هائلاً كصلصلة الجرس .

(٢) ف : الباب ٤٩ .

(٣) العسس ؛ هم العسكر المهتمون بشئون العباد، أو ما نسميهم اليوم : الشرطة .. هذا فى اللغة، أما من حيث المصطلح ؛ فالصوفية يشيرون بهم إلى الحواس الإنسانية . واعتقد أن قول ابن عربى بالعسس يطيب المنام مقصود به : إن الاعتماد على الحواس الظاهرة، من شأنه أن يجعل الإنسان غافلاً عن الحقائق القلبية ، وكأنه فى نوم عميق.

(٤) الحديث الشريف : إلى لأجله نَفَسَ الرحمن يأتينى من قبل اليمن .

(٥) قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، وإليه يرجع الأمر كله .. ﴿سورة هود، آية ١٣﴾ .

لا ينقبض الظلُّ، إلا إلى مَنْ صَدَرَ عنه ؛ فإنه ما ظهر عينه ، إلا منه^(١) . فالفرعُ لا يستبد ، فإنه إلى أصله يستند. فى الفروع يظهر التفصيل ، وتشهد له الأصول، فى قضية العقول.

* * *

ومن ذلك، سِرُّ الحيرة والقصور، فيما تحوى^(٢) عليه الخيام والقصور .. من الباب الخمسين^(٣) :

الخيمة والقصر، يؤذن بالقهر والقسر . لولا الحيرة ما وُجد العجز، ولا ظهر سلطان العز .. وبالقصور^(٤) ، عُلِمَ بحدوث الأمور . القصور يلزم الطرفين، لعدم الاستقلال بإيجاد العين. لولا القبول والاقتدار ، وتكوير الليل والنهار - بالإقبال والإدبار - ما ظهرت أعيان^(٥) ، ولا عدمت أكوان ..

(١) يشير ابن عربى هنا ، إلى أن الوجود كله ظلُّ الله ، فبالله ظهر ، ولا بد من رجوع الظل إلى صاحبه . فالوجود - لا محالة - راجع إلى الله.

(٢) ف : يحوى .

(٣) ف : الباب ٥٠ .

(٤) يستخدم ابن عربى هنا كلمة القصور بمعنىين . فهى تارة يقصد بها الموجودات الكونية ، وتارة أخرى يشير بها إلى العجز .. وتلك خاصية نجدها كثيراً فى كتابات ابن عربى ، فهو يعتقد بين لفظين، لا رابطة بينهما سوى المشابهة فى النطق ، ليستخرج من الجمع بينهما معانى جديدة. فمن ذلك ما نراه عنده من ربط كلمتى (العذاب) و (العنوبة) ليخلص من ذلك إلى القول بأن عذاب أهل النار نوع من العنوبة، وأنه سمي عذاباً لأنه مشتق من العنوبة. ويربط كلمة (مال) فى قوله تعالى ﴿وَيَعِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ فيفسرها بكلمة (مال) قائلاً إنها ما تميل بالخلق إلى الحق سبحانه وتعالى .. (انظر ، د. أبو العلا عفيفى : ابن عربى فى دراساته - الكتاب التذكارى ، ص ٢٤) وهذه الخاصية نجدها أيضاً عند الجليلي ، ولكن على نطاق أضيق مما نجده عند ابن عربى .

(٥) الإشارة إلى خروج الموجودات من وجودها العلمى ، إلى وجودها فى عالم الخلق -

فَسُبْحَانَ الْمُتَفَضِّلِ بِالْدَهْوَرِ وَالْأُمُورِ .

* * *

ومن ذلك ، سِرُّ الهرب من الحرب ، من الباب الأحد والخمسين :

مَنْ مَالٌ ، مَتَحِيزًا إِلَى فِئَةٍ أَوْ مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ^(١) ، فَمَا مَالٌ . فَالْهَرَبُ مِنَ
الْحَرْبِ ، وَهُوَ مِنَ الْخِدَاعِ ، فِي الْفَزَاعِ .. كُنْ قَارًا ، وَلَا تَتَّبِعْ فَارًا . لَا تَضْطَرُّهُ إِلَى
ضَيْقٍ ، فَيَأْتِيكَ مَنْ تَكْرَهُهُ مِنْ فَوْقِ . كُلُّ يَجْرِي فِي قَرْبِهِ إِلَى أَجَلٍ ، فَلَا تُقِلُّ
بِحَجَلٍ . إِذَا نَزَلَ الْقَدَرُ ، عَمِيَ الْبَصَرُ .. نَزُولُ الْحَمَامِ ، يَقْبِذُ الْأَقْدَامَ^(٢) .

لَا جَنَاحَ ، لِمَنْ غَلِبَهُ الْأَمْرُ الْمَتَاحَ .

مَنْ رَاحَ ، اسْتَزَاحَ .. إِلَى مَقَرِّ الْأَرْوَاحِ .

- والتكوين .. راجع ما قلناه عن نظرية ابن عربي في الأعيان الثابتة فيما سبق.

(١) الآية ﴿وَمَنْ يُولِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مَتَحِيزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ..﴾
سورة الأنفال / ١٦ .

(٢) يُحْمَلُ معنى العبارة على معنيين ، بحسب ضبط حرف الميم الوسطى في كلمة : حمام .. فإذا
كانت الميم مشددة ، فالمعنى يكون : إن نزول الحمام (مفرد حمامات) يقيد أقدام النازل فيه ،
ويجعله يسبح ولا يمشي . وللمسباحة معنى صوفي يتضمَّن الخوض في بحار المحبة والفرق في
أمواج التحليلات الإلهية .. وبهذا يكون الحمام مرادفًا ذوقيًا للوصول في الطريق الصوفي .

وإذا كانت الميم بالفتح ، فالمعنى : إن نزول الحمام (جمع حمامة) أى الواردات والمعارف
الربانية ، يقيد الأقدام ، أى يجعل الصوفي الكامل حريصاً في خطواته وخواطره ، ينظر أين يضع
قدمه ، بعد أن أفاض الله عليه بتلك الواردات والمعارف .. ومن هنا قال الصوفية : إن حسنات
الأبرار ، هى سينات المقربين لأن المقرب يحاسب تبعاً لمقامه الخاص . وبهذا نفهم قول بعض
الصوفية : كُنَّا نَتْرَكَ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْمَبَاحِ ، مَخَافَةَ الْوُقُوعِ فِي الْجَنَاحِ .

وقد تناقشت في دلالة هذه العبارة مع الدكتور . نصر حامد أبو زيد - وهو خبير بلغة ابن
عربي - فرجح هو أن تكون الكلمة بكسر الحاء ، فيصير المعنى : أن نزول القبر (الحمام تعنى
الموت) يقيد حركة السعى الإنساني والاكتساب .. وهذا وجه محتمل للعبارة !

مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابُ السَّمَاءِ ، اسْتَظَلَ بِسِدْرَةِ الْإِنْتِهَاءِ .

الشَّهِيدَ حَيًّا ، وَانْجَازَهُ لِي^(١) .

* * *

وَمِنْ ذَلِكَ؛ سِرُّ عِبَادَةِ الْهُوَى ، لِمَاذَا تُهَوَّى .. مِنَ الْبَابِ الثَّانِي وَالْخَمْسِينَ:
لَا احْتِجَارَ عَلَى الْهُوَى ، وَلِهَذَا يُهَوَّى . بِالْهُوَى يُجْتَنَبُ الْهُوَى . وَحَقُّ
الْهُوَى، إِنَّ الْهُوَى سَبَبُ الْهُوَى . وَلَوْلَا الْهُوَى فِي الْقَلْبِ، مَا عُْبِدَ الْهُوَى^(٢) ..
بِالْهُوَى يَتَّبِعُ الْحَقَّ .. وَالْهُوَى يُقْعِدُكَ مَقْعِدَ الصَّدَقِ^(٣) .

الْهُوَى مَلَاذٌ ، وَفِي الْعِبَادَةِ بِهِ التَّذَاذُ ، وَهُوَ مَعَاذُ لَمَنْ بِهِ عَاذُ .

وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى^(٤) . فَبِهَوَى النَّجْمِ وَقَعَ
الْقَسَمُ، بَعْدَمَا طَلَعَ وَنَجَّمَ^(٥) .. مَوَاقِعَ النُّجُومِ ، قَسَمْتُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمَ^(٦) .
فَلَوْلَا عَلَوْ قَدْرُهُ، مَا عُظِّمَ مِنْ أَمْرِهِ .

* * *

وَمِنْ ذَلِكَ، سِرُّ تَعَشُّقِ الْقَوْمِ بِالنُّوْمِ، مِنَ الْبَابِ السَّادِسِ وَالتَّسْعِينَ :
الْخَيَالُ عَيْنُ الْكَمَالِ . لَوْلَاهُ مَا فَضَّلَ الْإِنْسَانُ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانَ؛ بِهِ جَاَلَ

(١) اللَّيُّ : الْمَطْلُ وَالْإِرْجَاءُ (لسان العرب ٣ / ٤١٧) .

(٢) يَقُومُ ابْنُ عَرَبِي هُنَا بِاسْتِخْدَامِ التَّشَابُهِ فِي النُّطْقِ بَيْنَ كَلِمَاتٍ : الْهُوَى بِمَعْنَى الْهَوَاءِ ، الْهُوَى بِمَعْنَى الْحُبِّ، الْهُوَى بِمَعْنَى السَّقُوطِ .

(٣) الْآيَةُ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مُلِكٍ مُقْتَدِرٍ ..﴾ سُورَةُ الْقَمَرِ ، آيَةُ ٥٥ .

(٤) سُورَةُ النَّجْمِ ، الْآيَةُ الْأُولَى .

(٥) نَجْمٌ ؛ صَعِدَ وَارْتَفَعَ .

(٦) الْآيَةُ ﴿فَلَا قَسَمَ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ قَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ..﴾ سُورَةُ الْوَاقِعَةِ ، آيَةُ ٧٥ .

وصالً وافتخر وطال ، وبه قال مَنْ قال : سبحانى^(١) ؛ وإننى أنا الله .. وبه
كان الحليم الأواه^(٢) . فله الشتات والجمع بين أضداد الصفات^(٣) حكمٌ على
المحال والواجب ، بما شاء المذهب . يخرق فيهما العادة ، ويُلحقهما بعالم
الشهادة ، فيجسّدها فى عين الناظر ، ويُلحق الأول - فى الحكم - بالآخر .

لا يثبت على حال ، وله الثبوت على تقلّب الأحوال . فله من آى القرآن ،
ما جاء فى سورة الرحمن ، من أنه تعالى ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ، فَبِأَىِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ولا بشئٍ من آلائك ربنا نكذب ، فإننا من جملة نعمائك !

* * *

ومن ذلك ، سرُّ العلم المستقر فى النفس بالحكم ، من الباب الأحد
ومائة:

العلم^(٤) حاكمٌ .. فإن لم يعمل العالم بعلمه ، فليس بعالم العلم . لا يهمل
ولا يهمل . العلم أوجب الحكم ، لما علّم الخضر^(٥) حَكَمَ ؛ ولما لم يعلم ذلك

(١) سبحانى ما أعظم سلطانى .. عبارة مشهورة لأبى يزيد البسطامى ، أدخلها الناس فى باب
يُعرف بالشطح . راجع تحليل العبارة ونسبتها إلى البسطامى فى : شطحات الصوفية للدكتور
عبد الرحمن بدوى ، دار القلم (بيروت) .

(٢) المراد هنا : إن الخيال هو الذى به يشطح الشاطح ، وبه يكون الحليم من الأولياء حليماً ،
فيكتفى بالتأوه ، لا يصرّح بمكنون الأحوال .

(٣) وفقاً للمعنى السابق ، فالخيال يجمع بين الصفات المتضادة ، الشطح والحلم . فيه يكون
الشتات ، وبه يكون الجمع بين الأضداد .

(٤) العلم المشار إليه هنا هو العلم الباطن الذى تسطع أنواره على قلوب الأولياء .. وربما كانت
العبارة التالية تنسحب على العلم الظاهر (الشرعية) والعلم الباطن (الحقيقة) معاً .. لكن ما يلى
ذلك من عبارات ، ينطبق بالذات على العلم الباطن .

(٥) هو العبد الصالح الخضر الوارد ذكره فى سورة الكهف .. وقد جعله أهل التصوف علامة =

صاحبه^(١) ، اعترض عليه ، ونسى^(٢) ما كان قد ألزمه^(٣) .. فالتزم !
لما عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ^(٤) ، عَلِمَ وَتَبَرَّزَ فِي صَدْرِ الْخِلَافَةِ ، وَتَقَدَّمَ .. الْعِلْمُ
بِالْأَسْمَاءِ ، كَانَ الْعَلَامَةُ عَلَى حَصُولِ الْإِمَامَةِ^(٥) .

الْعِلْمُ يَحْكُمُ وَالْأَقْدَارُ جَارِيَةٌ
وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ حَدٌّ وَمِقْدَارُ
إِلَّا الْعُلُومُ الَّتِي لَا حَدَّ يَخْصُرُهَا
لَكِنَّ لَهَا فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ آثَارُ
فَحَدُّهَا مَا هِيَ فِي الْقَلْبِ مِنْ أَثَرٍ
وَعَيْنُهَا فِيهِ أَنْجَادٌ وَأَغْوَارُ
فَلَوْ نَحَدُّ بِحَدِّ الْفَوْزِ نَاقِضَةٌ

- على العلم الباطن ، ودليلاً شرعياً عليه .

(١) الصاحب هو النبي موسى عليه السلام ، وقد صاحب الخضر في القصة القرآنية المشهورة التي جرى فيها ما جرى من قتل الغلام وخرق السفينة وإقامة الجدار .

(٢) الإشارة إلى اعترض موسى عليه السلام على الأفعال التي صدرت من الخضر ، وقوله معترضاً : لا تؤاخذني بما نسيت .

(٣) كان الخضر قد اتفق مع موسى عليه السلام قبل الرحلة ، على أن لا يسأل موسى عليه السلام عن شيء ، حتى يحدثه عنه الخضر .. فقال موسى عليه السلام ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً .. ﴾ سورة الكهف ، آية ٦٩ .

(٤) قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا .. ﴾ سورة البقرة ، آية ٣١ .

(٥) الإشارة إلى سجود الملائكة لآدم ، بعد أن أنبأهم بالأسماء التي علمها الله له .. وكان سجودهم بأمر إلهي ، عصاه إبليس .

حَدُّ لِنَجْدٍ^(١) ، فَفِي التَّحْدِيدِ إِصْرَارُ

[البسيط]

افهم قوله تعالى ﴿وَحَتَّى نَعْلَمَ﴾^(٢) فتعلم ، إِنَّ كُنْتَ ذَا فَهْمٍ .. مَنْ أَعْطَاهُ
العلم؟ مَنْ عَلِمَ الشَّيْءَ قَبْلَ كَوْنِهِ ، فَمَا عَلِمَهُ مِنْ حَيْثُ كَوْنِهِ ، وَإِنَّمَا عَلِمَهُ مِنْ
حَيْثُ عَيْنِهِ^(٣) .. مَنْ أَيْنَ عِلْمٌ أَنَّ الْعَيْنَ يَكُونُ ، وَلَيْسَ فِي الْعَدَمِ مُكُونٌ ؟
هذا القدر من العلم ، أَعْطَاهُ جُودُهُ .. وَحَكَمَ بِهِ وَجُودُهُ .

* * *

ومن ذلك ، ولَايَةُ الْبَشَرِ عَيْنُ الضَّرَرِ ، من الباب الخمسين ومائة:
﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤) يُؤْمَنُ بِهِ مِنْ كُلِّ خِيْفَةٍ .. أَعْطَاهُ
التقليد ، ومَكَّنَهُ مِنَ الْإِقْلِيدِ^(٥) ؛ فَتَحَكَّمَ بِهِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ . وجعله عين
الوجود ، وأَكْرَمَهُ بِالسَّجُودِ^(٦) ؛ فَهُوَ الرُّوحُ الْمُطَهَّرُ ، وَالْإِمَامُ الْمُدَبِّرُ .
شَفَعَ الْوَاحِدَ عَيْنُهُ ، وَحَكَمَ بِالكَثْرَةِ كَوْنُهُ . وَإِنْ كَانَ كُلُّ جُزْءٍ مِنَ الْعَالَمِ

(١) النَّجْدُ فِي اللُّغَةِ : الارتفاع .. والمراد من البيت هنا : إن العلم لا حدود له ، فكل حد يعلمه
حد.

(٢) قوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ سورة محمد ، آية ٣١ .

(٣) راجع ما قلناه عن الأعيان الثابتة فيما سبق . وهنا يضع ابن عربي فكرته الخاصة بأن العلم
الإلهي بالأشياء ، سابق على وجود الأشياء وكونها .. فهو مستمد من أعيانها .

(٤) سورة البقرة ، آية ٣٠ .

(٥) الإقليد : المفتاح ، ويقال أيضاً المقلد والجمع أقاليد (لسان العرب ٣ / ١٤٨)

(٦) الإشارة إلى سجود الملائكة لآدم .

مثله فى الدلالة ، ولكنه ليس بظلم^(١) .. فلهذا انفرد^(٢) بالخلافة ، وتميّز بالرسالة؛
فشرّع ما شرع ، وأتبع .. فهو واسطة العقد ، وحامل الأمانة والعهد .

حكّم فقهر ، حين تحكّم فى البشر ؛ فظهر النفع والضرر . فأول من تضرّر
هو - كما ذكر - ثم أنه لم يقتصر ، حتى آذى الحقّ وسبّه ؛ وأعطاه قلبه ، وعلم
أنه ربّه ، فأحبّه .. ولما حسده وغبطه ، أغضبته وأسخطه .

ثم بعد ذلك هداه ، وأرضاه ، واجتباه .

فلولا قوة الصورة ما عتّى^(٣) ، ولرجوعه^(٤) إلى الحقّ سُمّيَ فتى^(٥) ؛ بالجلود
فى إزالة الغرض ، وأزال بزواله المرض .. وقام الأمر على ساق ، وحصل القمر
فى اتساق ﴿والتفت الساق بالساق﴾ ، إلى ربّك يومئذ المساق ﴿٦﴾ .

إن الله يزغ بالسلطان ، مالا يزغ بالقرآن^(٧) . فإن السلطان ناطق خالق ،
والقرآن ناطق صامت ! فحكمه حكم المائت ، لا يخاف ولا يُرجى ، ولا يطرد
ولا يُزجى .. وما استند الصّديقون إليه ، ولا عوّل المؤمنون عليه؛ إلا لصدق ما
لديه .

(١) الإشارة إلى الفكرة الشهيرة القائلة بأن الإنسان عالم صغير ، والكون إنسان كبير؛ وطبقاً لذلك
فالإنسان يقابل الكون كله.. راجع تناولنا التفصيلى لهذه الفكرة وأصولها، فى الباب المعنون
بالإنسان الكامل من كتابنا : الفكر الصوفى عند عبد الكريم الجيلى .

(٢) فى الأصل : انفرد .

(٣) يقصد : لولا قوة صورة الإنسان ، ما صار ذلك الإنسان عاتياً .. وفى الحديث : خلق الله

آدم على (صورة) الرحمن !

(٤) فى الأصل : ولا لرجوعه .

(٥) راجع الفتوة فيما سبق .

(٦) سورة القيامة ، آية ٢٩ .

(٧) العبارة من كلمات عثمان بن عفان المأثورة .

فالقُرآن أحقُّ بالتعظيم من السلطان ، لأنه الكلام المجيد الذى ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد﴾^(١) لا رادَّ لأمره ، ولا معقب لحُكمه . يصدّق فى نطقه ، ويعطى الشئ واجبَ حقّه .. فهو النور ، والسلطان قد يجور .

* * *

ومن ذلك ، مراتب الأُحبة فى منزل المحبة ، من الباب ١٨٥ :
الأحباب أرباب ، والمحبوب خلف الباب .. المحبُّ ربُّ دعوى ، فهو صاحبُ بلوى . لولا دعوى المحبة ، ما طلبنا الجزاء من اللطيف .
المحبوب إن شاء وصل ، وإن شاء هجر ؛ فإذا ادّعى محبةً محبّه اختبر .
المحبُّ فى الاختبار ، والحبيب مصانٌّ من الأغيار ، ولهذا ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾^(٢)

للأُحبة منزلٌ فى المحبة ؛ فحبيبٌ جنيب ، وحبيبٌ قريب . فالمحبُّ إذا كان ذا جنابة ، فما هو من القَرابة^(٣) .. وإذا لم يكن جنيباً ، كان قريباً اقرب الحبيب بالاشتراك فى الصفة^(٤) ، وجنابته فى عدم الاشتراك فيها ، كما أعطت

(١) سورة فصلت ، آية ٤٢ .

(٢) سورة الأنعام ، آية ١٠٣ .

(٣) مزج اس عربى فى العبارة بين ألفاظ الجنابة بمعنى القيام من مضاجعة المرأة ، أو الدنيا فى المفهوم الصوفى ، والجنابة بمعنى الحاية على حقوق الله واجتناب أوامره .. تم مزج بين لفظى القَرابة بمعنى القرب ، والقَرابة بمعنى الأسرة ، والقَرابة بمعنى أن يقر العبد بالله ، أى يسعد به .

(٤) الاشتراك فى الصفة ، له عدة مستويات دلالية : الدخول فى صفة المحبة .. الاتصاف بالصفات الربانية كالكرم والحلم .. تجلّى الصفات الإلهية على العبد .

المعرفة : تقرب إلى بما ليس لي^(١) ! لما طلب القرب الولي .. والذي ليس له :
الذلة والافتقار ؛ فهو الغنى العزيز الجبار ، والمتكبر خلف باب الدار .

أنظر إلى ما أعطاه الاشتراك والدعوى ، من البلوى ! هو فى النزوح
بالجسم الصورى والعقل والروح ، ولهذا لا يتجلى - لمن هذه صفته - إلا
القدوس السبوح . فالنزيه للعين ، لا يقول بالاشتراك فى الكون^(٢) .

* * *

ومن ذلك ، الشوق والاشتياق للعشاق ، من الباب ١٨٧ :

الشَّوْقُ يَسْكُنُ بِاللِّقَاءِ ، والاشْتِيَاقُ يَهِيْجُ بِاللِّتِّقَاءِ
لَا يَعْرِفُ الْاِشْتِيَاقُ إِلَّا الْعُشَّاقَ .

مَنْ سَكَنَ بِاللِّقَاءِ ، فَمَا هُوَ عَاشِقٌ .. عِنْدَ أَرْبَابِ الْحَقَائِقِ .
مَنْ قَامَ بِشِيَابِهِ الْحَرِيقُ ؛ كَيْفَ يَسْكُنُ ؟

وَهَلْ مِثْلُ هَذَا يَتِمَكَّنُ !

لِلنَّارِ التَّهَابُ وَمَلَكَةٌ .. فَلَا بُدَّ مِنَ الْحَرَكَةِ .

وَالْحَرَكَةُ قَلَقٌ . فَمَنْ سَكَنَ ، مَا عَشَقَ .

كَيْفَ يَصْحُ السُّكُونُ ؟ وَهَلْ فِى الْعِشْقِ كُمُونٌ .. هُوَ كُلُّهُ ظُهُورٌ ، وَمَقَامُهُ
نُشُورٌ .

(١) يُروى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال : يارب ، كيف الطريق إليك ؟ قال : إذا أردت أن
تأتى إلى فأت بما ليس فى قلت : سبحانك ، وما ليس فىك ؟ قال : الفقر .. يقول البسطامى:
فصرت أجالس الفقراء.

(٢) المراد من العبارة : إن الذى ينزه الذات الإلهية حق التنزيه ، لا يقول بوجود شئ فى الكون إلا
الله . وهذه المقولة تراها بشكل أو بآخر ، فى كتابات كبار الصوفية المعاصرين لابن عربى .

العَاشِقُ مَا هُوَ بِحُكْمِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَحْتَ حُكْمِ سُلْطَانِ عِشْقِهِ .

وَلَا بِحُكْمِ مَنْ أَحَبَّهُ .. هَكَذَا تَقْتَضِي الْحُبَّةُ .

فَمَا حَبٌّ مَحَبٌّ إِلَّا نَفْسُهُ؛ أَوْ ، مَا عَشِيقَ عَاشِقٍ، إِلَّا مَعْنَاهُ وَحْسَهُ ! لِذَلِكَ،

العُشَّاقُ يَتَأَلَّمُونَ بِالْفِرَاقِ .. وَيَطْلُبُونَ لَذَّةَ التَّلَاقِ .

فَهُمْ فِي حُظُوظِ نَفُوسِهِمْ يَسْتَعُونَ .

وَهُمْ فِي الْعُشَّاقِ الْأَعْلُونَ .

فَإِنَّهُمْ الْعُلَمَاءُ بِالْأُمُورِ ، وَبِالَّذِي خَبَاهُ الْحَقُّ خَلَفَ السُّتُورِ .

فَلَا مَنَّةَ لِحَبٍّ عَلَى مَحْبُوبِهِ ، فَإِنَّهُ مَعَ مَطْلُوبِهِ ،

وَلَا عِنْدَهُ مَحْبُوبٌ .. وَمَرْغُوبٌ .

سِوَى مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ ، وَيَتَهَجُّ بِهِ كَوْنُهُ .

وَلَوْ أَرَادَ الْحَبُّ ، مَا يُرِيدُهُ الْمَحْبُوبُ مِنَ الْمَحْجَرِ ..

هَلَكَ .. بَيْنَ الْإِرَادَةِ ، وَالْأَمْرِ ! وَمَا صَحَّ دَعْوَاهُ فِي الْحُبَّةِ .

وَلَا كَانَ مِنَ الْأَحْيَةِ ..

فَفَكَّرْ ، نَعُشْرُ !

* * *

ومن ذلك ، الشَّطْحُ من الفتح ، من الباب ٢٠٢ :

مَنْ شَطَحَ عَنْ فَنَاءِ شَطَحٍ ! وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمُنَحِّ (١) ؛ إِلَّا أَنَّهُ يُلْتَبَسُ عَلَى

(١) الشطح : لفظة صوفية، تشير إلى تلك الأقوال الغريبة التي تصدر عن أهل الطريق في حال -

السامع، فلا يعرف الجامع من غير الجامع^(١) .. ولهذا الالتباس ، جعله^(٢) نقصاً
بعضُ الناس ، من باب سدِّ الذريعة ، لما فيها^(٣) - بالنظر إلى المخلوق - من
الألفاظ الشنيعة ، التي لا تجيزها لهم الشريعة.

فَمَنْ تَقَوَّى فِي هَذَا الْفَتْحِ ، وَعَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَاطِحٍ ، لَمْ يَظْهَرْ
عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الشَّطْحِ^(٤) . فلا يظهر الشطح ، من صاحب هذا الصف ، إلا إذا
كان في حاله ضعف ..

ألا إن تَبَيَّنَ ذَلِكَ ، عِنْدَ الْوَاصِلِ وَالسَّالِكِ .. أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَالَ صَاحِبُ
الْقُوَّةِ ، وَالتَّمَكُّينِ فِي إِنْفَازِ الْأَمْرِ^(٥) : أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرُ^(٦) . فانظرُ إلى

= انجذابهم إلى الله ، كقول البسطامي سبجاني ما أعظم شأنى ويمكن الرجوع إلى تعريفات هذه
اللفظة وبيان مدلولها الصوفى، فى كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوى : شطحات الصوفية
(وكالة المطبوعات - دار القلم ، بيروت) .

وفى عبارة ابن عربى هنا، يقول إن الشطح إذا كان عن فناء حقيقى فى الذات الإلهية، فهو
منحة ربانية .. وهو يستغل التشابه اللفظى بين كلمتى الشطح بمعنى التفوه بغريب الكلمات،
والشططح بمعنى الحركة والذهاب إلى بعيد ؛ ليخلص من ذلك إلى أن الذى يقول الكلام
الشاطح من مقام الفناء ، يذهب بالمعنى إلى الجهات البعيدة .

(١) الجمع هنا ، هو الجمع الصوفى بين العبد والتحليات الإلهية .. ويُقال فى كلام العبد آنذاك أنه:
كلامٌ بلسان الجمع .

(٢) أى : جعل الشطح .

(٣) أى : فى العبارات الشاطحة .

(٤) يشير ابن عربى هنا إلى أن الشطح يصدر من أهل التلوين الذين تجذبهم الأنوار الإلهية
وتعصف بجوارحهم .. أما أهل التمكن فلهيهم المقدرة - بفضل الله - على الثبات، فلا
يصدر عنهم الشطح .

(٥) يقصد : النبى محمد ﷺ .

(٦) أخرجه الترمذى فى التفسير والمناقب ، وابن ماجه فى الزهد ٣٧ ، وابن حنبل فى المسند
٥/١ ، ٢٨١ ، ٢٩٥ - ٢/٣ ، ١٤٤ - ٥/١٣٧ ، ١٣٨ ، ٣٩٣ .. وهو حديث مشهور .

أدبه فى تحلّيه ، كيف تأدّب مع أبيه ، وما ذكر غير إخوته^(١) . فالأديب من أخذ بأسوته، فإن ربّه أدّبه . ومن أدّبه الحقُّ ؛ أنزل الناس منازلهم ، لما تحقّق^(٢) .

* * *

ومن ذلك ، الجامعُ واسعُ ، من الباب ٢٢٩ :

لو لم يكن فى الجامع^(٣) اتساع ، ما كان جامعاً بالإجماع . قلب المؤمن جامعٌ للوسع^(٤) ؛ فغاية اتّساعه على مقداره ؛ واتّساعه على قدر أنواره ..

(١) الإشارة إلى أولاد آدم .. والمراد ، أن النبى ﷺ لم يذكر إلا سيادته على البشر، مع أنه سيد الكونين !

(٢) دمج ابن عربى هنا بين الحديثين الشريفين : أدبني ربى فأحسن تأديبى - أمرت أن أنزل الناس منازلهم .

(٣) يستخدم ابن عربى كلمة الجامع بمعنىين .. الأول : الجامع بمعنى المسجد الذى تقام فيه الصلوات. والثانى : الجامع اسم الفاعل من جَمَعَ ، وهو الصوفى فى مقام الجمع (راجع الجمع والفرق فيما سبق) .

(٤) يستند ابن عربى هنا إلى الحديث : ما وسعنى أرضى ولا سماءاتى ووسعنى قلب عبدى المؤمن. وهو حديث قدسى مشهور عند الصوفية ، ذكره الغزالي فى الإحياء وشكّك فيه العراقى وابن تيمية .. وقد غاص الجليلى فى مفاوز هذا الحديث القدسى، فاستخرج المعنى التالى : لو كان العالم هو الأصل ، لكان أولى بالوسع من القلب ، فعلم أن القلب هو الأصل والعالم هو الفرع. ثم اعلم أن هذا الوسع على ثلاثة أنواع ، كلها سائغة فى القلب: النوع الأول هو وسع العلم، فليس لشيء غير القلب أن يعرف الله من كل الوجوه .. والنوع الثانى هو وسع المشاهدة، وذلك هو الكشف الذى يطلع القلب به على محاسن جمال الله تعالى فينبوق لذة أسمائه وصفاته ؛ فلا شيء من المخلوقات يذوق ما الله تعالى إلا القلب .. والنوع الثالث هو وسع الخلافة وهو التحقق بأسمائه وصفاته حتى يرى ذاته ، فيتصرف فى الوجود تصرف الخليفة .. (الإنسان الكامل ٢ / ١٦).

فتجولُ الإبصار ، على قَدْر ما تُكشَف له الأنوار ؛ ويكون السرور، على قَدْر ما يحصل لك من الكشف بذلك النور .

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) فقد عَمَّ الرفعُ والخفضُ . فصاحب البصر الحديد^(٢) ، يدرك به ما يريد ؛ ولهذا ، إرادة المحدث^(٣) قاصرة، ودائرته ضيقة متقاصرة! ألا تراه ألبسه على ما قلناه في الخير : **لَيْسَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ**^(٤) .

وهي جنةٌ محصورة ، والأمور فيها مقصورة ؛ فكيف بمن لا يأخذه حصْرٌ ، ولا يسعه قَصْرٌ ؟ كيف ينضبط شأنه ، أو يُحَدُّ مكانه من مكانه .. عينه جهَلٌ ، ولو عرف كونه^(٥) !

* * *

ومن ذلك ، المريدُ مَنْ يجد في القرآن ما يريد ، من الباب ٢٣٥ :

كان شيخنا أبو مَدِينٍ^(٦) يقول : **المريدُ ، مَنْ يجد في القرآن كُلَّ ما يريد!** ولقد صدق في قوله ، الشيخُ العارف ؛ لأن الله يقول ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ

(١) سورة النور ، آية ٣٥ .

(٢) الإشارة لقوله تعالى ﴿.. فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد ..﴾ سورة ق آية ٢٢ .

(٣) المحدث ، هو المخلوق .. وبالتحديد ، فالمراد هنا : الإنسان .

(٤) حديث مشهور في وصف الجنة ، والإشارة إلى تواضع الجنة بجانب نور الله .

(٥) المراد في العبارة : حتى إذا عرف الإنسان الكون ، فسيظل جاهلاً بنفسه وعين حقيقته .

(٦) الشيخ أبو مدين التلمساني ، نزيل بجاية الشهير .. سخط عليه الفقهاء ، فوشوا به عند

السلطان يعقوب المنصور ، فبعث إليه ليختبره ، وكان آنذاك شيخاً ضعيفاً ، فتمنى على الله

أن لا يرى السلطان ولا يراه ، وبينما هم مرتحلون إلى السلطان، وصل إلى تلمسان فمرض

مرضاً شديداً، ونزلوا به هناك، فكان آخر كلامه : الله الحق .. وتوفي ؛ سنة ٥٩٤ هجرية

(راجع مقدمة التحقيق).

مِنْ شَيْءٍ»^(١) فقد حوى بجميع المعارف ، وأحاط بما فى العلم الإلهى من المواقف .. وإن لم تتناهى ، فقد أحاط علماً بها ، وبأنها لاتتناهى . فاسترسل عليها علمه، وأظهرها عن التتالى حُكمه إلى غير أمدٍ ، بل للأبد الأبد .

فالمرید المکین ، مَنْ يقول - لما يريد - كُنْ فيكون^(٢) .. فمن لم يكن له هذا المقام، فما هو مرید . والسلام !

من كانت إرادته قاصرة ، وهيمته متقاصرة ، لا يتميز عن سائر العبيد ؛ فهذا معنى المرید^(٣) .. فإن احتججت بقوله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(٤) فما أصبت . العلامُ ، مَنْ ينتقل من مقام إلى مقام؛ ذلك حكم الدار .. وأين دار البوار من دار القرار ؟

* * *

(١) سورة الأنعام ، آية ٣٨.

(٢) المرید فى الاصطلاح الصوفى ، هو المبتدئ فى الطريق ، الذى يتلقى معالم الشرع والتحقيق من شيخ يتولى هداة .. هذا فى المفهوم الصوفى العام، أما هنا ، فإن ابن عربى يرتفع بمفهوم المرید، ولا يقصره على المبتدئ ، بل يطلقه على الصوفى المتصرف فى الكون بقدره الله، وهذا الرجل يُسمى مریداً فى كلام الشيخ الأکبر ، لأن إرادته هى بإرادة الله، ولأنه العبد الربانى الذى تقرب إلى الله حتى صار يقول للشيء كن فيكون ، وذلك ما جاء ذكره فى الحديث القدسى: ما زال عبدى يتقرب إلى بالتوافل حتى أحبه .. إلخ .

(٣) تصف العبارات المرید بأنه : لاتعدئ إرادته ما أراده الله، فهى مقصورة على ذلك. وكذلك تقف همته وتقتصر على أمر الله .. وهو كائن بين الناس لا يتميز عنهم.مظهر خاص، مع أنه بائن ومتعالٍ عليهم بتحقيق مخصوص ومقام رفيع عند ربه .

(٤) سورة القصص ، آية ٥٦ .. والإشارة إلى أن المحبَّ إلا ما يحبه المحبوب ، ولذلك فهو لا يتمنى إلا ما يريد الله ويحبه.

ومن ذلك ، الاغترابُ تَبَابٌ^(١) .. من الباب ٢٣٧ :

الغربة مفتاح الكُربِ ، ولولاها ما كانت القُربُ^(٢) . القريب هو الغريب ، وهو الحبيب .. ولا يقال فى الحبيب أنه غريب ، هو للمحب عينه ، وذاته ، وأسماءه ، وصفاته ، لا تنظر له إليه ، فإنه ليس شيئاً زائداً عليه .

ماهو عنه بمعزل ، وماهو له بمنزل^(٣) .

قيل لقيس^(٤) ليلى : مَنْ أنت ؟

قال : ليلى !

قيل له : مَنْ ليلى ؟

قال : ليلى !

فما ظهر له عينٌ فى هذا البين ، فما بقى اغتراب ، فإنه فى تباب ؛ فقد عينه ، وزال كونه .

العُشَّاق ، لا يتصفون بالشوق والاشتياق .. الشوقُ إلى غائبٍ ، وما تُمُّ غائب. مَنْ كان الحقُّ سمعه ، كيف يطلبه ؟ ومن كان لسانه ، كيف يعتبه ؟

(١) التباب فى اللغة : الخسران والهلاك (لسان العرب ٣٠٨/١) ومنه قوله تعالى ﴿وما كيد فرعون إلا فى تباب﴾ .

(٢) الغربة عند الصوفية هى الوحشة من الخلاق والأنس بالقرب من الخالق.

(٣) ينفى ابن عربى هنا تهمة الحلول ، فالصوفى فى هذا المقام لا ينعزل عن الله ، وهو فى نفس الوقت ليس محلاً له .. ويلاحظ أن ماهو الأولى تشير إلى العبد ، و ماهو الثانية تشير إلى الله تعالى .

(٤) هو قيس بن الملوّح ، العاشق المشهور .. وهو هنا رمز للمحب الصوفى.

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ^(١) .. وما تَمَّ أَتَيْنَ ، عند من تحقق بالعين .

* * *

ومن ذلك ، مَنْ شرب طرب .. من الباب ٢٥٦ :

لا يطربُ الشارب ، إلا إذا شرب خمرًا^(٢) .. وإذا شرب خمرًا فقد جاء شيئاً إمرًا^(٣) ؛ لأنه يخامر العقول ، فيحول بينها وبين الأفكار ، فيجعل العواقب في الأخبار ، فيبيد الأسرار برفع الأستار . فحرمت في الدنيا لعظم شأنها ، وقوة سلطانها .. وهى لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ^(٤) حيث كانت ، ولهذا ، عزت وما هانت . فى الدنيا محرمة ، وفى الآخرة مكرمة : هى ألدُّ أنهار الجنان ، ولها مقام الإحسان . عطاؤها أجزل العطاء ، ولهذا يقول مَنْ أصابه حكمها ، وما أخطأ :

فَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنِّى رَبُّ الْخَوْرَنْقِ^(٥) وَالسَّرِيرِ

وهو صادق .. وإذا فارقه حكمها ، وعفا عنه رسمها ، يقول - أيضاً -

ويصدق ، وقال الحق :

(١) سورة التكوين ، آية ٢٦ .

(٢) يمزج ابن عربى هنا بين الخمر المحسوسة التى يحرمها الشرع ، وبين الخمر التى يرمز بها أهل الطريق للتجليات الإلهية التى تطيش بالعقول ، ثم يجمع مع ذلك خمر الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين .. ويدخل الشيخ الأكبر من هذا المزج اللطيف ، إلى معنى السكر والصحو .
معفومها الحسى والنوقى ، لينخلص فى النهاية إلى أن الصحو ، حال أعلى من السكر .

(٣) تضمن من قول موسى للعد الصالح فى سورة الكهف : ﴿لَقَدْ جِئْتَ إِمْرًا﴾

(٤) سورة الصافات ، آية ١١ .

(٥) الخورنق ؛ كلمة فارسية معربة تعنى : المجلس الذى يأكل فيه الملك (معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص ٥٤) وهو اسم لقصر النعمان بن المنذر ، والسرير : العرش .. والبيت من قصيدة مشهورة للشاعر الجاهلى المنخل الشكوى الذى عشق زوجة النعمان المتجردة فلقى حتفه .

وَإِذَا صَحَوْتُ لِّإِنِّي رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ^(١)

وهذا المقام أعلى ، لأنه ربُّ الحيوان^(٢) .. فتفطن لهذا الميزان .

* * *

ومن ذلك ، التنزيه تمويه .. من الباب ٢٨٠ :

إِنَّ الْوُجُودَ لَأَكْثَوَانٌ وَأَشْبَاهُ

فَلَا إِلَهَ لَنَا فِي الْكَوْنِ إِلَّا هُوَ

جَلَّ الْإِلَهُ فَمَا يَخْطِئُ بِهِ أَحَدٌ

فَلَمْ يَقُلْ عَارِفٌ بِرَبِّهِ مَا هُوَ

لِلَّهِ قَوْمٌ إِذَا حَقُّوا بِحَضْرَتِهِ

يَتَّبِعُونَ وَصَلَتُهُمْ بِذَاتِهِ تَاهُوا

قَدْ مَوَّهَ الْقَوْمُ بِالتَّنْزِيهِ وَهُوَ هُمْ

فِي كُلِّ حَالٍ ، فَعَيْنُ الْقَوْمِ عَيْنَاهُ

وَاللَّهُ مَا وَلَدَ الرَّحْمَنُ مِنْ وَلَدٍ

وَمَالَهُ وَالِدٌ ، مَا تَمَّ إِلَّا هُوَ

وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ الْكَوْنِ مِنْ وَلَدٍ

وَوَالِدٍ هُوَ فِي تَحْقِيقِنَا مَا هُوَ

(١) الشويهة ، تصغير شاة .

(٢) في البيت السابق كان القائل ربًّا للجماد (الخورق ، السري) وهو هنا ربُّ الحيوان .. فهذا أعلى لأن الحيوان أعلى مرتبة من الجماد . وهكذا يُستخرج من الأبيات ، أن الصحو أعلى من السكر

دَلِيلُنَا : مَا رَمَى بِالرَّمْلِ حِينَ رَمَى

مُحَمَّدٌ^(١) ، وَهُوَ قَوْلِي : مَا هُوَ إِلَّا هُوَ^(٢)

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا أَبْغِي بِهِ بَدَلًا

لَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَكْوَانِ إِلَّا هُوَ

[البسيط]

*

*

*

ومن ذلك ، الدليلُ في حركة الثقيل ؛ من الباب ٢٩٣ :

الأمرُ جليل ، من أجل حركة الثقيل ؛ لا يتحرك إلا عن أمرٍ مُهم ،
وخطيبٌ مُلمٌ .. كزلزلة الساعة المذهلة عن الرضاعة^(٣) ، مع الحبِّ المفرط في
الولد ، ولا يلوى على أحد .

وقد ذهب بعض الأوائل ، أن العالم أبدأ نازل ، يطلب بنزوله مَنْ أوجده ،
حين وحده^(٤) .. والحق لا ينتهى ، فمن أول حركة ، كان ينبغي أن يعتكف

(١) الإشارة إلى الواقعة التي جرت يوم هجرة النبي ﷺ حين نام الإمام على فراشه وشباب
الكفار على باب الدار ينتظرون خروجه ، فرمى النبي على وجوههم بالرمل فلم يروه .. وجاء
في القرآن ﴿وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ .. سورة الأنفال ، آية ١٧ .

(٢) الإشارة إلى ما يعرف بنظرية الهو هو وهي حقيقة صوفية تقرر أن لا موجود على الحقيقة إلا
الله ، ففي مقام معين يكون الفانى هو عين الذى فنى فيه ا

(٣) الآيات ﴿وَإِنْ زَلَزَلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ، يوم ترونها تدهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل
ذات حمل حملها .. سورة الحج ، الآية الأولى .

(٤) يبدو ابن عربى وكأنه يشير إلى (أرسطو) بقوله (بعض الأوائل) فقد ذهب أرسطو إلى أن
الكون يتحرك بحركة دائرية حول الله ، وهى حركة عشق من الموجودات إلى الله ، أو المحرك
الأول كما يسميه أرسطو .

عليه، لأنه جَلَّ أن تُقطع إليه المسافات المحقَّقة ، فكيف المتوهَّمة^(١) ؟

رسومٌ معلَّمةٌ ، وأسرارٌ مكتمَّةٌ

بيوتٌ مُظلمةٌ ، والسِّنةُ غيرُ مُفهمة

لأن الخيالَ ، يخيِّل العلمَ به والمقالَ !

فأينَ تذهبون^(٢) ، أو ماذا تطلبون ؟

يقول العارف لأبي يزيد : **الذي تطلبه تركته بسطام**^(٣) .. فدلَّه على

المقام^(٤) .. فإن العبد يُسار به في حال إقامته، إما إلى دار إهانتِه ، وإما إلى دار كرامته.

* * *

ومن ذلك، الإيثار ليس من صفات علماء الأسرار ؛ من الباب ٣٣٣ :

(١) يردُّ ابن عربي هنا قول أرسطو بضرورة الحركة للكون ، للوصول إلى مبدأ الكون وعلته .. وهو يستند في رده إلى استحالة الوصول بالحركة نظراً لبعده المسافة بين الكون وخالقه . ولا يغيب عنا هنا ، أن القضية الأرسطية وردَّ ابن عربي عليها ، هي محض رموز يشير بها ابن عربي إلى الصلة بين الله والعالم ، كما يشير بها إلى ضرورة السكون القلبي أمام الله.

(٢) سورة التكويد ، آية ٢٦ .

(٣) بسطام : بلدة كبيرة على الطريق إلى نيسابور . ومن عجيب ما يذكره المؤرخون ، أنه لم يُرَ بها عاشق من أهلها قط، ومتى دخلها إنسان في قلبه هوى، وشرب من مائها، زال عنه العشق (معجم البلدان ١ / ٤٢١)

(٤) يستغل ابن عربي هنا التشابه اللفظي بين كلمة مقام كمرنية صوفية ، وكلمة مقام بمعنى مكان الإقامة الحسية .. وفيما يخص حكاية أبي يزيد المذكورة ، فقد رويت في مناقب البسطامي . كما روى عنه أنه كان بعدما يسأل : لم لا تسافر ؟ فيقول : صاحبي لا يسافر، وأنا معه مقيم.

ما هُوَ لك ، فما تقدر على دفعه . وما ليس لك ، فمالك استطاعةً على منعه .. فأين الإيثار ؟ والأمر أمانة ، فأدّها إلى أهلها قبل أن تسلبها وتوصف بالخيانة . فاعطها عن رضى قلبك ، تفز برضا ربك .. فهؤلاء^(١) هم الأحياء وإن ماتوا :

لله قَوْمٌ وَجُودَ الْحَقِّ عَيْنُهُمْ
هُمْ الْأَحْيَاءُ إِنْ عَاشُوا وَإِنْ مَاتُوا
هُمْ الْأَعَزُّ أَلَا يَلْدُرُونَ أَنََّّهُمْ
هُمْ وَلَا مَا هُمْ إِلَّا إِذَا مَاتُوا^(٢)
لله دَرُّهُمْ مِنْ سَادَةِ سَلَفُوا
وَحَلَفُونا عَلَى الْآثَارِ إِذَا مَاتُوا
لَا يَأْخُذُ الْقَوْمَ نَوْمٌ لَا وَلَا سِنَّةٌ
وَلَا يَأْوُدُهُمْ حِفْظٌ^(٣) وَلَوْ مَاتُوا
فَكَيْفَ بِالشَّمْسِ لَوْ أَبَدَتْ مُحَاسِنَهُمْ
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ إِنَّ الْقَوْمَ مَا مَاتُوا
وَكُنْتَ تَصَدِّقُ ، إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا

(١) يقصد : علماء الأسرار .

(٢) يعنى : إن الأولياء لا يعرفون مقامهم عند الله ، إلا بعد انتقالهم إلى جواره .

(٣) تضمين لقوله تعالى ﴿وَلَا يَأْوُدُهُمْ حِفْظُهُمَا﴾ .. سورة البقرة ، آية ٢٥٥ .

عَنْ مِثْلِهِمْ^(١) ، أَنَّهُمْ وَاللَّهُ مَا تُسَوِّوُا^(٢)
 أَحْيَاءُ لَمْ يَعْرِفُوا مَوْتًا وَمَا قُتِلُوا
 فِي مَعْرَكٍ وَذَوُوا رِزْقٍ وَقَدْ مَا تُسَوِّوُا
 فَلَوْ تَرَاهُمْ سَكَارَى فِي مَحَارِبِهِمْ^(٣)
 لَقُلْتَ إِنَّهُمْ الْأَحْيَاءُ وَإِنْ مَا تُسَوِّوُا
 اللَّهُ كَرَّمَهُمْ ، اللَّهُ شَرَّفَهُمْ
 اللَّهُ يُحْيِيهِمْ بِهِ إِذَا مَا تُسَوِّوُا
 لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ كَشَفًا وَقَدْ بُعْثُوا
 مِنْ بَعْدِ مَا قُبُرُوا ، مِنْ بَعْدِ مَا مَا تُسَوِّوُا

[البسيط]

* * *

ومن ذلك ، مَنْ وعظه النومُ من القوم ؛ من الباب ٣٧٤ :
 قال^(٤) : مَنْ أراد أن يعرف حاله بعد الموت ، فليُنظر في حاله إذا نام هو ،

(١) يقصد : الشهداء .. فهم مثل الأولياء ، كلاهما قُتل في طاعة الله ، الشهداء في ساحة القتال ، والأولياء في ميدان المجاهدة . فالمجاهدة الروحية تسلب الصوفى من نفسه الأمانة ، حتى يقال عن الواحد منهم إنه : بلا نفس !
 (٢) الآية ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴿ .
 (٣) المراد بالمحارب هنا ، خلوات الأولياء التى يتعبدون فيها ويجاهدون نفوسهم بالرياضات الروحية .. وقد استخدم ابن عربى لفظ محارب بالذات ، لما فيه من اقتراب من لفظ الحرب التى يُقتل فيها الشهداء : أمثال الأولياء !
 (٤) جميع الفقرات من هذا الموضع إلى آخر الباب ، تبدأ بقوله : قال ..

وَبَعْدَ النُّومِ . فَالْحَضْرَةُ وَاحِدَةٌ ، وَإِنَّمَا ضَرَبَ اللَّهُ لَنَا ذَلِكَ مَثَلًا ؛ وَكَذَلِكَ ضَرَبَ
الْيَقِظَةَ مِنَ النُّومِ ، كَالْبَيْعُثِ مِنَ الْمَوْتِ .. لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ .

وَقَالَ : الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ أُخْتَانِ ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ الْجَمْعِ بَيْنِ الْأُخْتَيْنِ ..
وَالْجَمْعُ يَجُوزُ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ ، فَمَا هُمَا ضَرَّتَانِ ! لَكِنْ لَمَّا كَانَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى
إِحْدَى الْأُخْتَيْنِ بِالنِّكَاحِ ، إِضْرَارٌ بِالْآخَرَى ؛ لِذَلِكَ قِيلَ فِيهِمَا ضَرَّتَانِ ..
فَتَنَّبَهُ (١) .

وَقَالَ : سَفِينَتُكَ مَرْكَبُكَ ، فَاحْرِقْهُ بِالْمُجَاهِدَةِ . وَغَلَامُكَ هَوَاكَ ، فَاقْتُلْهُ
بِالسَّيْفِ الْمُخَالَفَةِ . وَجِدَارُكَ عَقْلُكَ - لَا ، بَلِ الْأَمْرُ الْمُعْتَادُ فِي الْعُمُومِ (٢) - فَأَقْمِهِ
تَسْتَرِّبُهُ كَنْزُ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَةِ عَقْلًا وَشَرْعًا (٣) ، حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ ، إِذَا (٤)
بَلَغَ عَقْلُكَ وَشَرْعُكَ فَيْكَ أَشُدَّهُمَا ، وَتَوَخَّيَا مَا يَكُونُ مِنَ الْمَنْفَعَةِ فِي حَقِّهِمَا ..
وَمَا أُرِيدُ بِالشَّرْعِ إِلَّا الْإِيمَانَ ، فَإِنَّ الْعَقْلَ وَالْإِيمَانَ : نَوْرٌ عَلَى نَوْرٍ (٥) .

* * *

(١) يَمْزِجُ ابْنُ عَرَبِي هُنَا بَيْنَ أَحْكَامِ الشَّرْعِ الْفَقْهِيَّةِ وَحَقَائِقِ التَّصَوُّفِ ، لِيُنْتَهَى إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الَّذِي
يَخْتَارُ الْآخِرَةَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَعِشُقَ الدُّنْيَا.

(٢) يَسْتَدْرِكُ ابْنُ عَرَبِي هُنَا لِيُشِيرَ إِلَى جِدَارِ الْإِنْسَانِ الْمَائِلِ لِلْسَّقُوطِ ، أَوِ الَّذِي وَصَفَتْهُ الْآيَاتُ بِأَنَّهُ
﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ هَذَا الْجِدَارُ لَيْسَ هُوَ الْعَقْلُ فَحَسَبَ ، بَلِ هُوَ أُمُورُ الْإِنْسَانِ الْمُعْتَادَةِ ، وَمَا أَلْفَهُ
مِنْ طَبَائِعِ الْأَشْيَاءِ .. وَهُوَ لَا مَحَالَةَ سَاقِطٌ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ : بِالمَوْتِ تَنْقَلِبُ الْمَأْلُوفَاتُ وَتَتَغَيَّرُ الْمَعْقُولَاتُ ،
وَيَدْرِكُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ كَانَ فِي حُلْمٍ ، وَهَذَا مَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا
فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرَمَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ..﴾ سُورَةُ ق ، آيَةُ ٢٢ .

(٣) يَسْتَخْدِمُ ابْنُ عَرَبِي هُنَا الرَّمُوزَ الْقُرْآنِيَّةَ الْوَارِدَةَ فِي قِصَّةِ مُوسَى وَالْخُضْرِ بِسُورَةِ الْكَهْفِ
(السَّفِينَةُ ، الْغَلَامُ ، الْجِدَارُ) فَيُعْطِي كُلَّ رَمُوزٍ دَلَالَةً صُوفِيَّةً مُعَيَّنَةً تَصِلُ بِهِ إِلَى مَفْهُومٍ خَاصٍّ
بِتَرْكِ الدُّنْيَا ، وَقَتْلِ هَوَى النَفْسِ ، وَإِقَامَةِ جِدَارِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي تَصُونُ الْحَقِيقَةَ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : فَإِذَا .. وَقَدْ أَصْلَحْنَا بِمَحْذَفِ الْفَاءِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ النَّصُّ وَمَعْنَاهُ .

(٥) سُورَةُ النُّورِ ، آيَةُ ٣٥ .

ومن ذلك ، ما يحصلُ صاحبُ الرِّحْلة عن كل نِحْلة ؛ من الباب ٣٧٥ :

قال : الرحلة من الأكوان إلى الله تعالى ، جهلٌ به تعالى . فلو رأى وجه الحق في كل شيء^(١) ، لعرف قوله تعالى ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾^(٢) وقوله ﴿فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^(٣) وقوله ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٤) على الاعتبارين في قوله مِنْهَاجًا^(٥) .

وقال : الظلمة دليلٌ على علم الغيب، والنور دليلٌ على عالم الشهادة . فالليل لباسٌ ؛ فأنت الليل^(٦) .. والنهار للحركة، فهو للحق^(٧) . شؤنة الحركة حياةٌ ، وهي حَقِيَّةٌ ؛ والسكون موتٌ ، فهو خَلْقٌ .. ومع هذا ، فله^(٨) ما سَكَنَ بالوجهين - من السكون والثبات - ولك ما تحرَّك بالوجهين : من ، وإلى ..

(١) هناك ثلاث عبارات تتكرر كثيراً عند الجيلي وابن عربي وغيرهما ، منسوبة إلى أبي بكر الصديق وغيره .. تقول العبارات على التوالي :

ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله بعلمه .

ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه .

ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٤٨ .

(٣) سورة البقرة ، آية ١١٥ .

(٤) سورة المائدة ، آية ٤٨ .

(٥) يقصد ؛ على اعتبار المعنى الظاهر للكلمة ، وعلى اعتبار معناها الباطن .

(٦) يشير ابن عربي هنا إلى أن الوجود الإنساني الجسماني ، يحيط بالنفس والروح ويحبسهما في كهف الظلمات الدنيوية .. فالأنا هي الليل المحيط بنا .

(٧) في مقابل المعنى المشار إليه في الهامش السابق ، يجعل ابن عربي النهار وما يشتمل عليه من

نور، والحركة التي هي التحليات الإلهية التي لاتنقطع ، هما صفة الحق تعالى .

(٨) أى : لله عز وجل .

ولا اعتبار لليل ولا لنهار، فله ما فيها من حُكم الإيجاد ؛ ولك ما فيها من الانتفاع . والنوم راحةً بدنيةً ، ومكاشفاتٌ عينيةٌ غيبيةٌ .

وقال : إرداف النعم وتواليها ، إرفادُ الحق ومنحةٌ لعباده .. فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ فيها سعد ، وَمَنْ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ فيها شقى .

وقال : مواهب الحق لا تحجير عليها ، فلا تَقُلْ : لَمْ نُعْطَ .. فإن الحق يقول : لَمْ تَأْخُذْ . الدليل ما ورد من التكليف .. قيل لك لا تفعل فعلتَ، قيل لك افعل لم تفعل .. هكذا الأمر !

* * *

ومن ذلك ؛ الفرقُ في الروحى ، بين التَّحْتِ والفَوْقِ .. من الباب ٣٧٦ :
قال : إذا قام المَكْلُفُ بما خاطبه به رسوله ، من حيث ما بَلَغَهُ عن رَبِّهِ -
لا من حيث ما سُنَّ له^(١) - فما دَخَلَ له، مما أُتَحَفَهُ الحقُّ به فى ميزان قيامه،
فذلك: العلم المكتسب .. وما خَرَجَ عن ميزانه ، ولا يقبله ميزان عمله، فذلك :
علم الوَهْب الإلهى . فالعلمُ الكَسْبِيُّ نصرُ الله ، والوَهْبِيُّ فَتْحُهُ .. فإذا جَاءَ نصرُ
الله والْفَتْحُ^(٢) ، عُلِمَ أنه قد قام بحق ما كُلفَ ؛ وإذا انقادت إليه قواه - الحِسِّيَّةُ
والعقلية - فمشت معه على طريقه ، الذى هو صراط الله ، لا صراط الرُّبِّ؛
فَلْيَشْكُرِ الله على ما حَوَّلَهُ به وحبَّاه .

(١) المراد ؛ أن يتبع الإنسان بلاغ الله للناس ، ولا يتبع طبيعته الأرضية وقوانين الطبيعة المحسوسة ،
فطبع الإنسان يميل به إلى الراحة ، والعبادة فيها مؤونة وتعب ومشقة .. وهكذا يخالف العابد
طبعه ، ويتبع رسوله ؛ مع أن الطبع مستنون !
(٢) سورة النصر ، الآية الأولى .

وقال : خَفَى عن الناس طاعة إبليس ، بلعنة الله إياه .. كما خَفَى عنهم موافقة الملك^(١) رَبَّهُ - فى خلافة آدم - بثناء الله عليهم ورضاه عنهم^(٢) .

* * *

ومن ذلك ؛ الاستقصاء ، هل يمكن فيه الإحصاء .. من الباب ٣٨٣ :
قال : إذا رأيتَ مَنْ يتبرأ من نفسه^(٣) ، فلا تطمع فيه .. فإنه منك أشد تبرأ^(٤) . فافهم !

وقال : ما تَمَّ ثقةً بشئ ، لجهلنا بما فى علم الله .. فيا لها من مصيبة !^(٥)
وقال : ما تَمَّ إلا الإيمان ، فلا تعدل عنه . وإياك والتأويل^(٦) فيما أنت به

(١) يقصد : الملائكة الذين سجدوا لآدم وأطاعوا أمر الله.

(٢) تثير هذه الفقرة ما يُعرف عن ابن عربى بالفرق بين الأمر الإلهى التكوينى ، والأمر الإلهى التكليفى .. فقد عصى إبليس ربه من حيث الأمر التكليفى بالسجود لآدم ، لكنه طاع فى الوقت ذاته للأمر التكوينى الذى اقتضى فى الأزل أن ينزل الإنسان إلى الأرض ويتعرض لغواية إبليس .. وكان أمر الله قدراً مقدوراً !

(٣) الذى يتبرأ من نفسه ، هو الصوفى الذى خلص من آفات النفس ومطالبها العتيدة ، فهو لا يميل مع ميل النفوس ، ولا يرى لنفسه ما يوجب الإشارة إليها ، كأنه يتبرأ منها الله تعالى .. وقد ذهب فريق من الصوفية مذهباً عميقاً فى مخاصمة النفس وإماتة رغباتها الحقةرة ، حتى أنهم كانوا يظهرون لمن حولهم ما يستوجب الذم واللوم ، خوفاً من مدح الناس لهم ، وما يجلبه ذلك عليهم من مغالبة لخيلاء النفوس وإعجابها بذاتها ، وهذا الفريق يُعرف باسم : الملامتية (راجع رسالة الملامتية لأبى عبد الرحمن السُّلمى، نشرة الدكتور أبو العلا عفيفى - القاهرة ١٩٤٥).

(٤) فى الأصل : تبرأ .

(٥) يشير الشيخ الأكبر هنا إلى قلق العارف وعدم طمأنينته بحاله .. وهذا مقام مَنْ قال : لو كانت إحدى قلبي فى الجنة والأخرى فى النار ، ما أمنت مكر الله .

(٦) التأويل هو صرف الألفاظ إلى غير ظاهرها .. وهو أمر مخوف بالمخاطر فى فهم القرآن -

مؤمنٌ ، فإنك ما تظفر منه بطائلٍ ، ما لم يُكشَف لك عيناٌ .

وقال : اجعلُ أساسَ أمرِك كله على الإيمان والتقوى ، حتى تبين لك الأمور^(١) ، فاعملُ بحسب ما بان لك ، وسِرْ معها إلى ما يدعوك إليه^(٢) .

وقال : اجعلُ زمامك يد الهادى^(٣) ، ولا تتلكأ^(٤) ، فيسلط عليك الحادى ، فتشقى شقاء الأبد .

وقال : من كانت داره فى الدنيا الجنان^(٥) ، خيفَ عليه .. وبالعكس !

* * *

- وغيره . وقد أكد أئمة الصوفية على أنه لا يجوز إلا للكامل من أهل الطريق الصوفى ، ولا يجوز إطلاقاً للمبتدئ وعوام الخلق .

(١) المراد ببيان الأمور هنا ، إدراك ما يحتجب خلف آيات الشريعة الظاهرة من معانٍ وحقائق ربانية .

(٢) يقصد : ما يدعوك الله إليه .

(٣) الهادى ؛ النبى محمد ﷺ .. ويُجعل الزمام فى يديه ، بأن يلتزم الإنسان بشريعته ﷺ .

(٤) يريد الشيخ الأكبر بالتركُّ هنا ، ما يكون من التكاسل فى الأخذ بفروض الله ، والتفريط فى السنن النبوية ، ومتابعة النفس فى ركوب الرخص ، وطلب الراحة .. وغير ذلك مما يقعد بالهمة عن تحصيل السعادة فى الدارين . وقد يكون التركُّ هو تعسف التأول الذى لم يرق مقامه لمرتبة التأويل .

(٥) فى الأصل جاءت الكلمة بلفظ الجنان واعتبرنا سقوط النقطة عند طبع الفترحات فصححناها بلفظ الجنان ولكل اللفظين وجهٌ ومراد :

إذا كانت الجنان فالمراد أن من يعيش فى الدنيا عيشة ناعمة ، فهو غير مأمون عليه من الخشونة فى الآخرة ، وبالعكس .. والأصل فى هذا المعنى ، ما ورد فى الحديث من أن : /شاه الناس ابتلاءً الانبياء ، ثم الأمثل للأمثل .

وإذا كانت الجنان فالمراد أن من كانت الدنيا جنَّةً له ، فهو لا يأمن فى الآخرة .. والأصل فى ذلك ، الحديث الشريف : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .

ومن ذلك ؛ مَنْ خَيْرَكَ .. فقد خَيْرَكَ ، من الباب ٤٠٠ :

قال : ما دعا المَلَأُ الأعلى إلى الخصام^(١) ، إلا التَّخْيِيرُ في الكَفَّارات .
التَّخْيِيرُ حيرةٌ ، فإنه يطلب الأرجح أو الأيسر ، ولا يُعرف ذلك إلا بالدليل ..
فقدية من صيام أو صدقة أو نُسُك ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط
ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة^(٢) .

وقال : إذا خَيْرَكَ الحقُّ في أمور ، فانظرْ إلى ما قدَّم منها بالذكر ، فاعملْ
به .. فإنه ما قدَّمه حتى تَهْمُمَ به وبك ، فكأنه نَبَّهَكَ على الأخذ به . ما تزول
الحيرة عن التَّخْيِير ، إلا بالأخذ بالمتقدِّم . تلا رسول الله ﷺ حين أراد السعي في
حِجَّة الوداع ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(٣) ثم قال **أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ**
به^(٤) فبدأ بالصفَا .. وهذا عين ما أَمَرْتُكَ به لإزالة حيرة التَّخْيِير^(٥) ؛ لَقَدْ كَانَ

(١) الآية : ﴿مَا كَانَ لِي عِلْمٌ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ .. سورة ص ، آية ٦٩ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٨٩ .

(٣) سورة البقرة ، آية ١٥٨ .

(٤) رواه مسلم بلفظه الوارد هنا ، ورواه السيوطي مسنداً .. وروى النسائي عن جابر : **أَبْدَأُوا بِهِ**

بَدَأَ اللَّهُ بِهِ . وصَحَّحه ابن حزم (انظر ؛ السيوطي : جمع الجوامع برقم ٢٧ / ٩٩ ، ٢٩ / ١٠١ .

(٥) يتخذ الصوفية من هذا المبدأ وسيلةً للاختيار ، فهم على سبيل المثال يجعلون الاسم الله أعلى

من الاسم الرحمن لأنه سبق في الآية ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ..﴾ الإسراء / ١١٠ ،

ومنهم مَنْ يجعل لاسم الله الهيمنة على جميع الأسماء ، ويعتدُّه : الاسم الأعظم .

ومن لطائف الأخذ بهذا المبدأ الذي يشير إليه الشيخ الأكبر ، ما فعله شيخنا حسين معوض

الخلوتي في رحلته الأخيرة للحج منذ بضع سنين ، حين أمر جميع المريدين بأن يخلقوا

رؤوسهم ، فقال له بعضهم ما معناه أنه يمكن الاكتفاء بالتقصير .. فتلا عليهم قوله تعالى

﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ..﴾ الفتح ، آية ٢٧ ،

مشيراً إلى أن الأخذ بما ورد أولاً ، أولى .. وصارت سنة للمريدين بعد ذلك .

وإذا أردنا تعميق هذا المبدأ ، وجدناه ينسحب أيضاً على السلوك الإنساني بشكل كلي ، =

لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ^(١) .

* * *

ومن ذلك؛ مَزَلَّةُ الأقدام فى بعض أحكام العقول والأحلام .. من الباب

٤٠٧ :

قال : العارفُ مَنْ عبد الله من حيث ما شرعَ، لا من حيث ما عَقَلَ من طريق النظر^(٢) .

- بحيث يعنى : اتباع الفطرة ا فقد فَطَرَ الله الناس أولاً على التوحيد ، ثم جعل لهم الخواص والعقل .. فإذا تابعنا مبدأ الشيخ الأكبر ، فإن الأخذ بالتوحيد - الذى بدأ الله به حين فطر الناس - يصير أولى من اتباع ما سوى ذلك من تخیلات الحس وتصورات العقل. ولا يقدح فى ذلك ، ما ورد من أنه أول ما خلق الله العقل .. إلخ لأن لفظ أول هنا تعنى : حين خلق الله العقل .. إلخ ا

(١) سورة الأحزاب ، آية ٢١ .

(٢) يرى الشيخ الأكبر - وغيره من كبار الصوفية - أن العبادة الحققة لله لا تنأتى من النظر العقلى، وإنما من الإيمان بالشرعية .. وهذا ما يجعلنا نتوقف عند نظرة الصوفية للعقل وهى نظرة خاصة تلتخص فى الآتى :

إن أول مقامات العقل عند الصوفية ، هو عقل الفطرة الذى يخرج به الصبى والرجل من صفة الجنون، فهو الذى يميز الإنسان به بين الخير والشر ، ويعرف به الأمر والنهى . والمقام الثانى للعقل هو عقل الحججة الذى يعد مناط التكليف ويصل به الإنسان إلى خطاب الله للبشر، حين يبلغ الإنسان الحلم ، والمقام الثالث هو عقل العجربة الذى يصير به الإنسان حكيماً ، ولذا جاء فى الحديث الشريف : لاحكيم إلا ذو تجربة .

وللعقل على هذا النحو مهام ، فهو الذى يسير به الإنسان فى طريق العلم الحسى، فيعرف حقائق الموجودات وطبائعها وقوانين الطبيعة .. ويسير به الإنسان فى طريق الفقه والمعاملات، فيستنبط به الأحكام ويكشف عن الحكم الشرعية فى معاملة أهل الدنيا .. وبالعقل يعقل الإنسان نفسه عن متابعة الهوى ، بمعنى أن يعقلها كما تعقل الدواب، فلا تقوده النفس إلى ما فيه هلاكها وهلاكه .

وقال : العقلُ قَيَّدَ مُوجده ، والشرع والكشف أُرْسِلَ .. وهو الله الحق^(١)!

وقال : للهوى فى العقل حُكْمٌ خفى ، لا يشعر به إلا أهل الكشف والوجود.

وقال : أثر الأوهام فى النفوس البشرية ، أظهر وأقوى من أثر العقول .. إلا مِنْ شاء الله .

وقال : من رحمة الله بنا ، أنه رفع عنا المؤاخذة بالنسيان ، والخطأ ، وما نَحَدَّث به أنفسنا .. فلو أخذنا بما ذكرنا ، هلك الناس^(٢) .

- ويفرق الصوفية بين العقل واللب .. يقول الحكيم الترمذى : اعلم أن اللب لا يكون إلا لأهل الإيمان، الذين هم خاصة عباد الرحمن الذين أقبلوا إلى طاعة المولى ، وأعرضوا عن النفس والدنيا، فسامهم الله أولى الألباب وخصهم بالخطاب وعاتبهم بأنواع العتاب ومدحهم فى كثير من الكتاب ﴿فاتقوا الله يا أولى الألباب .. واتقون يا أولى الألباب .. وما يذكر إلا أولو الألباب ..﴾ فمدح الله أولى الألباب ويُنِّى مراتبهم وسرائرهم مع ربهم، لأنه خصَّهم بنور اللب. وأما عند عامة أهل الأدب ، ومَنْ لهم معرفة بشئ من اللغة، فإن اللب هو العقل .. ولكن بينهما فرق ، كما بين نور الشمس ونور السراج، مع أن كلاهما نور (بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب - تحقيق نقولا هير، ص ٧٤ وما بعدها). وابن عربى يتحدث هنا عن العقل بصدد الألوهية ، وهو المقام الذى لا يمكن للعقل فيه أن يصل إلى الحقائق .. فحقائق الألوهية لا يتعرف عليها العبد إلا بقوة أخرى هى القلب الذى ينظر بنور الله ، فيتمكّن من الكشف .

(١) المراد هنا أن العقل حاول تحديد الله فى صورة معينة يعلّقها .. أما الشرع الدينى والكشف الصوفى ، فهما لا يجدان الله بل يقرران أن ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ وأنه تعالى فوق كل ما تصوّره الوهم الإنسانى .

(٢) كلام الشيخ الأكبر هنا ، صياغة لمعنى الآية ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ، ما ترك على ظهرها من دابة ..﴾ سورة فاطر ، آية ٤٥ .

وقال : ما سُمِّيت العقولُ عقولاً ، إلا لقصورها على مَنْ عَقَلَتْه - من
العُقَال - فالسعيد مَنْ عَقَلَه الشرع ، لا من عَقَلَه غير الشرع .

* * *

ومن ذلك ، تنبيهٌ : لأتضاهي النور الإلهي .. من الباب ٤٢٠ :

قال : الحقُّ لأيضاهي ، لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) إنما الله ﴿إِلَهُ
وَاحِدٌ﴾ فأين المضاهي ؟

وقال : صفاتُ التشبيه^(٢) مُضَاهَاةٌ مشروعةٌ .. فما أنتَ ضاهيت !

وقال : العقلُ ينافي المضاهاة ، والشرعُ يثبت وينفي^(٣) ، والإيمان بما جاء
به الشرع هو السعادة .. فلا يتعدَّى العاقل^(٤) ما شرَّع الله له !

(١) سورة الشورى ، آية ١١ .

(٢) صفات التشبيه هي ما ورد في القرآن من قوله تعالى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ومثل قوله
﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ وقوله ﴿مَا صَنَعْتَ بِيَدِي﴾ وغير ذلك من آيات الجلوس على العرش
والكشف عن الساق . قال المعتزلة بضرورة تأويل هذه الآيات بما يتفق مع التنزيه .. وقال عبد
الكريم الجليلي : مُثَبَّةٌ إِنْ شُبِّتَ ، وَتَوَزَّاةٌ إِنْ شُبِّتَ ، فإنك على كل حال غارقٌ في تجلياته !
(٣) يرى ابن عربي هنا أن الحكم العقلي يقرر أن المضاهاة غير مقبولة ، لأنه تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ﴾ فلا يمكن أن يشابه الله أى شئ أو يضاهيه . ومع ذلك ففى الشرع نفى للمضاهاة
وإثبات لها .. راجع ما قلناه فى الهامش السابق .

(٤) يقصد الشيخ الأكبر بالعقل هنا ، ما يدرك به الإنسان من حيث هو مؤمن ؛ وعلى ذلك لا
يوصف الملحد والمتعد عن الشرع بأنهما عاقلان .. ويمكن القول إن ابن عربي يفرق هنا بين
نوعين من العقل الأول خاص بالمفهوم الشائع ، وهو قياس الأمور .. والنوع الآخر هو العقل
بالمفهوم الصوفى ، وهو سر الأمور ومعرفة حقائقها . ولا يتأتى هذا العقل الآخر إلا بمتابعة
الشرعية .. (راجع ما سبق) .

وقال : العاقل مَنْ هَجَرَ عَقْلَهُ ، وَاتَّبَعَ شَرْعَهُ ، بعقله ، من كونه مؤمناً .
 وقال : اكملُ العقول ، عقلٌ ساوى إيمانه .. وهو عزيز .
 وقال : لو تصرف^(١) العقلُ ما كان عقلاً .. فالتصرف للعقل لا للعقل .
 وقال :

لِلْعَقْلِ لُبٌّ وَلِلْأَلْبَابِ أَحْسَانٌ
 وَلِلنُّهْيِ فِي وَجُودِ الْكَوْنِ أَحْكَامٌ
 تَمُضِي اللَّيَالِي مَعَ الْأَنْفَاسِ فِي عَمِهِ
 لِلْخَوْضِ فِيهِ ، وَآيَامٌ وَأَعْوَامٌ
 وَمَا نَا مِنْهُ مِنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ
 إِلَّا الْقُصُورُ وَأَقْدَامٌ وَإِيْهَامٌ^(٢)
 الْعِلْمُ بِاللهِ نَقَى الْعِلْمِ عَنْكَ بِهِ
 فَكُلُّ مَا^(٣) نَخُنُ فِيهِ فَهُوَ أَوْهَامٌ

[البسيط]

(١) التصريف ، هو الحكم في الموجودات .. وابن عربي هنا يستغل التضاد بين التصرف والعقل فالتصرف والتصريف حركة ، والعقل تقييد .

(٢) من الأبيات الشعرية الشهيرة :

لِهَايَةِ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عَقَالٌ وَأَكْثَرُ سَعَى الْعَالَمِينَ ضَلَالٌ

وهذا البيت (من الطويل) ينسب إلى فخر الدين الرازي ، المعروف بابن خطيب الري .

(٣) في الأصل : كلما .. ويلاحظ في أول الأبيات أن الشيخ الأكبر يعدد المراتب الآتية للإدراك :
 العقل .. اللب .. النهي .

وقال : العاقلُ ، مَنْ لعقله أَعْقَلَ أَنَّهُ لَا يَعْقِلُ .. فمَتَى عَقَلْتَ جَهَلْتَ^(١) .

* * *

ومن ذلك ، مَنْ أبى أن يكون من النقباء .. من الباب ٤٥٦ :

قال : النقيب^(٢) ، مَنْ استخرج كنز المعرفة بالله من نفسه، لما سمع قوله
عَزَّ وَجَلَّ ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٣) وقوله ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ
أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٤) وقول رسول الله ﷺ : مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ ..

وقال : مَنْ أبى أن تكون^(٥) له مثل هذه المعرفة .. لم يكن من النقباء .

وقال : لما علم أن بين الدليل والمدلول وجهاً رابطاً، زهد في العلم بالله
من حيث نظره في الدليل -وليس سوى نفسه- وكان مَنَّ عَرَفَ نَفْسَهُ بالله ..
وقد ذهب إلى ذلك جماعة من أصحاب النظر ، مثل أبى حامد^(٦) ، ولكن لنا

(١) يقصد ، متى عقلت بالعقل الظاهر ، جهلت الحقائق الباطنة .

(٢) النقيب مرتبة صوفية في هرم الولاية الذي على قمته القطب و يليه الإمامان ثم يأتي بعد ذلك
الأوتاد ثم الأبدال و النقباء وأخيراً : الرقباء والنقباء . ولكل مرتبة في هذا الترتيب الطبقي
للأولياء ، أحكام وحقائق .. (راجع ، الحكومة الباطنية للدكتور حسن الشرقاوى، الطبعة
الأولى ، ص ٥٠ وما بعدها) وفي كلام الشيخ الأكبر هنا، سوف يستغل التشابه اللفظي،
فيربط بين تلك المرتبة الروحية وبين التنقيب في النفس ا

(٣) سورة فصلت ، آية ٥٣ .

(٤) سورة الذاريات ، آية ٢١ .

(٥) في الأصل : يكون .

(٦) هو الإمام الغزالي الشهير ، حُجَّةُ الإسلام ، صاحب إحياء علوم الدين وغيره من الكتب التي
- كما يقول ياقوت الحموي - ملأت الأرض .. توفى بطوس بعد حياة حافلة سنة ٥٠٥ هـ
هجرية. يصفه الذهبي بأنه : الشيخ الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين
أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، صاحب التصانيف والذكاء المفرط (سير أعلام النبلاء -

فى ذلك طريقة غير طريقتهم . فإن الذى ذهبوا إليه فى ذلك لا يصح ، والذى ذهبنا إليه يصح؛ وهو أن نأخذ العلم به إيماناً ، ثم نعمل عليه ، حتى يكون الحق جميع قوانا فنعلمه به، فنعلم عند ذلك نفوسنا به ، بعد^(١) علمنا به . وهذه طريقة أهل الله فى تقدم العلم بالله.

* * *

= ١٩ / ٣٢٢ ويمكن الرجوع لترجمانه فى :

المنتظم ١٦٨/٩ - الكامل ٤٩١/١٠ - وفيات الأعيان ٢١٦/٤ - المختصر فى أخبار البشر ٢٣٧/٢ - تاريخ الإسلام ١٧٣/٤ - دول الإسلام ٣٤/٢ - العبر ١٠/٤ - الوافى بالوفيات ١/٢٧٤ - مرآة الجنان ١٧٧٠/٣ - مرآة الزمان ٢٥ / ٨ - طبقات الشافعية الكبرى ١٩١/٦ - البداية والنهاية ١٧٣/١٢ - النجوم الزاهرة ٢٠٣ / ٥ - مفتاح السعادة ٣٣٢ / ٢ - روضات الجنات ١٨٠ .. بالإضافة إلى ما لاحصر له من الشروح لكتب الغزالي ، والدراسات التى تناولته .

ونأتى لمراد ابن عربى هنا ، فنشير أولاً إلى أن الغزالي قد دخل طريق التصوف من باب نظرى، فقد استعرض الفرق ومذاهبهم، فلم يجد أفضل عنده من طريق الصوفية .. حتى جاء عليه يوم، احتبس صوته ولم يتمكن من إلقاء دروسه فى المدرسة النظامية ، فشعر أنها دعوة للدخول التام فى غمار التصوف ، فترك كل شواغله وتزهد، وصار إلى ما صار إليه من سلوك صوفى (راجع ترجمة الغزالي الذاتية التى يؤرخ فيها لتجربته ، وجعلها بعنوان : المتقذ من الضلال).

ويرى الشيخ الأكبر أن طريقة الغزالي غير طريقته ، فالغزالي بدأ بالعلم النظرى حتى يعرف نفسه، فىكون آنذاك قد عرف ربه، فيتجه إليه .. أما طريقة ابن عربى فهى تبدأ بالشرية والإيمان، ثم تشرع فى العمل بالعلم حتى يعرف الصوفى ربه ، ويكون آنذاك قد عرف الله بالله - وهذا يختلف عن معرفة الله بالدليل النظرى - ثم يعلم الصوفى كل شئ بالله، ومن جملة الأشياء التى يعرفه : نفسه .. ويمكن توضيح الفرق بين الطريقتين فى الآتى:

• طريقة الغزالي : النظر العقلى ← الدليل على الله ← معرفة النفس ← معرفة الله.

• طريقة ابن عربى : الإيمان بالعمل بالعلم ← معرفة الله ← معرفة النفس .

(١) فى الأصل : وبعد .

ومن ذلك : دين الأنبياء واحد ، ما تَمَّ أمرٌ زائدٌ ؛ وإن اختلفت^(١)
الشرائعُ، فَتَمَّ أمرٌ جامعٌ .

الدينُ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَحِيدٌ^(٢)

وَمَقَامُهُ بَيْنَ الْأَنَامِ شَدِيدٌ

فَإِذَا الرِّجَالُ^(٣) تَفَطَّنُوا لِرَحِيلِهِ

عَنْهُمْ وَقَامَ لَهُمْ بِذَاكَ شَهِيدٌ

جَاءُوا إِلَيْهِ مُهْطَعِينَ^(٤) لَعَلَّهُ

يَوْمًا بِقَصْدِهِ هُمْ إِلَيْهِ يَعُودُ^(٥)

[الكامل]

(١) فى الأصل : اختلفت .

(٢) هو دين التوحيد الذى ورد فيه أنه الفطرة .. ففى الحديث الشريف: كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" وبخصوص نظرية ابن عربى فى الديانات وحقيقتها ، يمكن الرجوع إلى (كرم أمين أبو كرم : المعانى الصوفية للعبادات فى مذهب ابن عربى - رسالة ماجستير بآداب الإسكندرية ١٩٨٩) فقد تعرّضت الرسالة إلى نظرية الشيخ الأكبر للشرائع ورسوم الدين وقواعده . كما يمكن الرجوع إلى الفصل الذى عقده تحت عنوان حقيقة الديانات فى كتابنا : عبد الكريم الجبلى فيلسوف الصوفية .

(٣) المراد بالرجال : أهل الولاية .

(٤) هطع فى اللغة : أقبل على الشئ يبصره فلم يرفعه عنه . وفى القرآن الكريم : ﴿مُهْطَعِينَ مَقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ﴾ والمهطع : الذى ينتظر فى ذُلٍّ وخشوع (لسان العرب ٣ / ٨١١) .

(٥) مراد ابن عربى من الأبيات : أن الدين إذا خبت جنوته بين الناس ، قام إليه رجال من الصفوة - وهم هنا: الصوفية - فحاجوا إلى حقيقة الدين بكل خشوع، وعكفوا على أصوله، فلعله يعود إليهم بهذا السعى الصادق الخاشع إليه .. وتنبهنا الأبيات إلى الدور الذى يلعبه مشايخ التصوف وصفوة رجاله فى كل عصر، فأولئك يعيدون للدين حرارته بأحوالهم الباهرة، فيتجدد على أيديهم مع دوران الزمان .

قال^(١) : هو إقامة الدين، وأن لا يُتفرَّق فيه . ما خلق الله أبغضَ إليه من الطلاق^(٢) ، وهو بيد مَنْ أخذ بالساق ، فلماذا يُقصد إلى البغض مع هذا التعريض؟

نكاح عَقْدٍ وعرسٍ شهدوا، بتنا بيكرٍ صُهبًا ؛ فى لجةٍ عمياءٍ . نفوسٌ زُوِّجت^(٣) بأبدانها ، ولم يكن ناكحها غير أعيانها^(٤) . ثم أنه مع التكدُّر والانتقاص ، ﴿لآت حين مناص^(٥)﴾ ثم مع هذا يدعو ويحاج ، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ^(٦)﴾ وأعجب من ذلك ﴿جِبَالٌ سُرَّتْ^(٧)﴾ فكانت سراباً و ﴿سَمَاءٌ فُتِحَتْ فَكَانَتْ أَبْوَاباً^(٨)﴾ ذات ﴿حَبْلِكَ^(٩)﴾ وبروج ، وأرواح لها فيها نزولٌ وعروجٌ ، و ﴿وما لها من فروج^(١٠)﴾ فأين الولوج وأين الخروج ، وأين النزول ،

(١) يبدأ الشيخ الأكبر من هذا الموضع فى التعبير بأسلوب شديد التركيز يمتلئ بالتضمينات القرآنية لفظاً ومعنى ، ليعطينا نصاً فريداً من النصوص الرمزية الرائعة .

(٢) الإشارة للحديث : أبغض الحلال عند الله الطلاق .

(٣) قوله تعالى ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ...﴾

(٤) النكاح فى كلام ابن عربى يعنى الخلق والإيجاد .. وهو هنا يضع أمامنا صورة تشبيهية لطيفة ، فيجعل التزاوج بين النفوس الأرضية الكائنة بالفعل ، وبين الأصول الأزلية الثابتة فى العلم الإلهى . وهذه الأخيرة هى المشار إليها بالأعيان (راجع ما قلناه عن الأعيان الثابتة فيما سبق) .

(٥) الآية ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا ، وَلَاتْ حِينَ مَنَاصٍ ..﴾ سورة ص ، آية ٣ .

(٦) الآية ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ..﴾ سورة ص ، آية ٥ .

(٧) سورة التكويد ، آية ٣ .

(٨) الآية ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ..﴾ سورة النبأ ، آية ١٩ .

(٩) الآية ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحَبْلِ ..﴾ سورة الذاريات ، آية ٧ .

(١٠) الآية ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ..﴾ سورة ق ، آية ٦ .

أين العروج^(١) . هذا موضع الاعتبار ﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾^(٢) .

والله ، إن أمراً نحن فيه لمريج^(٣) .. وإن زوجاً زوجنا به .

لبهيج^(٤) .

سقف مرفوع^(٥) ، ومهاد موضوع^(٦) .

ووتد مفروق ، ووتد مجموع^(٧) .

ظلمة ونور ،

ويئت معمور^(٨) ،

(١) يشير الشيخ الأكبر هنا إلى غرابة العروج الإنساني في طبقات السماء التي ﴿مالها من فروج﴾ إذ كيف تكون المعارج والمراقى في هذا الكون المحكم .. ألا يدل ذلك على أن الأمر سرّاً هو موضع الاعتبار والنظر ؟ ولذا قال عقب ذلك : هذا موضع الاعتبار ، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

(٢) سورة الحشر ، الآية الثانية .

(٣) الآية ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج ..﴾ سورة ق ، آية ٥ .

(٤) الآية ﴿اهتزت وربت وأنبتت فيها من كل زوج بهيج ..﴾ سورة الحج ، آية ٥ والآية:

﴿والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ..﴾ سورة ق ، آية ٧ .

(٥) الآية ﴿والسقف المرفوع ..﴾ سورة الطور ، آية ٥ .

(٦) الآية ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً ..﴾ سورة النبأ ، آية ٦ .

(٧) جمع ابن عربي بين مفهوم الأوتاد الوارد في القرآن كصفة للجبال (سورة النبأ، آية ٧) والمعنى

الصفوفى للأوتاد (وهم مرتبة في التسلسل التصاعدي للأولياء) والمصطلح العروضى المستخدم

في أوزان الشعر .. حيث الوتد المجموع هو الأحرف الثلاثة ، يكون الأول والثاني متحركين

والثالث ساكناً ، وعلامته // ٥ . أما الوتد المفروق فهو ثلاثة أحرف ، يكون الأول والثالث

متحركين وبينهما ساكن ، وعلامته /٥/ (انظر ؛ مفاتيح العلوم للخوارزمي، ص ١٠٣).

(٨) الآية ﴿والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور ..﴾ سورة الطور ، آية ٤ .

وَبَحْرٌ مُسْجُورٌ^(١)

ومياهٌ تغور .. ومراحل تغور.

فَارَ التَّنُورُ^(٢) ، وَأَتَضَحَّتْ الْأُمُورُ

نُجُومٌ مُشْرِقَةٌ ، وَرَجُومٌ مُخْرَقَةٌ^(٣) .

شُهَبٌ ثَوَاقِبٌ ، وَشُهَبٌ ذَاتُ ذَوَائِبِ^(٤) ..

كَلَّمَا نَجَمَتْ ، ذَهَبَتْ !

يَالَيْتَ شِعْرَى : مَا الَّذِي أَنَارَهَا ، وَمَا الَّذِي أَوْجَبَ شَرَارَهَا .

وأخواتها ثوابتٌ لاتزول^(٥) ،

فِي طُلُوعٍ وَأَفُولٍ

لَيْلٌ عَسْعَسُ ، فَظَهَرَتْ كَوَاكِبُهُ ..

وَصَبَاحٌ تَنَفَّسُ^(٦) ، فَضَحَّهَ رَاكِبُهُ

جَوَارٌ خَنَسَ فِي مَجَارِيهَا ، وَظَبَاءٌ كَنَسَ^(٧) لَتَحْفَظَ مَا فِيهَا.

(١) الآية ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ .. سورة الطور ، آية ٦ .

(٢) الآية ﴿وَحَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾ .. سورة هود ، آية ٤٠ .

(٣) الآية ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ .. سورة الملك ، آية ٥ .

(٤) الإشارة إلى ما يعرف اليوم بالمذنبات .. وهى أجسام فلكية مندفعة باحتراق .

(٥) النجوم الثوابت : هى الكواكب التى فى السماء جميعاً ، ما عدا الكواكب السيارة السبعة:

زحل ، المشترى ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر .. وسميت ثابتة لأنها تحفظ

أبعادها على نظام واحد ولا تسير عرضاً .. (مفاتيح العلوم ، ص ٢٣٥)

(٦) الآية ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ .. سورة التكوير ، آية ١٧ .

(٧) الآية ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْخَنَسِ الْجَوَارِ الْكُنَسِ﴾ .. سورة التكوير ، آية ١٥ .

ليلٌ ونهار ، أنجادٌ وأغوار ، إبدارٌ وإسرار ..

يا أهلَ الأفكار :

أَقْسَمَ نَجِيُّكُمْ^(١) قَسَمًا لَا لَغْوَ فِيهِ وَلَا ثَنِيَا ، إِنَّ الَّذِي^(٢) جَاءَ بِهِذَا كُلَّهُ
لَصَادِقٌ . يُؤْمِنُ بِهِ - لِأَبْلِ يَعْلَمُهُ - الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ ، وَالْمُقْتَصِدُ ، وَالسَّابِقُ ..
شَخْصٌ مِنَ الْجِنْسِ^(٣) ، أُيِّدَ بِرُوحِ الْقُدُسِ .

قِيلَ لَهُ : بَلِّغْ ، فَبَلِّغْ .. وَذَكَّرَ ، فَأَبْلَغْ

وَقَذَفَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ، فَدَمَّغَ !

فَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، وَتَحَلَّى الْعَاطِلُ .

نَشَأَةُ الْآخِرَةِ ، رَدُّهُ فِي الْحَافِرَةِ .

كَيْفَ يَكُونُ التَّجَسُّدُ .. مَعَ التَّقْيِيدِ^(٤) ؟ !

إِنَّ كَانَ نَفْسُ الْأَمْرِ انْقِلَابُ عَيْنٍ ، فَقَدْ جَهِلَ الْكَوْنُ^(٥) .

(١) يقصد نفسه حين يناجى أهل الأفكار .. وهم طبقة تقابل بالتضاد : أهل الأسرار !

(٢) يقصد النبي محمد ﷺ ، فهو الذي جاء بآيات القرآن ، وهو - كما سيرد في العبارات التالية - المؤيد بروح القدس ، الذي بَلِّغَ ما أنزل عليه ، وذكَّرَ الناس بربهم .

(٣) أى من جنس البشر .. وفي القرآن الكريم ﴿فقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾

(٤) يتعجب ابن عربى هنا من قول النصارى ، وَمَنْ ذَهَبَ مِنْهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ يَتَجَسَّدُ فِي شَخْصِ الْمَسِيحِ .. إذ كيف للمطلق اللامحدود ، أن يتقيد بما هو متعين ومحدود فى صورة بشرية .

(٥) يواصل الشيخ الأكبر نقله لفكرة التجسد وحلول اللاهوت فى الناسوت ، أو الله فى الإنسان .. فيشير إلى أن القائل بانقلاب الحقيقة الإلهية إلى النشأة الإنسانية ، يدل على جهله بطبيعة الكون .

وإن كان في النظر ، فهو من مغالط البصر^(١) .

فإذا انبههم الأمر ، وأشكل ، فما لك إلا أن تتوكل !

فاسلم وجهك إلى الله وأنت محسن ، تكن ممسكاً بالعروة الوثقى^(٢) .. فإنه خير لك وأبقى .

وكن مع الرعيل الذي خطب بقوله ﴿والله خير وأبقى^(٣) ..﴾

تكن السعيد ، الذي لا يشقى .

فإن نزلت عن هذه الدرجة ، فانزل إلى ﴿الآخرة خير وأبقى^(٤) ..﴾

فإنهم ، وإن كانوا سعداء .. فإنه لا يستوى المؤمنون الميئون على فرشهم ،
والشهداء .

فلكل علم رجال ، ولكل مقام حال ،

ولكل بيت أهل ، ومع كل صعب سهل ..

(١) يستمر ابن عربي في نقد الفكرة السابقة ، فيجعل قول القائل بانقلاب الأعيان في النظر ، إلى خطأ الناظر وغلط البصر .. ويلاحظ هنا أن الشيخ الأكبر استغل ترادف لفظ النظر بمعنى الفكر ، مع لفظ النظر بمعنى الرؤية والمشاهدة الحسية .

(٢) الآية ﴿من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ..﴾ سورة البقرة ، آية ١١٢ والآية ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ..﴾ سورة لقمان ، آية ٢٢ .

(٣) سورة طه ، آية ٧٣ .

(٤) سورة الأعلى ، آية ١٧ .. ومراد ابن عربي : أطلب الله أولاً ، فإن لم يرتفع همك وهمتك إلى طلب الله ، فأطلب الآخرة .. فكلاهما خير وأبقى ، مع اختلاف المقامين .

وهذا القدرُ كافٍ في هذا الباب ، لمن علم فطاب ، وأوتى الحكمة
وفصلَ الخطاب .

انتهى الباب ، بانتهاء المجلدة الخامسة والثلاثين من هذا الكتاب .. والحمد
لله، وصلى على محمدٍ رسوله .. بخط مُنشى هذا الكتاب .

* * *